

شخصية رسول الله

صلى الله عليه وسلم

محمود علي

المجلد الثاني

دار الحديث

بيروت

شَخْصِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

محمود سبلي

شخصية رسول الله
صلى الله عليه وسلم

المجلد الثاني

دار الحديث
بيروت

الإهداء
اللّهُمَّ ... مِنْكَ ... وَإِلَيْكَ

محمود شلبي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمده حمداً كثيراً...
وأصلي وأسلم على رسوله تسليماً...
ثم أقول :

«لَا أَبْرَحُ، حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ، أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً!!!»
كلمة... قالها الكليم... لفتاه... وهما في رحلتها الخالدة بحثا عن
ذلك العبد الرائع.. الخضير... عليهما السلام..
أحببت أن افتتح بها هذا الجزء الثاني: من «شخصية رسول الله»...
ﷺ... فأقول:
لا أبرح... أسير... وأسير...
حتى أبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ... بحر الحقيقة.. وبحر الشريعة... من
تلك الشخصية العظيمة... «شخصية رسول الله»... ﷺ...
أو أَمْضِيَ حُقُباً... فإِذَا بَلَغْتُ مَا أَتَمْنَى وَإِذَا أَمْضِي فِي الشُّوْطِ زَمَانَا
طويلاً!!! سأواصل السفر... في عجائب تلك الشخصية... التي لا
تفنى...

حتى أبلغ.. مجمع البحرين منها...
حيث يلتقيان...

بحر الحقيقة... وبحر الشريعة... في ذلك الانسان الاعلى.. ذلك
الذي اسمه «محمد»... واسمه «احمد»... واسمه «محمود»... صلى الله
تعالى عليه وآله وصحبه وسلم...
وما أظن أن أبلغ منها... شيئاً... مما أتمنى!!!
لأنها عالية... فوق العلو... رفيعة... فوق الرفة... سامية.. فوق
السمو... وانما هي خطوات... على الطريق... الى مجمع البحرين...
منها...

ولكن البحر عميق... عميق... عميق...
وكلا البحرين... السباحة فيه... أخطر من أخيه... بحر الشريعة منه..
ظاهرة البساطة... وباطنه الامتداد... ثم الامتداد... ثم الامتداد!!!
وبحر الحقيقة منه... ظاهره نور ساطع... حتى اذا جئته... وجدته
بحراً لُجياً... يغشاه موج من فوقه موج...
نور بعضه فوق بعض... ولكن مهما كانت الأعماق... من تلكم
الشخصية العظمى...

ومهما كان الامتداد... من آفاقها...
فلا بد لنا أن نمضي في الرحلة... أخطر رحلة...
لعلنا ندرك... ولو شيئاً يسيراً... من عجائبها...
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...﴾

محمود شلبي

أكثر...
الناس...
شورى...؟!

من اعجب ما في شخصية محمد... ﷺ ... ذلك الجانب...
«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، أَكْثَرَ مَشُورَةً، لِأَصْحَابِهِ، مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ».

(اخرجه الترمذي)

أغنى الناس عن الشورى؟
وها هنا سؤال: لماذا الحرص منه على الشورى... وهو أغنى الناس
عن الشورى؟

الجواب: تشريعا للخلق من بعده...
وتنزلا... الى واقع الحياة... وناموس الأسباب...
وأجمل ما في شخصية محمد... ﷺ ... انه «نبي الأسباب»...
لا نبي الخوارق والمعجزات!!!
ما معنى هذا؟

معناه انه جاء... لينتظم على قانون الأسباب...
ويُنظَّم الناس... مع ذلك القانون... فما هو قانون الأسباب؟
هو الناموس الالهي... الثابت... الذي قرره تعالى للحياة...
اقتضت ارادته تعالى... ان تجري الامور... على السبب...
والمسبب...

فان لم يتحقق الشرط... امتنع وقوع المطلوب...
 فمن اراد ان يأكل... تحتّم ان يمد يده الى الطعام، وان يدخل الطعام
 الى فمه... ومن لم يفعل ذلك... امتنع عليه تحقيق الاطعام...
 ومن اراد ان يتعلم... تحتّم عليه ان يأخذ باسباب التعلم...
 فان لم يفعل... امتنع ان يتعلم...
 وهكذا... تمضي الامور... على ناموس الاسباب...
 ولقد كان الانبياء والمرسلون قبل محمد... ﷺ...
 يؤيدون بالخوارق... والمعجزات الالهية... برهانا على صدق
 رسالتهم... وانهم مبعوثون من ربهم...
 فنوح... عليه السلام...
 لما كذبه قومه... اغرق الطوفان المكذبين... اجمعين...
 وابراهيم... عليه السلام... القوه في النار...
 فانقذه الله منها... ﴿يا نار، كوني، بردا، وسلاما، على ابراهيم﴾...
 وخرج ابراهيم... منها... لم يمسه سوء!!!
 وموسى... عليه السلام... بُعث الى فرعون... مؤيدا بمعجزتين
 كبيرتين... العصا... واليد...
 العصا... يلقيها... فاذا بها ثعبان... هائل... يسعى... في خفة...
 وسرعة... ويلتهم كل ما يصادفه...
 حتى انه فتح فاه... وأراد أن يلتقم قصر فرعون... بمن فيه!!!
 ففر المذكور مذعورا...
 واليد... يضم موسى يده اليمنى... تحت إبطه الايسر...
 ثم ينزعها... ويرفعها... فيخرج منها شعاع... يطمس ضوء
 الشمس...
 هذا فضلا... عن سلسلة... لا تنفذ من الخوارق التي أيده الله بها طيلة
 حياته!!!

وليس هذا مجال... تفصيلها...
وعيسى عليه السلام...
تكلم... وهو مولود لساعته...
فقال: ﴿إِلَيَّ عِبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. الخ...
وهذا الكلام لا يصدر... عن مولود... ولكنها خارقة...
وكانت معجزاته... انه يرى الاكمه باذن الله...
وهو المولود أعمى... يرد اليه بصره!!
ويُحيي الموتى... باذن الله... ويناديهم من قبورهم...
قم يا فلان ابن فلان... فيخرج من قبره يسعى...
ويبرئ الأبرص... باذن الله... وهو مرض لا شفاء منه!!!
ثم كانت نهاية حياته نفسها... معجزة... اذ نجاه الله من القتل
صَلْبًا...

ورفعه اليه حيًّا!!!
الى آخر... هذه الخوارق... التي هي أظهر صفة من صفات المرسلين
قبل محمد... ﷺ...
حتى كان محمد... فبعثه الله... نبيا ينتظم على قانون الأسباب...
يخاطب العقل البشري...
وجعل من أجل ذلك... معجزته الجامعة... كتابا يخاطب العقول...
اسمه القرآن!!!
ولم يشأ الله ان يجعل محمدا... ﷺ... نبي الخوارق... وانما اراده
نبي العقل...
ولقد اقترح عليه المعاندون... أن يفجر لهم ينبوعا... او تكون له
جنة... او يحول لهم الجبل ذهبًا...
او يؤتى كما أوتي موسى...
او... او...

فَأَبَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا...
وَكَانَ الرَّدُّ الْقَاطِعَ: ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى
عَلَيْهِمْ...؟!﴾

(الْعَنْكَبُوتُ ٥١)

وَكَانَتِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ
بِهَا الْأَوَّلُونَ...﴾

(الْإِسْرَاءُ ٥٩)

هناك رد جامع... هو أن الكتاب... القرآن... هو معجزتك... هو
الآية التي تناسب عصرك... والعصور من بعدك... لأنه لا نبي بعدك...
وهناك سبب جامع... أن المعجزات أرسلت تباعاً على الأولين... من
قبلك... فكذبوا بها... ولم يؤمنوا بسببها...
وكان هذا الاختيار... الإلهي... لاسلوب المعجزة المحمدية... اختياراً
حقاً... لأن البشرية قادمة على عصر العلم... عصر ارتقاء العقل
البشري...

عصر الفضاء... وعلوم الفضاء... وعلوم الذرة...
وعصور... أخرى... قادمة... فيها ما وراء ذلك... وأبعد... من
العلوم...

والإنسان الذي سوف يعيش في عصور العلم...
يحتكم إلى العقل في كل شيء... ولا يأبه كثيراً بالمعجزة... لأنه
يحقق بعقله العلمي... من الاختراعات... ما فيه العجب العجيب...
هذا فضلاً عن أن الأولين... أهل التخلف العلمي... كذبوا بها...
فكيف بالمعاصرين... أهل التقدم العلمي... إنهم أكثر تكذيباً وأكثر
عنها انصرافاً.

وجاء محمد... ﷺ... ليخاطب عقل الإنسان
فكان تكريماً... وتعظيماً... للعقل البشري...

وجاء البشرية بكتاب... من عند الله...
يدعو الانسان ان يتفكر في كل شيء من حوله...
يتفكر في نفسه...
ويتفكر في عجائب الخلق...
ويتفكر في اطراد النواميس الالهية... كيف تجري... وتسري... في
كل شيء...
ليستدل من هذا كله... أن هناك إلها... دبّر كل هذا... وصنع كل
هذا... وما زال يُدبّر الأمر... يُفصّل الآيات... لعلكم بلقاء ربكم
توقنون !!
ومن هنا كانت معجزة رسول الله... ﷺ... القرآن... معجزة
خالدة... متجددة... لا تفنى... ولا يزول أثرها... بمضي العصور... لانه
يخاطب العقل البشري... في كل زمان... وكل مكان...
وليس معنى هذا أن محمدا... ﷺ... ليس له خوارق...
كلا... وحسبه خارقة... الإسراء والمعراج...
أن يطوي انسان... الأرض... والسموات... وما وراءهما... ويرى
ربه...

ويرى عجائب الكون كلها...
ثم يعود... الى فراشه... بمكة...
في اقل من لمح البصر!!!
لقد ألغى له الزمان... والمكان... ولأسباب... في آن...
هذه معجزة... تطوى في ثناياها كل معجزة...
وانما الذي نريد أن نركز عليه... ان محمدا... ﷺ...
جاء مؤيّدًا بمعجزته الكبرى... العقلية... معجزة القرآن...
ليكون فاتحة طور جديد... طور العقل...

وان وقعت الخوارق في حياته... فليست أصلا في رسالته...
وانما الاصل العام... هو القرآن... هو الكتاب الذي أنزله الله اليه...
ومن هذا النبيوع نفسه... جاء محمد... ﷺ... لينتظم على ناموس
الأسباب...

ويتصرف في شؤون الحياة... تصرف كل انسان...
فهو يدعو قومه... حتى اذا هموا بقتله...
يأخذ بأسباب النجاة العادية...
فيخرج مهاجرا... ليفلت مما دبّروا... ويرتب للهجرة... من
الكتمان... والاستخفاء بالغار... ومغايرة الطريق المألوف...
وكلها أسباب عادية...

ولو شاء الله لآتاه الخوارق في هذا السبيل...
ولكنه تعالى لا يريد كذالك... انما يريد بَشْرًا... تسري عليه القوانين
الطبيعية... التي تسري على البشر!!!

ويهبط المدينة... فينظم العلاقات العامة... بين أصحابه...
وبينهم... وبين اليهود... والأنصار... تنظيما واقعيًا... يسري...
ويجري... على قانون الأسباب والمسببات...
فهنالك معاهدة دفاعية... مع اليهود... وهنالك تنظيم
معاشي... لأصحابه... ثم ينظر فيما أصاب أصحابه... من جهد بسبب
استيلاء قريش على أموالهم وديارهم بالقوة...

فيخرج على رأسهم... يريد قافلة لقريش...
ليسترد بعض ما فقد المهاجرون... ثم تكون معركة بدر...
فيمضي فيها على قانون الأسباب... ويستشير أصحابه... مرتين...
وهذا كله... ليتنزل على قانون الأسباب...
الذي بُعث لينتظم عليه... وينظم الناس عليه...
ومن هنا كذالك... يتفجر ذلك النبيوع...

ينبوع الشورى... في شخصية محمد... ﷺ...
فهو يستشير... ليشرع للمجتمع... لا لحاجته الى الشورى...
فهو نبي لا يخطئ... وهو المعبر عنه... بالعصمة... نبي عصمه الله
من الخطأ...
نبي... آتاه الله نورا... يريه الحق حقا... والباطل باطلا...
نبي... له فاروق... يفرق بين الخطأ والصواب...
أعلى فاروق... وارقى مستوى من الفرقان...
انسان... هذا شأنه... ليس في حاجة الى استشارة من دونه...
علما... ونورا... وفقها...
ولكنه... نبي الأسباب... فأوجب الله عليه الشورى...
ليتعلم أصحابه منه: كيف تكون السياسة... وكيف تكون الحياة؟
إنه... سوف يأتي يوم... يلتقى فيه رسول الله... ﷺ... ربه...
ويَدْعُهُمْ... يُدَبِّرُونَ شُؤْنَهُمْ... بأنفسهم...
ويباشرون تجربة الحياة الواسعة... بعقولهم...
فلا بد من تنظيم تلك العقول... ورسم منهاج الحياة أمامها...
ويأمره ربه... سبحانه وتعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾
(آل عمران ١٥٩)

فيصدع بما أمر...
ويكون أكثر الناس مشاورة لأصحابه...
ويشيرون عليه... بما يشاءون... في حرية تامة... ويأنس بهم... وبه
يأنسون...
كل ذلك في حب... وأخوة... حرية...
فيضع بذلك قوانين الخلود... في تنظيم حياة الناس...
انظر اليه ماذا كان منه في معركة بدر؟!

حين خرج الى العير فبلغه أنهم قريش...

«فقال للناس: ما ترون؟»

«فقال ابو بكر، فأحسن.»

«وقال عمر، فأحسن.»

«وتكلم المقداد بن عمرو، فأحسن.»

«فقال النبي عليه السلام: أيها الناس، أشيروا عليّ...»

«وإنما يريد رسول الله ﷺ الأنصار.»

«وكان يظن أن الانصار لا ينصرونه، إلا في الدار.»

«فقام سعد بن مُعاذ، فقال: أنا أجيب عن الأنصار.»

«كأنك يا رسول الله تريدنا؟»

«قال: أجل.»

«إنك عسى قد خرجت في أمر قد أوحى اليك في غيره؟»

«فإننا قد آمنا بك، وصدقناك، شهدنا أن ما جئت به حق، وأعطينا

موثيقنا، وعهودنا، على السمع والطاعة.

«فامض يا نبي الله، لما أردت.

«فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت هذا البحر، فخضته لخضناه

معك.

«ما بقي منا رجل.

«وقل ما شئت

«واقطع من شئت.

«وخذ من أموالنا ما شئت.

«فهو أحب إلينا مما بقي.

«والذي نفسي بيده، ما سلكت هذا الطريق قط، وما لي بها من علم،

وما نكره أن يلقانا عدونا غدا.

«إِنَّا لَصَبُّرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ.
«صُدِّقْ عِنْدَ الْلِقَاءِ.
«لَعَلَّ اللَّهَ يَرِيكَ مِنَّا بَعْضَ مَا تَقَرَّرَ بِهِ عَيْنُكَ.
«أَنَا قَدْ خَلَقْنَا مِنْ قَوْمِنَا قَوْمًا مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ حُبًّا لَكَ مِنْهُمْ.
«وَلَا أَطْوَعُ لَكَ مِنْهُمْ.
«لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ، وَمَنَّةٌ.
«وَلَوْ ظَنُّوْا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَّكَ مَلَأَقُ عَدُوًّا مَا تَخَلَّفُوا
«وَلَكِنْ ظَنُّوْا أَنَّهَا الْعِيرُ.
«نَبَغِي لَكَ عَرِيشًا، فَتَكُونُ فِيهِ، نَعْدُ عِنْدَكَ رَوَاحِلَكَ
«ثُمَّ نَلْقَى عَدُوَّنَا.
«فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ، وَأَظْهَرْنَا عَلَى عَدُوَّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا
«وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَوَاحِلِكَ، فَلَحَقْتَ مِنْ وَرَائِنَا.
«فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: خَيْرًا
«وَقَالَ: أَوْ يَقْضِي اللَّهُ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ.
«فَلَمَّا قَضَى سَعْدُ مَقَالَتَهُ
«قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ...»
«ذَلِكَ هُوَ الْمَقَامُ الْخَالِدُ... مِنَ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ...
«إِنَّهُ يَشَاوِرُ أَصْحَابَهُ...
«وَهُمْ يَخْطُبُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ...
«وَهُوَ يَسْمَعُ... وَيَسْتَعْرِضُ...
«حَتَّى إِذَا مَا آتَسَ مِنْهُمْ... حَرَصًا عَلَى خَوْضِ الْمَعْرَكَةِ...
«وَاجْتَمَعَ رَأْيُ الْمُهَاجِرِينَ... وَالْأَنْصَارِ... عَلَى ذَلِكَ...
«كَانَ قَرَارُهُ الْخَالِدُ: سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ!!!
«وَقَادَهُمْ... إِلَى الْمَعْرَكَةِ... بَعْدَ أَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ إِجْمَاعًا عَلَيْهَا...
«هَذَا مَوْقِفٌ وَاحِدٌ... مِنْ مَوَاقِفِهِ الْخَالِدَةِ... فِي أَسَالِيبِ الشُّورَى...

موقف رفيع جدا...
يسجل انه كان نبياً... ينتظم على النواميس الإلهية... نواميس
الأسباب... وينظم أصحابه عليها...
ويُشركهم في الأمر...
رغم أنه... في غنى عن آرائهم جميعاً!!!
وأخرى... أبدع... وأروع... موقفه في غزوة أخرى... غزوة
أُحد...

فانظر ماذا كان منه... في تلك الغزوة...
قالوا:

«ولما نزل العدو عليه المدينة، يوم الخميس، لخمس خلون من شوال.
«ورأى النبي عليه السلام رؤياه ليلة الجمعة المعلومه
«فلما أصبح ظهر النبي على المنبر، فخطب وذكر رؤياه، فقال: أشيروا
عليّ

«رأى رسول الله ﷺ أن لا يخرج من المدينة لهذه الرؤيا.
«فرسول الله ﷺ يحب أن يوافق على ما رأى من الرؤيا وعبرها.
« فكان رأى عبد الله بن أبي المقام.
«وقال له في كلام: إن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس، وإن رجعوا رجعوا
خائبين، فقاتل بأسيفنا في السكك، إن قرئنا عذراء، ما فضت علينا، وما
خرجنا الى عدو قط إلا أصاب منا وهذا رأي ورثته من أكابر قومي.
«فقال رسول الله ﷺ: امكثوا

«وكان فتیان أحداث، لم يشهدوا بذرًا، طلبوا من رسول الله الخروج
الى عدوهم، ورغبوا في الشهادة: اخرج بنا الى عدونا
«وقال حمزة، وسعد بن عباد، والنعمان بن مالك بن ثعلبة، في غيرهم
من الأوس والخزرج: أما تخشى يا رسول الله أن يظن عدونا أنا كرهنا
الخروج اليهم جُبنا، فيكون هذا جرأة منهم علينا؟!

«وتكلم قوم من الأنصار بمثل ذلك،
«وقال حمزة: والذي أنزل عليك الكتاب، لا أطعم اليوم حتى أجالدهم
بسيفي.

«وقال له النعمان بن مالك: ان البقر المذبحة، قتلى من أصحابك، وأنا
منهم، فلم تحرمنا الجنة؟! والله الذي لا اله الا هو لندخلنها
«ثم قال: فإني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف
«وتكلم بعض بني عبد الأشهل بمثله
«وقال له أبو سعد خيثمة بن خيثمة نحوه... في كلام حسن...
«وغيره... مثله...

«فلما أبوا إلا الخروج، صلى رسول الله ﷺ الجمعة
«ثم وعظ الناس... وأمرهم بالجد... والجهاد... وأخبرهم أن النصر
لهم ما صبروا...
«وفرحوا بذلك...

«ودخل رسول الله ﷺ حجرته
«ودخل معه أبو بكر، وعمر، فعمماه وألبساه
«وصف الناس له، ما بين حجرته الى منبره.
«ينتظرون خروجه

«فقال لهم سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير: استكرهتم رسول الله ﷺ
على الخروج، والأمر ينزل عليه من السماء؟! فردوا الأمر اليه، فما أمركم
فافعلوه، وما رأيتم له فيه رأي فاطيعوه.

«فبعضهم يقول: القول ما قال سعد
«وبعضهم على البصيرة في الخروج
«إذ خرج النبي عليه السلام، قد لبس لأمته
«وقد لبس الدرع، فأظهرها، وحزم وسطها بمنطقة من حمائل سيف،

من آدم كانت عند آل أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ
«واعتم

»وتقلد بالسيف.

«فلما خرج رسول الله ﷺ، ندموا جميعاً، على ما صنعوا

»ورجع من أشار عليه بالخروج

«فقال رسول الله ﷺ: وقد دعوتكم الى هذا الحديث فأبيتُم، ولا

ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها، حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه.

«امضوا على اسم الله

»فلکم النصر ما صبرتم...»

هذه تفاصيل رائعة...

لما كان من مناقشات خالدة... بين رسول الله ﷺ... وأصحابه... هو

يرى التحصن بالمدينة... ويصارحهم برأيه: امكثوا...

هذا رأي رسول الله ﷺ...

وفريق لا يرى الأخذ برأي رسول الله ﷺ، حتى لا يفسر الموقف

على انه جبن منهم...

وشباب ثائر... يريد ان يخرج الى لقاء القوم... لينال شرف

الشهادة... وفريق يرى إطاعة أمر رسول الله ﷺ... طاعة مطلقة...

والتسليم له بما يرى...

الا أن الاكثرية كانت ترى الخروج... بما فيهم الشباب الثائر... الذي

لم يشهد بَدْرًا...

فماذا كان من رسول الله ﷺ؟

أخذ برأي الأغلبية... رغم أنه مخالف لرأيه... فإنه كان يرى عدم

الخروج!!!

فانظر جمال الحرية... يتلأأ في شخصية محمد رسول الله...

صلى الله عليه وسلم...

وانظر الى ما هو أعلى... من جميع الديموقراطيات... التي كانت...
او تكون... يتلأأ منه... في بساطة الحق... وصراحة الفطرة!!!
في معركة بذر... لا يدخل المعركة الا بعد إجماعهم على
دخولها!!!

وفي معركة أخذ... يأخذ برأي الاغلبية... ويخرج اليها... رغم انه
يرى غير رأيهم!!!

فان كانت الاولى... حكمة... ثم حرية...
فالثانية... حرية... ثم حكمة... ثم انظر الى جمال شخصيته
العسكرية... حين دخل... فدخل من ورائه ابو بكر... وعمر...
وزيرا... وصاحبا... ومشيرا... فعَمَّاه... وألبسَاه!!!
ما أجمل هذا منهما... وما أشد حبهما لرسول الله... ﷺ!!!
انهما قد نالا أشرف ما ينال انسان... في هذا المقام... شرف تجهيز
رسول الله ﷺ... للحرب!!!

بروحي... ونفسي... أفديه... صلى الله تعالى عليه وسلم!!!
لقد قرّر محمد... ﷺ... الحرب... قررها... نزولا على رأي أغلبية
أصحابه...

وها هو يلبس ملابس الحرب... ملابس الميدان...
ها هو يخرج... قائدا... عظيما... مهيبا... رائعا...
وها هم الصحابة قد صفوا... ينتظرونه... جنود... في انتظار
قائدهم... ليأمرهم بما شاء... ليطيروا الى حيث يشاء!!!
حب... فداء... عسكرية... نظام... طاعة... قل ما شئت... انهم
اكثر مما تقول... وأعلى مما تتخيل!!!

وخرج محمد... ﷺ...

في ملابس الميدان...

خرج القائد الاكبر... والبطل الاعظم...

خرج متقلدا سيفه!!!
مظهرها درعه!!!
إنها الحرب!!!
هنالك ندموا... على ما أشاروا عليه...
فماذا كان موقفه... حين ندموا...
كان خلودا... حين قال: « لا ينبغي لنبي إذا لبس لأُمته، أن يضعها
حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه. »...
لا تراجع... لا تفهقر... لتكن الحرب... كما أرادت الاغلبية...
ثم تلاً... وتلاً: امضوا على اسم الله...
ثم ازداد نوره... وانتشر: فلکم النصر ما صبرتم !!!
فكان تنفيذا وتطبيقا لقول ربه الذي بعثه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا
عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ...﴾

(آل عمران ١٥٩)

ذلكم محمد... ﷺ...
وتلك هي شخصية رسول الله... ﷺ!!!

أُسلوبه...

في إقامة...

النفوس... ؟!

من أروع آثاره... الخالدة... ذلك الأثر الخالد... الذي نحن بسببه...
اثر يكشف جانبا عظيما... من الجوانب العلى... من تلك
الشخصية... العظمى...

جانب يرشدنا... كيف كان محمد... رسول الله... ﷺ... يعالج
النفوس... ويضع لها الدواء المناسب... في الوقت المناسب...
جانب يدل على أن محمدا... ﷺ... بلغ القمة العليا... في طب
القلوب... وطب النفوس... على سواء!!!

عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ .
«فَخَاصَّ النَّاسُ خَيْصَةً
«فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ

«فَاخْتَبَيْنَا بِهَا

«وَقُلْنَا: هَلَكْنَا

«ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

«فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ الْفَرَّارُونَ.

«قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَارُونَ، وَأَنَا فِتْكُكُمْ».

(أخرجه الترمذي)

«ومعنى قوله: «فَخَاصَّ النَّاسُ خَيْصَةً» يعني أنهم فرّوا من القتال.

« ومعنى قوله: « بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَّارُونَ » والعكَّار الذي يفر الى أمامه، لينصره ليس يريد الفرار من الزحف ». هذه هي القصة...

يقصها علينا ابن عمر... ذلك الصحابي... الجليل...
«بَعَثْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ... فِي سَرِيَّةٍ»
والمعروف ان السرية هي ما يبعثه رسول الله ﷺ... ولا يخرج فيها..

والغزوة ما يخرج على رأسها...
ماذا حدث لتلك السرية؟!
«فَحَاصَ النَّاسُ حَيْصَةً»...

فر أصحاب تلك السرية... هربوا لسبب ما...
لعلهم رأوا أن المصلحة في التقهقر... والفرار من الزحف... يُعتبر في مفاهيم الاسلام... الذي جاء به رسول الله ﷺ... إحدى الكبائر...
إحدى الذنوب الكبيرة... التي تستوجب غضب الله على الفار...
ورُعِبَ الْفَارُونَ رُغْبًا عَظِيمًا وَأَيَقَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا... قد دخلوا منطقة الغضب... غضب الله...

يُعبَّرُ عن ذلك ابن عمر... فيقول: «فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ... فَاحْتَبَيْنَا بِهَا... وَقَلْنَا... هَلَكْنَا...»

وهؤلاء يعنون بالهلاك... غير ما نعني... نحن الآن...
نحن نعني بالهلاك... الخسران في الدنيا... وفوات المطالب الدنيوية...

أما هؤلاء... فالهلاك عندهم... هو الهلاك عند ربهم...
هذا ما يشغلهم... ويشغل بالهم !!!
لقد وقع الفارون... ومنهم ابن عمر... في كبيرة من الكبائر...
لقد فروا من الزحف...

لقد هلكوا !!!

وجاءوا رسول الله ﷺ ... وهم موقنون بالهلاك...
يقول ابن عمر: « ثُمَّ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ... »
«فقلنا: يا رسول الله، نحنُ الفَرَارُونَ»... اعتراف كامل... منهم...
بما وقع منهم!!!

كذلك كانوا... لا يخفون عنه شيئاً...
وكيف يخفون أمرهم عنه... وهو أعلم بهم من انفسهم؟
وما لهم لا يعرضون عليه أمرهم... وهم يحبونه... اكثر من حبهم
لأنفسهم!؟

« نحنُ الفَرَارُونَ » !!؟

نفوس صافية... غاية الصفاء... تتلأأ بما فيها...
ظاهريهم كباطنيهم... وباطنيهم كظاهريهم...
ليس هناك مجال... للوليات... النفوس... والتواءاتها...
نحن نعترف بين يديك... يا رسول الله... أننا قد فررنا من الزحف...
فاقض فينا ما أنت قاض...

إنهم يتوقون أن يحكم... رسول الله ﷺ... في قضيتهم...
اهي البراءة فيسعدوا... أم الادانة فيهلكوا...

ام بين بين... فيتوبوا... ويستغفروا!؟
فماذا كان من رسول الله ﷺ...؟

كان منه العجب!!!

قال: «بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَّارُونَ، وَأَنَا فَتَكُمُ»!!

ها هنا... ويقف التاريخ كله...

يسأل: ماذا يريد محمد ﷺ... بما قال!؟

فتجيب بحار النور... المتشعشة من مقاله: يريد ان يقلل عثرة
أصحابه... ويأخذ بأيديهم الى شاطئ التوبة...

يريد أن يقيم نفوسهم... من جديد... ويجدد عزيمتهم على الرشاد...
«بَلْ أَنْتُمْ الْعَكَّارُونَ»!!!

أي: ما فررتم من الزحف... ولكن فررتم لتنضموا الى غيركم...
انه التقهقر... حسب خطة موضوعة...
انه الانسحاب... لمعاودة الكرة على العدو...
ثم يزيدهم شرفا الى شرف فيجعل نفسه الشريفة... فثتهم... ويقول:
«وَأَنَا فِتْكُكُمْ»...

انا الجماعة التي فررتم... اليها... لتنضموا اليها... وتواصلوا الجهاد
من جديد... كانه يشير بذلك الى قوله تعالى:
﴿وَمَنْ يُؤْلِهْمْ يَوْمَنْدِ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ
فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾

(الأنفال ١٦)

فالحالتان... اللتان يجوز فيهما التولي هما...
أولا... متحرفا لقتال... أي ينسحب لمقتضيات... ليأخذ مواقع
جديدة... أصلح للقتال...
ثانيا... متحيزا الى فئة... ينسحب لينضم الى مجموعة أخرى...
ينتصر بهم على قتال العدو...
وقد جعل رسول الله ﷺ نفسه... الشريفة فثتهم...
المجموعة التي انسحبوا لينضموا اليها... ويواصلوا القتال من جديد...
وهكذا شرفهم مرتين...
مرة... حين أعلن انهم العكَّارون...
الثانية... حين أعلن انه فثتهم... وأخرجهم جميعا... بحكمه... من
الظلمات الى النور...

من ظلمات الخزي... خزي الفرار... الى نور الرحمة... رحمة
العفو... من ظلمات الانهيار... الى نور الأمل...

من ظلماتِ اليأس والفشل... إلى نور الانبعاث والتأبّي على الانهيار...
وكان حُكْمًا... تلاًّلاً من تلك الشخصية... التي ليس كمثّلها
شخصية... ليبرهن على ان محمداً... ﷺ...
يقوم في حياته... في مقامه الأعلى... الذي لا يساميه ولا يدانيه...
ولا يوازيه... مقام في الوجود!!!
مجموعة من الرجال... أرسلت في بعثة عسكرية...
لتقاتل العدو...
ففرت هذه المجموعة... واختبأت... بالعاصمة المركزية للدولة...
بالمدينة...
قضية واضحة...
الحكم فيها: إن هؤلاء قد ارتكبوا جناية عسكرية... جناية الفرار...
من الميدان... اثناء المعركة...
فهم مذنبون... يقع عليهم عقاب الفارّ من الميدان...
هذا هو حُكم الظاهر...
وهذا ما كان يظنه هؤلاء في أنفسهم... ويوجسون منه خيفة...
ولذلك جاءوه... يعترفون بين يديه...
ولو قد حكم عليهم بأشَقّ الاحكام لتسارعوا الى تنفيذها... وهم
راضون... عن حكمه...
ولكن محمداً... ﷺ... له في النفوس البشرية نظرة... غير ما ينظر
الناس جميعاً...
يرى منها خباياها... وطواياها... وسجاياها... ومنتهاها...
ويرى من قلوبهم... ظلامها... ونورها...
ونظر... ثم نظر...
فرأى ان تلك النفوس... نفوس أصحابه هؤلاء...
ذات نور عظيم... ومعدن كريم...

وَأَن هَذِهِ الظُّلْمَةُ الَّتِي مَسَّتْهُمْ... ظُلْمَةٌ عَارِضَةٌ...
اسْتَرْزَلْتَهُمْ إِلَى الْفِرَارِ... وَلَكِنَّهَا لَمْ تَدْخُلْهُمْ النَّارَ...
وَلَمْ تَحْجِبْهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ...
وَنَظَرُوا... فَرَأَى أَنَّهُمْ جَمِيعًا يَسْبَحُونَ فِي مَقَامِ الرِّضَا...
وَلَمْ يَتَدَلَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ... إِلَى دَرْكِ الضَّلَالَةِ... أَوْ إِلَى دَرْكِ الْغَضَبِ...
وَأَمَّا هُمْ قَائِمُونَ فِي مَقَامِهِمْ... الْمُنِيرِ... مَقَامِ الرِّضْوَانِ...
وَإِنَّمَا غَامَ عَلَى قُلُوبِهِمْ... كَانَ مَسًّا خَفِيفًا...
وَأَنَّهُمْ سَرَعَانِ مَا تَذَكَّرُوا... رَبِّهِمْ... فَأَبْصَرُوا... بَعْدَهَا مَبَاشَرَةً...
وَهَا هُمْ أَوْلَاءُ يَأْتُونَهُ... يَذُوبُونَ أَسْفًا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ...
وَكَانَ آيَةً اسْفَهَمَ أَنْ قَالُوا: نَحْنُ الْفَرَّارُونَ...
وَالنَّفُوسُ الْعَظِيمَةُ... حِينَ تَكُونُ فِيهَا الْهَفْوَةُ... تَرَاهَا حَزِينَةً...
أَسِيفَةً... مِنْكَسِرَةً لِرَبِّهَا...
رَأَى مُحَمَّدٌ... رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ نُورٍ...
ذَلِكَ... وَمَا هُوَ وَرَاءَ ذَلِكَ... وَمَا هُوَ أَدَقُّ وَأَخْفَى مِنْ كُلِّ ذَلِكَ...
فَاسْتَبَانَ لِقَلْبِهِ الشَّرِيفِ... أَنَّهُمْ يَسْبَحُونَ بِقُلُوبِهِمْ فِي مَقَامَاتِ الرِّضَا...
وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا زَالَ رَاضِيًا عَنْهُمْ...
وَأَنَّ أَنْوَارَ رُضَاهُ... مَا زَالَتْ تَتَلَأَلُّ فِي قُلُوبِهِمْ...
هَنَالِكَ... حَكَمَ مُحَمَّدٌ... رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...
وَكَانَ حُكْمُهُ... نُورًا... صَادِرًا عَنْ قَلْبِهِ الْكَرِيمِ... الْعَظِيمِ...
قَلْبِهِ الَّذِي رَأَى بَعِيْنَهُ الْبَاطِنَةَ... حَقِيقَةَ هَاتِيكَ الْقُلُوبِ... الْمُؤْمِنَةِ...
الْمُتَبَصِّرَةِ... الصَّاعِدَةِ إِلَى رَبِّهَا... وَمَا زَالَتْ صَاعِدَةً...
وَكَانَ حُكْمُهُ... رَحْمَةً... عَظِيمَةً...
وَسِعَتْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا... وَزَادَتْهُمْ نُورًا... عَلَى نُورٍ...
هَنَالِكَ... فَرَحَ الْفَرَّارُونَ...

ودفعهم الفرح... ان انقلبوا من فرارين من عدوهم... الى فرارين الى ربهم... ففروا اليه سبحانه وتعالى...

بل طاروا إليه... بل انطلقوا يصعدون... و يصعدون... فازدادوا قربا... وازدادوا أنسا... وازدادوا إيمانا... وكان حكمه... حقا... أقام نفوسهم على الحق... مرة أخرى... فاندفعوا على الصراط المستقيم... إلى ربهم العظيم... وكان حكمه... شرفا... كل رؤوسهم بالنور... فرفعوا رؤوسهم الى أعلى... وطأطأوا قلوبهم... سجدوا... لربهم الأعلى... وهذا مقام محمد... رسول الله... ﷺ... وحده... وهذا استعداده...

يُبصر ما لا يبصرون...
ويسمع ما لا يسمعون...
ويُحس ما لا يحسون...
ويحكم ما لا يحكمون...
ويعلم ما لا يعلمون...
فاذا رأى نفسا... قد زاغت... هَشَّ عليها يمينه... فأبت الى الطريق... سريعا...

واذا آنس من المؤمنين تهافتا على النار... دفعهم عنها الى نوره... وهو في كل ذلك... حقيقة قول ربه... تبارك وتعالى... في وصفه:
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾

(التوبة ١٢٨)

الدوائر...

الثلاث...

المقدسة... !؟

«سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ السَّمَنِ ، وَالْجُبَنِ ، وَالْفِرَاءِ ...
«فَقَالَ: الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ
وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ».

(أخرجه الترمذي)

يُسْأَلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ... عَنِ السَّمَنِ ، وَالْجُبَنِ ، وَالْفِرَاءِ ...
هل أَكُلُ السَّمَنِ ، وَالْجُبَنِ ، وَلُبْسُ الْفِرَاءِ ... جائز ؟
فكان جوابه الخالد ... أوسع من السؤال المحدود ...
وضع فيه القاعدة الكبرى للأمر كله ...
أمر ... الحلال ... والحرام ... وما وراءهما !!!
وكذلك شأنه ...
واسع العلم ... واسع المعرفة ... واسع الرحمة ...
يشرق كما تشرق الشمس على الناس جميعا ...
فتبعث الحياة الى جميع الكائنات ... طلبوا ذلك اليها ... ام لم
يطلبوا ...
وانما شأنها دائما ... ان تشرق ... وان تغمر باشعاعاتها ... وحرارتها ...
وضوئها كل شيء ...

كذلكم شأن رسول الله... ﷺ ...
نور عام... لكل البشر...
ورحمة عامة... لكل البشر...
يشرق دائما... على الجميع...
طلبوا ام لم يطلبوا...
وكما تشرق الشمس لترسل الحياة الى الكائنات بإذن ربها...
يشرق محمد... رسول الله... ﷺ ... ليرسل النور الى القلوب...
بإذن ربه...

قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ...﴾

(إبراهيم ١)

انهم يسألون عن جزئيات تافهة... السمن... الجبن... الفراء...
فيأتي جوابه عن كلييات عامة... هامة... تسع الناس جميعا... الى يوم
القيامة...

شخصية... مكنون فيها... انوار عظيمة جدا... تريد ان تخرج...
وتشرق... وتؤدي دورها في الوجود...
ولولا ان الناس... لا يطيقون اشراقه الكامل...
لأشرق عليهم بجميع ما عنده...
ولكنهم لا يطيقون...
فكان يعطيهم على قدر حاجتهم...
ويمنحهم بمقدار...

انظر الى جوابه الخالد...
الدائرة الاولى... «الْحَلَالُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».
الدائرة الثانية... «وَالْحَرَامُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ».
الدائرة الثالثة... «وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ».

ثلاثة اوقيانوسات... هادرات... تتموج بامواج النور موجا...
ثلاثة بحار... تنحدر من شاطئ الأزل... الى شاطئ الأبد...
وهي تجري في موج كالجبال...
وحين أقول: أوقيانوس...
أعني حقا... وأقرر صيدقا...
وسوف نرى... أن ذلك التعبير... دون حقيقتها بكثير...
المحيط الاول... الخلال ما أحل الله في كتابه...
انظر... الى اشعاعات أنوارها...
ثم انظر... الى انطلاقات... اشعاعات... انوارها!!!
جميع الأمر كله... فتمركز في ثناياها...
الخلال... ما هو الحلال؟
ما أحل الله؟
ماذا أحل الله؟
كل ذلك مسطور... في كتابه الذي أنزله الى الناس...
ولكن ماذا أحل الله في كتابه؟
عليك بقراءة كتابه... تجد ذلك مسطورا... واضحا... ساطعا...
وعليك بقراءة أحاديث رسول الله... ﷺ... تجد ذلك مبينا...
أوضح بيان...
وانظر الى مدى اتساع الدائرة...
انها واسعة جدا...
تشمل الحياة منذ وجدت... الى حيث تنتهي...
كل ما خلق الله في السماوات والارض... مسخر لهذا الانسان..
كله حلال للانسان!!!
كل شيء... في السماوات... في الارض... من أجلك ايها الكائن
العجيب... المسمى بالانسان!!!

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ...﴾

(الجاثية ١٣)

جمال عجيب... عجيب!!!
وكأنني برسول الله... ﷺ ... يشير الى الحياة في عمومها...
الحياة حلال... لأن الله خلقنا لنحيا...
الطعام والشراب حلال... لأن من حتميات الحياة ان نطعم ونشرب...
اللباس حلال... لأن الله انزل الينا اسباب الملابس... لنلبس...
ونتزين...
السكنى حلال... لأن الكائن الحي... لا بد له من مسكن يقيه
العوامل الطبيعية...
الزواج حلال... لأن الذي خلق الذكر والانثى... خلقهما ليلتقيا...
ويتناسلا... ويتعاوننا...
القتال حلال... لأن الكائن الحي لا بد له من الدفاع عن نفسه... إذا
اعتدّي عليه...
الطاعات كلها حلال... لأن الله خلقنا لنطيعه... لنعبده...
وما العبادات الا افانين من طاعته تعالى...
الايمان بالله حلال... لأن الله واحد... فاتخاذ شريك معه... ضلال...
وهكذا... الأصل العام في الحياة... أنها حلال...
وتجد تفصيل ذلك في كتاب الله تعالى... القرآن العظيم... وتجد بيان
ذلك كله... في بيان رسول الله... ﷺ ... الذي أمره ربه... أن يُبين
للناس ما نُزِّل إليهم...
فانظر كيف كانت الدائرة الاولى... بحرا محيطا... وأوقيانوسا
عميقا... يتلاطم بأمواج النور... تتعالى... وتتراكب... كالجبال
السارية... الجارية... الى بعيد؟!!

ولو أن البشر جميعا... انقطعوا... وتخصصوا... لاحصاء ما في ثنانيا
تلك الدائرة... دائرة الحلال... ما أحصوها...
لسبب واحد... هو تعدد... وتشعب... آحادها... الى ما لا نهاية...
قال تعالى: ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها...﴾
(التحل ١٨)

فكل ما في الحياة... نعمة... من الله عليك...
ومستحيل احصاء تلك النعم... الظاهرة... والباطنة... مستحيل...
وكأنني به... ﷺ... رحمة بالناس... يضع شواطئ... لذلك البحر
اللانهائي... فقال: «ما أحلَّ الله في كتابه...»
حتى يمكن أن تتحدد المعاني... ولو شيئا ما... في عقول البشر...
فاذا ما جئت «ما أحلَّ الله في كتابه...» انفتحت أمامك الشواطئ...
وانفسحت... وترامت الى بعيد... الى ما لا يعلم الا الله!!!
عقل واسع... ذو علم واسع... ذو نور واسع...
يريد أن يُقربها الى عقولنا... نحن الصغار...
وذلك هو بلاء الانبياء الأكبر... حين يُكلفون أن يتنزَّلوا الى عقول
الناس... ويُقربوا اليهم علومهم العليا...
وانظر كم يلاقي الاستاذ بالجامعات من المشقة... اذا كلفته أن يدرس
لأطفال في الحضانة...
تدرك كم تحمل هؤلاء الانبياء... حين تنزَّلوا الى عقولنا... عقول
الظلام!!!

البشر جميعا في ظلمات...
ظلمات الحُجب... حُجب الحياة...
والانبياء جميعا... في النور...
نور... ربهم... وما يُوحى إليهم...
فانظر كم يلاقي الأنبياء... وهم في مقامات أنوارهم... حين يخاطبون

الناس وهم في دركات ظلامهم؟
ثم انظر... كيف ينحمل... رسول الله... ذروة هؤلاء الأنبياء
جميعا... حين يخاطب الناس على قدر عقولهم...
وما أصغر عقولهم... بالنسبة الى عقله؟!!!
يسألونه عن السمّين، والجُبن، والنِّراء...
جزئيات تافهة...

قطرة... او قطيرة... بالنسبة الى بحار تنموج من حقيقته...
فكان جواه... عاما... فسيحا... ورغم انه يخاطبهم على قدر
عقولهم... الا ان ما صدر عنه... كان فوق عقولهم... وفوق عقولنا...
وفوق عقول الناس جميعا... ونقف... على شاطئ قوله: «الحلال ما
أحل الله في كتابه»... كما يقف الأطفال الصغار... على شاطئ
البحر...

يهرهم البحر... ولا يدركون منه الا ما يناسب عقولهم الصغيرة!!!
كذلك نحن جميعا... بالنسبة الى رسول الله...
فهل استبان لك الآن...
مدى اتساع الدائرة الاولى من الدوائر الثلاث...
وأنها أوفبانوس... لا نهائي... من المعاني... والرامي... والأنوار؟!!!
فاذا استبان لك ذلك...

فانتقل معي... الى البحر الثاني... الى الدائرة الثانية...
لنحاول السبح في امواجها... ولعلنا لا نفرق... جميعا...
قال «والحرام ما حرّم الله في كتابه»...
وذلك بحر لُجِّي... آخر... لا يفصل عن الأول... امتدادا... واتساعا...
ماذا حرم الله في كتابه؟
اشياء كثيرة... فصلّها في كتابه... وترك لرسوله... رسول
الى الناس كافة... بيانها...

مثل ماذا ؟

مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا إِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ* وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿

(الأنعام ١٥١-١٥٣)

هذه نماذج مما حرم الله... في كتابه...

حرم الاشراك به...

حرم الاساءة الى الوالدين...

حرم قتل الاولاد من فقر...

حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن...

حرم قتل النفس التي حرم الله الا بالحق.

حرم اكل مال اليتيم الا بالتي هي أحسن...

حرم اخسار الكيل والميزان...

حرم الظلم في القول...

حرم عدم الوفاء بعهد الله

حرم التفرق عن سبيل الله المستقيم...

هذه نماذج مما حرم الله في كتابه...

نماذج محدودة...

وهناك غيرها كثير...

تحتاج الى تتبع ما ورد في كتابه... من أوله الى آخره...
وتتبع ما حرّمه رسوله... ﷺ... لأنه يبين ما أنزل الله اليه...
وهذا كله... بحر محيط... متلاطم... شاسع... واسع...
وما من شيء حرّمه الله على عباده... الا لمصلحتهم... والرقى بهم...
واخراجهم من ظلماتهم... الى النور...
فهو سبحانه حين يحرم الاشراك... انما يستنقذك بهذا من الضياع...
لأن اتجاهاك الى ما سواه... يورثك الموت...
وحين يحرم عليك الاساءة الى والديك... انما يدخلك بذلك في
رحمته... ويعيذك من غضبه...
وهكذا يريد ربك ان يحول بينك وبين الضياع... وان يمنعك من
الانحراف... المهلك... الذي ينتهي بك الى البوار...
هذه اشارة الى الدائرة الثانية... الى البحر الثاني...
وما من محرم... الا وهو موجة عاتية... من الظلام...
فالمحرمات كلها ظلمات... تتفاوت في درجة الظلام... وتتحّد في
كونها ظلمات...
ولو اردت ان تفصل الاضرار الكامنة... في كل معصية... ما استطعت
الى ذلك سبيلا...
ولاحتجت الى مجلدات لتفصيل كل معصية على حدة...
خذ مثلا معصية الزنى...
وانظر ما فيها من ظلام... تجد العجب العجيب!!!
فهى مدمرة لكيانك الجسماني... والروحي...
تدمر بنيانك... وبدنك... وتورثك امراضا جنسية لا فكاك منها،
كالسيلان، والزهري، وغيرها...
وتدمر كيان ذريتك... حين تنتقل تلك الامراض الخبيثة اليهم..

فيخرجون الى الوجود... كائنات مشوهة... نجسة... لا تصلح
لشيء...

وتدمر اخلاقك... فالرجل الزاني... او المرأة الزانية...
لا اخلاق لهما...

فمستحيل ان تقوم الاخلاق بقلب زان... وتدمر كيان الأسر... وتدمر
كيان المجتمع...

بل تدمر كيان العالم... اذا شاعت وذاعت فيه...
وتدمر كل شيء كريم في الانسان...

فحين تسمع لقول الله في كتابه وهو يحرم الزنا، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ
إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.

(الإسراء ٣٢)

تجد نفسك امام بحر... يموج بالتحذير... والانذار...
والتخويف... فتسأل نفسك: ماذا في هذا الزنى؟

فاذا ما بحثت الامر... وجدته عظيما... وفاحشة... وساء سبيلا...
ووجدت هذا الانحراف وحده...

موضوعا... تتفرع عنه مواضيع جمّة...

وظلاما... تنشق عنه ظلمات... لا نهاية لها...

واسأل المختصين من اهل الطب... كم للزنى من مآس وامراض؟

واسأل المختصين في علوم المجتمع... كم له من آثار سيئة؟

واسأل البشرية كلها... كم عانت... وتعاني من انتشار الفحشاء؟

واسأل رجال الشرطة... والقضاء... كم مرت عليهم من جرائم...

سببها تلك الجريمة الشنعاء...

واسأل المختصين باجراءات الطلاق: كم طلاقاً كان سببه تلك

الجريمة؟!

واسأل... واسأل... واسأل... ثم خذ رأسك بين يديك... وقل:

سبحان ربي... لقد كان قول ربي حقًا!!!
تلكم معصية واحدة مما حَرَّمَ الله في كتابه... وتلك آثارها وأبعادها...
واتساعاتها!!!

فكيف بسائر المعاصي... ثم كيف بكل ما حَرَّمَ الله في كتابه؟!
بحر... لا شاطئ له... نقف أمامه... في حيرة...
ونسأل أنفسنا: أنى لنا ادراك مرامي... تلك الكلمات «الحرام ما حَرَّمَ
الله في كتابه»؟!

إنها امواج... تتعالى... وتتراكب... وتتصاعد... الى ما شاء الله...!!!
فإذا ما استبان لك الأمر... امر الدائرة الثانية... او البحر الثاني...
فقم... معي الى الدائرة الثالثة... البحر الثالث...
واسمع الى قوله «وَمَا سَكَتَ عَنْهُ، فَهُوَ مِمَّا عَفَا عَنْهُ».
فما هو هذا الذي سكت عنه؟!
هو دائرة الحياة كلها... واندفاعاتها المتتابعة... التي تتجدد يوميا...
كل ساعة... كل لحظة...

هذه تركها الله تعالى... رحمة بالناس... لا نسياناً...
سكت عنها... تخفيفاً... ولطفاً بهم... فالكلام مثلاً... مباح.
وحب الحياة... مباح...
وحب الاولاد... مباح...
وحب الوطن... مباح...
والتقلب في الحياة... ابتغاء تحقيق الحياة... مباح...
وترك ذلك كله... مجالاً للنشاط الانساني...
ولم يؤاخذ الانسان بفعله... ولا مباشرته... عفواً منه سبحانه...
ورحمة بضعف الانسان...

وهذا الذي نحن بسبيله... دائرة «مَا سَكَتَ عَنْهُ...»
بحر... متموج... تَمُوجُ الحياة نفسها... ممتد امتدادها...

هذه هي البحار الثلاثة...
او الدوائر الثلاث...
التي اطلقها رسول الله... ﷺ ... في كلمات... معدودات... ولكن
جامعات... خالدات... متفجرات بالنور...
فانظر كم جمعت، وكم أوعت!!؟
ثم تأمل بعد ذلك... الى أي مدى... كانت أنوار... تلك الشخصية
العُليا... التي ليس كمثُلها شخصية!!؟

قال لي...
رسول الله...؟!
صلى الله عليه وسلم...

«عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:
قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...
«إِذَا أَرَدْتَ اللُّحُوقَ بِي، فَلْيَكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا، كَزَادِ الرَّائِبِ
وَأَيَّكَ وَمُجَالَسَةِ الْأَغْنِيَاءِ
«وَلَا تَسْتَحْلِلْ لِي ثَوْبًا، حَتَّى تُرَفِّعَهُ.»
(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

الجمال المكنون... في هذا التوجيه...
انه توجيه من زوج... الى زوجته...
وانه توجيه من محمد... ﷺ... أعلى... وأرقى انسان...
الى عائشة... رضي الله تعالى عنها... التي كانت أحب نساءه اليه...
وانه سر... أسرّه اليها... وخصها به...
وانه يكشف جانباً... عظيماً... من جوانب تلك الشخصية العليا...
زوج!!؟

وأي زوج!!؟
انه محمد... ﷺ...
تزوج عائشة... ابنة الصديق... ابي بكر...
الذين قال فيهما... حين سئل عن أحب الناس اليه

فقال: عائشة...

ف قيل: من الرجال؟

فقال: أبوها!!!

لها في قلبه منزلة عظيمة... لما اختصها الله تعالى من صفات
كريمة... ورثتها عن أبيها الصديق...
ولأبيها عنده أعلى منزلة... من قلبه الشريف...
لما اختصه الله من مقامات عُلَى...
ومحمد... ﷺ... في دور الزوج... انما تقوم شخصيته فيه... على
احب ما يحب ربه ويرضى...
فهو الصورة العليا للزوج الكريم... الذي يؤدي الى زوجته حقوقها...
وزيادة...

تلك الزوجة... التي هذا شأنها... وتلك منزلتها من قلبه...
يخصها بوصية...

فلتنظر الدنيا... ولتسمع ماذا في تلك الوصية؟
ثم ليأت الكافة... والخاصة... صفوفًا... ليتعلموا منها... ما لم
يكونوا يعلمون!!!

تقول عائشة: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...»

يا للشرف... لك... عائشة!!!

قال لي؟!!

لقد خصها بذلك... وآثرها به!!!

ماذا قال؟

«إِذَا أَرَدْتَ اللُّحُوقَ بِي، فَلْيَكُفِّكَ مِنَ الدُّنْيَا، كَزَادِ الرَّاکِبِ»...

كل كلمة... تتموج بامواج النور وحدها... كأنه كوكب دري... له

اشعاعاته التي يرسلها وحده... دائما وابدا!!!

«إِذَا أَرَدْتَ؟!»

إذا رغبتِ يا عائشة...

والتعبير بالارادة هنا... فيه تسجيل من رسول الله ﷺ...
ان الانسان... كل انسان... له إرادة... حرة... تفعل ما تشاء... إن
يمينا... او يسارا...

رسول الله ﷺ... حين يتكلم... يتكلم الحق
وحين يعبر عن الحق... يعبر بمعايير لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا
من خلفها... «اللُّحُوقُ بِي»؟

ان تكوني معي... في درجتي عند ربي.
وذلك بعد موتك... وانتقالك من هذه الدنيا...
«فَلْيَكْفِكَ مِنَ الدُّنْيَا»... فلتقنعي من الدنيا...
«كَزَادِ الرَّاكِبِ»... بأقل القليل... كهذا الذي يستصعبه معه
الراكب... المسافر... لمهمة قصيرة...
انه لا يصطحب معه الا اليسير... الذي يبلغه الهدف القريب...
لا يصطحب أحمالا... ولا يحمل اثقالا... لانه ليس في حاجة
اليها!!!

انه يوجهها... الى ما يؤهلها... للترقي عند ربها...
ما يؤهلها للقربى... منه تعالى...
ومتى اقتربت... التحقت... وفي ذلك نور عظيم... يتشعشع في
الوجود كله...

ان رسول الله ﷺ... يُوجهها... وهي أحب صاحباته اليه...
الى الافضل لها...

وانها لا تنال الافضل... الا بالمجاهدة... وان قُربها منه...
لا يقربها الى ربها... الا اذا دفعت الثمن...
وان الثمن لا بد أن يؤدي من صميم النفس...

وان التضحية ضرورة حتمية... تجب على كل من أراد الترقى عند ربه...

وان الدرجات لا تنال بالأمانى... ولا بالانتساب الى الانبياء...
وانما تنال بالاستعداد... والإعداد...
وأن رسول الله... ﷺ... يُعطي الحق من نفسه... ومن خاصته...
ومن أقرب الناس اليه...

وأنه اذا وجّه... وجّه نحو الأعلى... والأسمى...
واذا تشعشع نوره... وسع القلوب جميعا...
واذا احبّ عائشة في دنياه... فإنه يحب ان تلحق به في أخراه...
وانه لذلك يُوجّهها الى ما يؤهلها الى تلك المنزلة...
وان مما يؤهلها... ان تزهد زهد اليقين... لا زهد التعليم...
زهدا... يصدر من أعماق فؤادها...

يدفع اليه اليقين... بان ما عند الله خير وابقى...
وأن حطامها... تلك الدنيا... دون الدون...
الذي لا ينبغي أن يشغل اهل الدرجات أنفسهم بجمعه...
وان ذلك مذهب فلسفي... علمي... بل وراء الفلسفة والعلم...
وأعلى...

وان الدنيا في اطول اعمارها تبلغ بك مائة سنة... او اقل...
بينما الآخرة ملايين السنين... وزيادة... أبدا لا ينتهي...
وهذه لحظة تنتهي...
وعلى هذه النسبة ينبغي ان يكون الالتفات...
فتلتفت الى الدنيا بمقدار عمرها... وتلتفت الى الآخرة بمقدار مكثك فيها...
فدنياك الى آخرتك...

كذرة... الى نجم كالشمس حجما...
او كقطرة الى محيط وزنا...
فكيف تشغلك القطرة... ولا يشغلك المحيط !!؟
او كيف تشغلك الذرة... ولا يشغلك النجم الكثيف !!؟
هذا هو عين الجنون...
ومن هنا يوجه رسول الله ﷺ عائشة... الى ما يرفع
درجاتها...
عليك يا عائشة... اذا كنت ترغبين... وتحبين اللحوق بي... ان
يكفيك من الدنيا كزاد الراكب...
ومتى استقامت على ذلك... واستقام ذلك لها...
وعاشت من بعده كذلك...
ظلت تترقى... وتترقى... عند ربها... فكان ذلك هو المؤهل
الطبيعي... للاحاقها بمنزلة رسول الله ﷺ
هذا توجيه... وتلك قطرات من نوره... تنزل في ظلماتنا... التي نتيه
فيها...

فما هو التوجيه الثاني؟
هو: «إياك ومُجالسة الأغنياء»...
لماذا هذا التوجيه؟
لأن الأغنياء... في الأغلب... أهل حجاب...
تحجبهم فتنة المال... عن ربهم...
مهما تحرى الغنى الحلال في امره كله... فإنه يندر ان يتخلص من
انشغالات تلك الاموال...

وهذا عائق يعوق السالكين الى ربهم...
وهو يريد لها لدرجات العلى... التي تؤهلها للحاق به في الآخرة...
فلا ينبغي لها ان تركز الى ظلماتهم...

وانما عليها ان تتلأأ في انوارها... الى ربها...
وهنا يسأل سائل: ولكن ما شأن عائشة... ومجالسة الاغنياء؟
الجواب: لأنها احدى امهات المؤمنين...
وهي محرمة على جميع المسلمين...
وسوف يكون لها شأن بعد وفاته... يرجعون اليها في كثير من شؤون
ذلك الدين... لأنها اعرف نسائه بأحواله...
كان رسول الله... ﷺ... يوجهها الى ما وجهه ربه اليه...
حين قال له: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا...﴾

(الكهف ٢٨)

أي : لازم مجالسة الفقراء... الذين تخصصوا لنا، وارادوا وجهنا...
ولا تعد عينك عنهم... الى اهل الزينة... الى الاغنياء...
لازم الذين تجردوا منها... لأجلنا...
وارادوا وجهنا... وآثروه عما سواه...
يريد رسول الله... ﷺ... لها... نفس الخلق...
الخلق الرفيع... الذي يؤهل للدرجات الرفيعة...
لتكون أهلاً... لأن ترفع عند ربها... وتلتحق به في مقامه الرفيع...
فانظر... ولتنظر الدنيا كلها... بعين الإكبار... الى تلك الانوار...
ولنتأمل كيف كان رسول الله... ﷺ...
وكيف كان يؤجّه زوجته...
ولتحكم بعد ذلك: هل استطاع ذلك... إلا من نبي... أعظم نبي؟!
ثم ماذا عن التوجيه الثالث... الذي وجّه اليه عائشة... ام المؤمنين...
وأحبهن اليه؟!!

«وَلَا تَسْتَحْلِي تَوْبًا، حَتَّى تُرْفِعَهُ».

وهذه أشق... وأدق... وأحق... بالتأمل...
يا عائشة... اذا اردت اللُحوقَ بي... لا تستخلي ثوباً... حتى
ترقعيه!!!

حتى الثوب... الثوب الواحد... البسيط...
يريد منها الا تخلعه... حتى ترقععه!!!
مقام... يا له من مقام!!!
مقام أمهات المؤمنين... وحدثهن...!!!
اللاتي قال تعالى فيهن: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ، لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ
النِّسَاءِ...﴾

(الأحزاب ٣٢)

نعم... نعم... لسن كأحدٍ من النساء حقاً...
انهن مقام غير مقام النساء جميعاً!!!
لقد فرض الله تعالى عليهن... ان يعشن على مستوى النبي العظيم...
الذي ينتسبن اليه...

وهو مستوى لا يستطيع حمله الا رسول الله... ﷺ... وحده...
فرض عليهن ان يتخلين عن زينة الحياة الدنيا...
كما فرض عليه ذلك: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾

(طه ١٣١)

وأمره أن يُخيرهن... بين أسلوبه في الحياة... وبين زينة الحياة
الدنيا...

وكان أمراً صريحاً... قاطعاً... لا هوادة فيه...
ولتسمع الدنيا كلها... الى ذلك الأمر... وهو ينتزل من السماء...
صريحاً... واضحاً... قاطعاً...

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً ﴾

(الأحزاب ٢٨)

يا لله!!!

كم تحملن... رضي الله عنهن...!!!
إما الصبر على اسلوب حياته ﷺ...
وحينئذ لهن أضعاف أجر النساء...
وإما إن أردن الدنيا وزينتها... فليطلقهن جميعا!!!
لماذا؟!!

لأن محمدا... رسول الله... ﷺ... في أعلى مقام عند ربه...
له اسلوب أعلى من اساليب الناس جميعا... وأرقى...
فينبغي على نساءه أن يكنَّ على نفس المستوى... علوا... وارتفاعا...
فهو محرم عليه الالتفات الى الدنيا وزينتها...
وهنَّ كذلك ينبغي أن يرتفعن الى نفس المستوى...
شيء لا تحتمله الجبال... بل تخرُّ له هدا...
ولكنَّ الله تعالى فرضه عليهنَّ... وطلب اليه أن يخيرهن بينه... وبين
إيثار صحبته... وعشرته...

وخيرهنَّ... ﷺ... واحدة... واحدة...
فاخترن... جميعا... الله ورسوله!!!
نجحن كلهن... في التجربة...
فسرَّ رسول الله... ﷺ... سرورا عظيما...
وكان سروره... أن اكرمه الله... في زوجاته جميعا... فآثرن الله
ورسوله...
وكان فضل الله عليه عظيما...

وليس ابهج للنفس من ان ترى رفيق حياتها... يتلاءم معها... على
نفس المفاهيم التي يأخذ نفسه بها في حياته...
ولقد كانت مفاهيم رسول الله ﷺ...
اعلى... واعلى... واعلى... مفاهيم... يستطيع أن يرقى اليها بشر...
كان... او يكون...
وهذا الشموخ في المستوى... يجعل مستحيلا ان يرتفع اليه بشر...
ذكر... فكيف بامرأة؟
إلا أنهم... نجحن جميعا في الامتحان...
وتعالين على أنفسهن... وارتفعن الى مقام مفاهيمه ﷺ...
فكان نصرا لرسول الله ﷺ... في أزواجه... وفتحنا مبينا له... من
ربه تبارك وتعالى...
وكان سروره لهذا النجاح عظيما!!!
فلتنظر الدنيا... تلك التي تجهل محمدا... ﷺ...
طوعا... او كرها...
او لعجزهم عن الحقوق به...
او لانغماسهم في ظلماتهم...
او لانغلاق قلوبهم... عن ينابيع الرحمة... والنور... المتشعشة من
قلبه الشريف...
لينظروا جميعا... ماذا عن تلك الشخصية العليا...
ماذا عنها... في نورها... وهي تسبح في مستواها الأعلى؟!!!
ماذا عنها... وهي تأبى... على زوجها... إلا أن تثابر... حتى بعد
مماته... على نفس الاسلوب... الذي كانت عليه في حياته؟!
لقد كانت عائشة... في حياته... كما يحب الله ورسوله... منها...
سيّدة... تصبر نفسها عن زينة الحياة الدنيا... ولا تمد عينها الى شيء
منها...

لتكون أهلاً... لمقام زوجة رسول الله... ﷺ...
هذا في حياته...
ولكن الاعجب... ثم الاعجب... ان يطالبها بذلك... بعد مماته!!!
وان يشوقها اليه... بقوله «اذا أُرِدْتُ اللُّحُوقَ بِـي...»
وهو يعلم يقينا انها تريد اللحوق به... في الآخرة... وبعد موتها...
فهي لا شك فاعلة... ما يريد... ويُحب...
ويحدد لها... ما يجوز لها... من الملبس...
«لا تَسْتَخْلِعِي ثَوْباً... حَتَّى تُرَقِّعِيهِ...»
لا يجوز لك يا عائشة... ان تلغي استعمال ثوب تستعملينه... حتى
ترقعيه!!!

حتى يتهلل... وترقعيه كثيرا!!!
لتعيشي على مستوى الفقراء... والمساكين...
وتحرمي نفسك... من اي زينة من زينة هذه الحياة الدنيا...
كما كنتُ أعيشُ فيها... وكما كنتُ تعلمين من شأني!!!
ذلكم محمد... ﷺ... وذلكم نوره...
وذلكم توجيهه لإحدى زوجاته... وذلكم شيء يسير... من أمره
العظيم... الكبير...

فكيف بالشخصية... في عمومها...؟!
او كيف بها... في شمولها...؟!
او كيف بها... في أنوارها... كلها...؟!
٦٠

إني...
لست...
كأحدكم...؟!

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِمْ...
 «فَتَكَلَّفُوا لَهُ طَعَاماً
 «فِيهِ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْبُقُولِ
 «فَكَرِهَ أَكْلَهُ
 «فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : كُلُّوهُ
 «فَإِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ
 «إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُؤْذِيَ صَاحِبِي».

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

و«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ
 «قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ : الثُّومُ
 «ثُمَّ قَالَ : الثُّومُ، وَالْبَصَلُ، وَالْكُرَّاثُ.
 «فَلَا يَقْرَبُنَا فِي مَسْجِدِنَا».

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

و«نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ
 «وَكَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَاماً، بَعَثَ إِلَيْهِ بِفَضْلِهِ.
 «فَبَعَثَ إِلَيْهِ يَوْماً بِطَعَامٍ
 «وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ».

«فلما أتى أبو أيوب، النبي ﷺ، فذكر ذلك له
«فقال: فيه ثوم؟
«فقال: يا رسول الله، أحرام هو؟
«قال: لا
«ولكني أكرهه، من أجل ريحه.»

(أخرجه الترمذي)

هذه زوايا... خطيرة جدا... من شخصية محمد... رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
واخطر ما فيها... انها تلقي شعاعا... الى اعماقها... فتبدو لنا الصورة
الباهرة... لارتفاعات تلك الشخصية العليا...
الاثر الاول... له قصة... نزل رسول الله ﷺ... على قوم ضيفا...
فاصطنعوا له طعاما... فيه شيء من البصل، او شيء من الثوم...
فماذا كان منه؟
«فكرة أكله»

وفي نفس الوقت قال لأصحابه: «كلوه»

فهو يحرم على نفسه اكله...

ويحل لهم اكله... ويدعوهم بقوله «كلوه»...

فما معنى هذا؟!

معناه خطير جدا...

ان محمدا... رسول الله ﷺ... يعيش على مستوى... من
التنزه... والسمو... رفيع جدا...

وهذا هو ما يعنون بقولهم «مقام»... بلغة عصرنا «مستوى»..

فهو له مقام غير مقاماتهم جميعا...

مقام لا يطيقونه... ولا يطيقه أحد سواه...

فكان أن كره هو أكله... وأحل لهم اكله...

وهذا الذي يأخذ به محمد... رسول الله... ﷺ... نفسه...
 بين البشرية كلها... لماذا يفعله؟!
 «إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ»... إِنِّي شَيْءٌ آخَرُ...
 اني عبد الله... الذي اختاره لحمل رسالته...
 ليتلقى من جبريل... ويلقي الى البشر...
 ان وظيفتي تفرض عليّ فرضاً... ان اكون على الغاية من التطهر...
 وعلى الغاية من التجميل... وعلى الغاية من الكمال...
 ثم يقول: «إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُوْذِيَ صَاحِبِي»...
 ان اوذى جبريل... عليه السلام الذي يأتي على غير موعد... وفي اي
 وقت يشاؤه ربي...
 صاحبي هذا يتأذى بالرائحة الخبيثة... فلا ينبغي ان آكل شيئاً ذا رائحة
 كريهة... ينبغي ان اكون حيث يحب...
 ينبغي الا يجد مني ما يكره...
 وفي ذلك من الاسرار... والانوار... ما فيه...
 اما الاثر الثاني... فهو توجيهه الى اصحابه.
 «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ... الثُّومُ... والبَصْلُ... والكُرَّاثُ... فلا يَقْرَبُنَا فِي
 مَسْجِدِنَا»...
 لماذا؟

لتحقيق الجو الملائم للمناجاة...
 فان المصلين يجتمعون في المسجد لمناجاة ربهم...
 وتتنزل عليهم الملائكة... اثناء هذه المناجاة... وتلك الصلوات...
 والملائكة تتأذى من الروائح الكريهة... فتحتم اخلاء المساجد من
 تلك الروائح...

واما الاثر الثالث... فله قصة...
 ابو أيوب يسأله: لماذا لم يأكل من ذلك الطعام؟

فيجيبه: «فيه ثُومٌ»!؟!
فيقول ابو ايوب: يا رسول الله أحرامٌ هو؟
فيقول رسول الله ﷺ ذلك القول الخالد: «لا»
ليس حراما... عليكم... وعلى الناس...
ثم يحدد مقامه... ﷺ...
فيقول: وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ، مِنْ أَجْلِ رِيحِهِ!!!
هو يكرهه... من اجل رائحته الخبيثة!!!
لماذا؟!

حدد ذلك في أثر آخر من آثاره الخالدة قال فيه لصاحب له: «كُلْ
فإني أناجي من لا تناجي».
هذه زوايا... من اختيارات... تلك الشخصية... لسلوكها...
الرفيع... في حياتها الدنيا...
ومحمد... ﷺ... هنا... يعلو على البشر جميعا...
فالمألوف من سادة الناس... انهم يختصون انفسهم... بمزايا الأبهة...
وقاخر الأطعمة... ولذيد العيش... وسائر الامتيازات المادية...
يختصون انفسهم بذلك... إما استكبارا في الارض بغير الحق... وإما
ظلما وازورارا... عن المستضعفين...
وهم يصطنعون لتسويغ ذلك لانفسهم فلسفات... وقوانين...
والناس ينظرون اليهم... إما حسدا وحقدا...
واما يتمنون أن يكون لهم مثل ما لهم!!!
والسادة ينفخون انوفهم... ويزدادون في الارض مرحا!!!
وهذا شأن الناس دائما...
إمّا سادة لهم كل شيء...
واما مستضعفون ليس لهم الا القليل!!!
الا... رسول الله... ﷺ... فهو على النقيض من ذلك دائما...

وتلك هي القوة من شخصيته العليا...
يقف محمد... ﷺ... في مقامه... مقام السيادة الجامعة... فهو
سيد ولد آدم ولا فخر...

الا انه ينزل عن كل شيء من زينة الدنيا للناس...
ويعيش هو... على مستوى المساكين... الذين لا يجدون ما
يكفيهم...

وتأتيه الدنيا... خاشعة بين يديه... فيرفضها... ويؤثر الآخرة عليها...
ويدعها... لأهلها... وما أهلها الا الناس جميعا...
فنحن جميعا أهل دنيا... الا هو...
ولذلك كان تعبيره «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ»...
دنيانا نحن... لا دنياه!!!

هذا هو التفوق... في تلك الشخصية الباهرة... القاهرة...
انه يقهر المستويات كلها... ويرتفع عليها...
ويسمو الى مقامه الاوحد... ليكون هو وحده... «عَبْدُهُ»...
الاكمل...

هذا من ناحية ظاهر الشخصية... من زاوية زينة الدنيا...
اما من زاوية الباطن...
فأعلى... وأسمى... وأرقى...
ينأى بنفسه عما يجوز للناس... وما يحل لهم...
هذه هي البقول... يدعها لهم... اما هو... فلا...
ان له شأنًا آخر... ارقى... انه يتاجي من لا يتاجون...
وهذا الباب هو ما يسمى بـ «خصوصيات» رسول الله ﷺ...
الناس كلهم... حتى أصحابه... في مستوى... وهو وحده في
مستوى اعلى...

وهذا الاختصاص... او هذا الخصوصية... هو ما يقف فيه

محمد... ﷺ ... أعلى من البشرية كلها...

ان الناس يتنافسون دنياهم...

وهو يدعها لهم... ويذهب بنفسه الى اعلى... الى ربه تبارك وتعالى...

ويوغلون في المشتبهات... كهذه القول...

فيتركها لهم... ويسمو بنفسه الى ما هو أرقى...

وينامون ليلهم... ينفخون ملء البطون...

وهو يقوم ليله... لا يدع القيام ليلة واحدة منذ بعثه الله... لماذا؟

تأهिला لنفسه الى مقامها... وارتفاعا بها الى ربها...

ويوجهه الله تبارك وتعالى الى ذلك فيقول: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا...﴾

(الإسراء ٧٩)

من كل ليلة... تهجد بهذا القرآن... لماذا؟

﴿نافلة لك...﴾

زيادة لك... زيادة عن سائر الناس... لماذا؟

﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا...﴾

لتؤهل نفسك الى مقامك الأسنى...

مقاما محمودا!!

فوق مستوى البشر جميعا!!!

يحمدده جميع الخلائق!!!

ويدع اصحابه في رمضان... يصومون... ويفطرون...

وهو يواصل الايام والليالي... طاويا... بلا طعام ولا شراب... طوال

تلك الايام والليالي...
ويحب اصحابه ان يقلدوه... ويفعلوا كما يفعل...
فيأبى... وينهاهم عن الوصال!!!
لماذا؟
لان ذلك مقامه وحده وهم لا يطيقون!!!
ويُحل الميراث... ويدعو اصحابه الى ابقاء شيء من اموالهم... يرثه
اولادهم من بعدهم...
اما هو... فلا يدع شيئاً...
ويطلقها خالدة: «نحن معاشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة»!!!
لماذا؟
لان ذلك مقامه وحده...
لا يطيقه أحد سواه...
ويعبر... محمد... رسول الله... ﷺ... عن هذه الحقيقة... ابلغ...
واحكم... واصدق... تعبير... حين يقول: «فإني لست كأحدكم»!!!

عندمَا...
يكشف أسرارَ...
النفس البشرية...؟!
--

هل هو اشعاع طبي؟
هل هو اشعاع نفسي؟
هل هو تحليل لأغوار النفس؟
هل هو غيب... من عالم الغيوب؟
هل هو مفتاح... يفتح مغاليق النفوس؟
ما نحن بسبيله... كل ذلك... واكثر... واكبر...
فعلى البشرية... في شتى مستوياتها... في جميع انحاء الكرة
الارضية...
ان تتقدم صفا... صفا...
لتعلم من إمامها... اسرار العلوم... وانوار الحكمة...
وتتسلم يديه... الشريفتين... مفتاح النفوس... جميعا... نفساً...
نفساً...
ثم لتجلس بين يديه... في خشوع... ولتسمع اليه وهو يتكلم...
ولو أن هذه البشرية... الحائرة... في ظلماتها...
الدائرة... في فراغ اهوائها...
آبت اليه... ولو لحظة من حياتها...

لأنبجست في قلوبها ينابيع الحقيقة... ولانفجرت في افئدتها عيون النور...

ولاستقامت لها الامور...

وانفتحت لها رحمت السماء مدرارا... قال مَنْ خَلَقَ... وهو اللطيف
الخير: ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ
وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾.

(النساء ٦٤)

﴿وَلَوْ﴾!!؟

لو حدث هذا منهم...

﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾... إذ أظلمت نفوسهم... إذ انحرفوا...
فاظلموا...

إذ فشا في الأرض ظلام الظلم والنظام...

﴿جَاءُوكَ﴾ ١؟

جاءوك... يا رسول الله... يا أكرم مَنْ خَلَقْتَ...

يا من أرسلتك رحمة لهم جميعاً!!؟

جاءوك... في حياتك... إذ كنت حياً بينهم...

وجاءوا تعاليمك... في مماتك... إذ تركتهم... واخترت الرفيق

الأعلى...

لو أنهم فعلوا... ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ...﴾ فطلبوا التجاوز عن ذنوبهم
من الله...

فتوجهوا إلينا... ليخرجوا من ظلماتهم... إلى النور...

﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾... ودعا لهم رسول الله... ﷺ... ربه...

ان يغفر لهم ذنوبهم...

ماذا يحدث!!؟

﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ﴾... فوراً...

﴿تَوَّاباً﴾... واسع التوبة... يتوب عليهم فوراً... يتجاوز عن ذنوبهم...

بمجرد توجههم اليه تعالى...

لماذا؟!!

﴿رَحِيمًا﴾...لأنه واسع الرحمة... ما ان يتجه اليه الناس...
ما ان يفتح الناس قلوبهم لربهم... حتى تتدفق امواج الرحمة الى
قلوبهم...

ان رحمته تعالى... تُهْمُ الكون كله...
وانما الانسان هو الذي يغلق قلبه دونها...
فما ان يفتح قلبه... حتى يحدث الامتلاء فوراً من تلك الرحمات...
فلو ان هذه البشرية الحائرة... التي تدور في دائرة مفرغة... من
الظلام... لو انها جاءت محمداً... ﷺ...
لو انها جاءت تعاليمه... واستمعت اليه...
لسمعت العَجَب...

لانفتحت لها السُّبُل... سُبُل السلام... الى ربها...
ولكنها... أبت... وتأبت!!
والآن... فليسمع أهل الارض... اليه... وهو يتكلم...
«عَنْ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: الْكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَفْعَاءٍ
وَالْمُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مَعَى وَاحِدٍ».

(أخرجه الترمذي)

وقصة أخرى... تفصّل ذلك الاشعاع تفصيلاً...
«عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - ضَافَهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ...»
«فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ
«فَحُلِبَتْ
«فَشَرِبَ
«ثُمَّ أُخْرِى
«فَشَرِبَهُ»

«ثُمَّ أُخْرِى
 «فَشَرِبَهُ
 «حَتَّى شَرِبَ، جَلَابَ سَبْعِ شَيَآءٍ
 «ثُمَّ أَصْبَحَ مِنَ الْقَدِ
 «فَاسْلَمَ
 «فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ
 «فَحَلَبَتْ، فَشَرِبَ جَلَابَهَا
 «ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى
 «فَلَمْ يَسْتَمِهَا
 «فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ
 «وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

ما معنى هذا؟!
 هل كان... طيبيا...
 كلا... ما كان طيبيا...
 هل كان عالما من علماء النفس؟
 كلا... ما كان عالم نفسيات...
 اذن ما كان شأنه؟
 كان أعلى... من ذلك... وأعلى...
 كان نورا... يستطيع... فيقطع... الشك باليقين...
 فالطب وان كان علما عظيما... الا انه علم ظاهر... لا يدري عن
 الباطن شيئا...
 وعلم النفس... مهما بلغ من الإحكام... الا انه دون ادراك اعماق
 النفوس...
 وليست كذلك النبوة

فانها علم كُلِّي... يحيط بالجزئيات... والكُلِّيات... ويراهها كلها في عمومها...

فاذا شع... فانما يشع... شمولاً... للأمور... في بواطنها وظواهرها...

وهذا انما يتأتى للأنبياء... مما آتاهم الله من لدنه من نور... نور قدسي... فوق الانوار المحسوسة... الملموسة... نور الهي... منه هو... مباشرة...

تجد ذلك مكنونا في مثل قوله سبحانه:

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتِيَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾

(الكهف ٦٥)

ذلك العلم الذي ذهب موسى — كليم الله — ليتعلم منه... فوقف من ذلك العبد... كأنه لا يعلم شيئاً!!! ومن موسى!!

ذلك الذي كلمه الله تكليماً!!!

قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾!!!

(النساء ١٦٤)

هذا الذي هذا شأنه... ذهب يزيد علمه... من علم ذلك العبد!!! فما معناها؟!

معناها... ان خزائن علم ربك... لا تنفذ...

يؤتي منها... ما شاء... لمن يشاء... الا أن هذا الإيتاء... يتنزل على قدر الاستعداد...

ومن هنا قيل: الامداد... على قدر الاستعداد...

فمن كان اناؤه أوسع... كان عطاؤه أوسع...

ومن هنا كان الانبياء... اوسع الناس عطاء...

أوسعهم علماً...
يتأتى للنبي الواحد منهم... من العلم... ما يزن علوم أمته... وزيادة...
وكان الانبياء... في ذلك درجات...
قال تعالى: ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾
(يوسف ٧٦)

فما أوتي آدم... غير ما أوتي نوح...
غير ما أوتي ابراهيم... غير ما أوتي داود...
غير ما أوتي سليمان... غير ما أوتي موسى...
غير ما أوتي عيسى... غير ما أوتي محمد...
صلوات الله وسلامه... عليهم... أجمعين...
وكان محمد... رسول الله... ﷺ... من الأنبياء أعلاهم درجة...
وأقربهم من ربهم منزلة...
فكان علمه... أعلى علومهم...
وتأتى من ذلك... أن كان علمه... أعلى من علوم الناس اجمعين...
تلك قضية... بديهية... لا حاجة بها الى منطق او برهان...
والأنبياء يؤتيهم الله العلم... منه مباشرة...
لا يكون ذلك بتعلم... او بوسائل التعليم المعهودة...
وانما يكون عن طريق التلقي المباشر... من الله تعالى...
وذلك هو أعلى انواع العلوم على الاطلاق...
لأنهم يتلقون الشيء المصفى... النور الذي لا ظلام فيه...
اما علوم التعلم... فذلك كله... محاولة للخروج من الظلام...
ومهما ارتقت علوم البشر... فانها تنتهي... حيث تبدأ علوم الرسل...
فهم لهذا ائمة الناس... دائماً... وأبدأ...
وانموذج ذلك العلم... علم الانبياء... يتجلى لنا من خلال ذلك الاثر
الذي نحن بسبيله...

رجل... كافر؟!
ما معنى كافر... هذه... التي يكثر تردادها في النصوص السماوية؟
معناها عميق جدا...
معناها اللغوي... منكر لربه... ورسالاته ورساله... وكتبه...
ومعناها الحقيقي... متجه الى غير ربه...
ما معنى هذا؟
انما يكون ذلك بالقلب...
قلب متجه الى الله... فهو المسمى بالمؤمن...
وقلب متجه الى غير الله... فهو المسمى بالكافر...
والقلب المتجه الى الله... هو الذي يستنير بنور الله...
والقلب المعرض عن الله... المتجه الى ما سواه... هو ما يسمى
بالكافر...
وهذا القلب مظلّم... لا يبصر... ولا يسمع... ولا يفقه شيئا عن
ربه...
كان الرجل... الذي نحن في قصته...
المعبر عنه بقولهم: « أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَافُهُ ضَيْفٌ كَافِرٌ... »
أي رجل قلبه ليس متجهاً الى ربه...
رجل مظلّم... لا يعرف الله
وها هنا تناقض لطيف جدا!!
ضيف كافر... اعني قطعة من الظلام...
ينزل ضيفا على محمد... ﷺ الذي هو نور على نور!!!
ظلمة... في ضيافة... نور الانوار...
او رجل في الدرك الاسفل من الظلمات... في ضيافة النبي الذي هو
اعلى مقامات النور!!!
فلننظر ماذا كان من القصة؟

«فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ... فَحُلِبَتْ... فَشُرِبَ...»
حلبوا له... فشرب حلابها كله...
«ثُمَّ أُخْرِي... فَشُرِبَتْ...»
حلبوا له أخرى... ثانية... فشرب حلابها كله...
ثُمَّ أُخْرِي... فَشُرِبَتْ...
ثم ثالثة... فشرب حلابها كذلك كله!!!
«حَتَّى شَرِبَ... حَلَابَ سَبْعِ شَيَآءٍ»
لقى الرجل الى جوفه... كمية ضخمة من اللبن... حلاب سبع
كاملة!!!

هذا ما حدث من الرجل... الكافر...
لقى مالقى... الى جوفه... وكأن جوفه بئر تبلع!!
ونام الرجل ليلته...
ثم اصبح من الغد...
اصبح الصباح عليه... فحدث فيه أمر منه عظيم!!!
حدث انقلاب هائل... دوى في اعماقه...
لقد استدار الرجل... واعطى وجهه الى ربه...
لقد تم الانقلاب... بعد ان كان قلبه موغلا... في الظلمات... يتجه
الى الشيطان...
استدار الى الوجهة الصحيحة... استدار قلبه الى ربه...
وهذا معنى قولهم «فَأَسْلَمَ»؟!
اي شهد انوار رسول الله ﷺ...
فقامت العاصفة بقلبه...
وتحول ذلك القلب من الاتجاه الى الظلام... الى الاتجاه الى النور...
الى الله...
هذا هو معنى فَأَسْلَمَ... اي استسلم لربه... واتجه اليه...

ثم ماذا حدث بعد ذلك؟
 جاء موعد الافطار...
 «فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِشَاةٍ ... فَحُلِبَتْ ... فَشَرِبَ حَلَابَهَا...»
 «ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِأُخْرَى ... فَلَمْ يَسْتَمِمْهَا...»
 لقد حدث تطور خطير...
 الرجل الذي كان بالأمس ... يأكل كالبهيم ... يريد أن يملأ أمعائه ما
 استطاع ... ولا يشبع...
 هُوَ هُوَ الآن... الذي انخفض مستوى ما يلتهم ... الى السبع...
 من ٧ الى ١... هذه هي نسبة الانخفاض الذي حدث... في رغبة
 الرجل في تناول الغذاء والطعام!!!
 لم يستطع أن يتم الثانية...
 وبالأمس التهم حلاب سبع شياه!!!
 فما الذي حدث للرجل؟
 انه هو هو... لم يتغير...
 أمعائه هي هي...
 فمُه هو هو...
 بَدَنُه هو هو...
 فمن اين جاءه هذا التغير العجيب؟!
 لو سألت اهل الطب لقالوا: لا ندري، ولو سألت علماء النفس لقالوا:
 لا ندري.
 وبينما البشرية... وعلى رأسها علماؤها... لا يدرون...
 اذ برسول الله ﷺ...
 يتلأأ من مقامه... مقام نور الانوار... ويرسلها... لتضيء للعالمين...
 «الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ...»
 «وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ...»

قُضِيَ الامر... الذي فيه يختلفون...
وفَصَّلَ محمد... رسول الله... ﷺ... في القضية...
وجاء حُكمه فصلَ الخطاب... ونور الأسرار... وسر الأنوار...
وكاشف الاغوار...

«المؤمن»... من هو المؤمن؟
هو الانسان الذي صدق بوجود ربه... المؤمن!!!
ثم يرسل اشعاعه... اشعاع النور... فيقول: «يَشْرَبُ في مَعَى
واحد».

وليس المعنى هو الشراب وحده... وانما كل ما يدخل الجوف... من
شراب... او طعام...

هذا النوع اذا شرب او طعم: فانما يشرب في معى واحد...
فما هي مكونات هذا الكلام الثمين!!؟
مكونون فيها... ان امعاء الانسان... تنبسط... وتنقبض... فهي
مطاطة... تتأقلم حسب كمية الطعام والشراب الملقى اليها... المنحدر
اليها...

ومكونون فيها ان المعدة: والامعاء الدقيقة: والامعاء الغليظة... كلها
كذلك...

قبض... وبسط...
فالانسان الذي آمن... انسان اتجه الى النور... فاشرق نور ربه في
قلبه...

ومتى حدث ذلك... تغيرت نظرت الانسان الى الامور...
فاصبح يرى القليل كثيرا...

وما هو تافه من نعم الله عظيما...
وما هو من بسيط الطعام شيئا فخيما...
واصبح يرى نعمة الله عليه في كل امره...

حياته ... قيامه ... نومه ... طعامه ... شرابه ...
كل ذلك من نعمة الله عليه ...
ثم ادرك ان الامتلاء حجاب يحجبه عن ربه ...
وان الجوع يسقط الحجب ... ويفتح الطريق اليه ...
ثم ادرك ان القلب لا ينشط الا اذا قل الطعام ... ولا يكسل الا اذا كثر
الطعام ...
ثم اشتدت رغبته في التخفيف من تلك الاثقال ... اثقال الطعام
والشراب ... ما استطاع ... ليستطيع ان ينقلب الى ربه سريعا ... ويفر اليه
فرارا ...

هنالك انقبضت نفسه ... عن التهالك على الطعام والشراب
وقنع بالقليل ... وقلت رغبته في الطعام والشراب تبعا لذلك ...
كأن شيئا من هذا ... ينفجر في نفس كل مؤمن ...
فيؤثر بآثرا مباشرا في احساسه نحو الطعام والشراب ...
ومتى قل طعامك وشرابك ... انكملت معدتك وامعاؤك ... وانقبضت
تبعا لقلة الطعام الذي يسري فيها ...
ومتى ألفت ذلك ... زاد انكماش امعائك ...
فتقل رغبتك في الطعام ... تبعا لانكماش امعائك ...
وانكماش نفسك ... عن الاشتهاء !!!
والذين أدّبوا انفسهم في هذا السبيل ... سبيل القناعة بالقليل ... بلغوا
شأوا عظيما ...

حتى قال قائلهم: الجوع مفتاح الآخرة ...
ومن هنا ... نرى الانبياء ... اقل الناس طعاما وشرابا ...
وارغبهم في سلوك مسالك الجوع ...
ولو كانت الدنيا بحذافيرها في ايديهم

لأنهم اعلم الناس... بما للجوع من آثار حميدة... على مقاماتهم عند ربهم...

والمؤمنون من ورائهم... في ذلك منازل... ودرجات...
وجوع الانبياء... مذهب نوراني... وليس كما يظن الجاهلون...
جوع حاجة وفقر...

فلقد كان منهم ملوك أولو سلطان وعزة... ومع هذا كانوا يجوعون...
هذا هو داود... الملك النبي... كان يصوم يوما ويفطر يوما... الدهر كله...

لماذا ١٩

لينعم بنعيم الجوع... ويزداد من ربه قربا...
هؤلاء العظماء... الأنبياء... يجوعون قرّة... ولا يجوعون عجزا عن الطعام...

والمؤمنون في تلك المفاهيم... المفاهيم الروحية... يتفاوتون...
وعلى قدر رقي أحدهم... تكون رغبتهم في الجوع... كلما كان كلما كان ارقى... كان الى الجوع اقرب...
وكلما كان اقرب الى ربه... كان الى الجوع اقرب...
ومن هنا تنفتح لنا اسرار تلك الحادثة الفذة الفريدة...
حادثة ذلك الضيف... الذي أصبح... فأسلم... فانخفض شرايه الى السبع...

لقد فقه الرجل...

لقد انقلبت احساسه كلها... حين انقذف نور الايمان في قلبه...
حين كان كافرا... مظلما... كان يرى الحياة متعة... وتلذذا...
وشهوات... وطعاما... وشرابا... ونساء...
فلما أسلم... وآمن...
اشرقت شمس الايمان في قلبه...

فرأى الحقائق على حقيقتها...
رأى جواهر الظواهر... وبواطن الأمور...
رأى انه كان مجرماً... حين كان يطلق نفسه مع هواها...
وكان حيواناً حين كان ينطلق مع شهواته...
وكان بهيماً حين كان يعيش للذة والمتعة...
اما الآن فانه يرى الحياة بنور جديد...
يراه لحظة تنقضي ومن ورائها أبد لا ينتهي...
وأنه لا ينبغي ان يلتفت إليها باكثر مما تساويه بالنسبة الى الآخرة...
وانه محاسب عن أعماله كلها...
وأن هذه الاعمال ينبغي ان تُحد بحدود الله والا تمتد خارج تلك
الحدود...
وأن كل متعة... ولو كانت حلالاً... تحجب الانسان شيئاً ما عن
ربه...
وأن الخير في التخفف من المتع ليكون القلب اكثر تحليفاً في
السماء...
وأن الشر كله... ان يحتجب الانسان بشهواته عن ربه...
وأن سبيل الترقى اليه سبحانه... هو الزهد في الشهوات ما استطاع...
وأن نفسه التي كانت تستعبده...
صارت مغلوله... بقيود الشريعة...
وأنه الآن بعد ان كان عبداً لهواه... صار عبداً لمولاه...
بعد ان كان اسيراً لشهواته... صار اسيراً للشريعة...
وانه قد فاته الكثير... فعليه ان يجد في المسير...
هنالك انقبضت نفسه... حين انشرح للايمان صدره...
واطمأن قلبه... حين جزعت من الظلام نفسه...
هنالك قلت رغبته في شراب الالبان...

وانخفض ما يكفيه إلى سُبُع ما كان يرغب فيه بالامس !!
تلك شعاعات... تومئ الى تلك الاسرار الكبرى التي اذاعها رسول
الله ﷺ... حين أعلن: «المؤمنُ يَشْرَبُ في مَعَى واحدٍ...»
وهي تسجل... ان محمداً... رسول الله... ﷺ... كان يرى ما لا
نرى...

ويعلم ما لا نعلم...
ويصير بعيني قلبه ما لا نبصر...
ثم ها هو يقول: «والكافرُ يَشْرَبُ في سبعةِ أمعاءٍ!!»
حين كان ذلك الرجل بالامس... كافراً... كان يشرب في سبعة
امعاء!!

لماذا؟!
لأنه كان يرى الحياة لذات... ومتاعا... وشرابا... وطعاما...
كان يريد ان يلتهم من ذلك اكبر قدر مستطاع... لينعم اكبر نعيم
مستطاع...

وهؤلاء يبين الله تبارك وتعالى لنا صفاتهم فيقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا
يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾
(محمد ١٢)

يأكلون كما تأكل الدواب...
ويتمتعون كما تتمتع الدواب...
بل هم أحط من الحيوانات...
فان الحيوان اذا شبع... ترك الطعام... ولم يقربه... لانه يتحرك
بالغريزة...

اما هؤلاء الكفار... والفجار... فانهم يستمرون في التهام الطعام
والشراب... لان عقولهم المنحرفة توحى لهم... ان في ذلك خيرا يعود
عليهم!!!

وهذا مكنون في قوله تعالى: ﴿... إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾...

(الفرقان ٤٤)

ومتى اكل الكافر... بهذا الشعور... انبعجت امعاؤه...
ومتى انبعجت... صارت كالبالوعة... كلما ألتقى اليها جديدا...
قالت: هل من مزيد
ويظل على هذا... كلما أكل لا يشبع...
وهذا هو المشار اليه بقوله: والكافر يشرب في سبعة امعاء...
اي ان امعاءه تنبعج... وتتراخي... حتى تأخذ حجم سبعة امعاء
منفصلة... بسبب شعور الايمان!!!
وهكذا... من مقام النبوة... وعلو آفاقها...
وقف محمد... رسول الله... ﷺ... يبين للبشرية... اسرارها...
اسرار ظلماتها... واسرار انوارها...
فكان بيانه شيئا... لا يستطيعه أحد سواه...
وكان بيانه توجيها... للجميع...
كأنه يريد ان يقول: ايها الانسان... اذا اردت ان ترتفع بنفسك فعليك
بالايمان... بالتوجه الى ربك...
هنالك تبدى لك حقائق الامور... على حقيقتها... عارية من
الزيف... والخداع...

هنالك تدرك ان الخير كله في الايمان بربك...
وان الشر كله في الكفر بربك...
اذا اردت ان تزيد رزقك فعليك بالايمان...
فالايمان يزيد الرزق...
واذا اردت ان تسعد فعليك بالايمان... فهو وسيلة السعادة...
واذا اردت ان تقترب فاقبل طعامك... يفتح لك...

وهذا كله... مستوى... من التوجيه... لا يستطيع الا للانبياء...
فالخير المكنون في شخصية محمد... رسول الله... ﷺ... خير
عام... مطلق...

يتفتح للبشرية كلها ليغرف منه مَنْ يشاء بكلتا يديه.
إلا أنه لا يتفتح... إلا لمن كان له قلب...
كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى
السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

(ق ٣٧)

فمن فتح قلبه... امتلأ من اشعاعاته...
ومن أغلق... فقد حرم الخير كله!!!

فإن تابَ تابَ اللهُ عليه...
فإن تابَ تابَ اللهُ عليه...
فإن تابَ تابَ اللهُ عليه...

هذا الحديث... خير من الدنيا وما فيها... وخير مما طلعت عليه الشمس...

حديث تتشعشع انواره... بعيدا... لتملأ آفاق المملأ الاعلى... والمملأ الادنى... في آن...

فيه انوار مركزة... لو انفتحت محابسها... وانكشفت حجبها... لاضاءت ما بين الارض والسماء...

ما هو هذا الحديث؟!

اليكموه... تدارسوه... وتعلموه...

«قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ شَرِبَ الْحَمْرَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً

«فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ

«فَإِنْ عَادَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً

«فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ

«فَإِنْ عَادَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً

«فَإِنْ تَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ

« فَإِنْ عَادَ الرَّابِعَةَ لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً أَرْبَعِينَ صَبَاحًا
«فَإِنْ تَابَ، لَمْ يَتُبِ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرٍ الْخَبَالِ
«قِيلَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمَا نَهْرُ الْخَبَالِ؟
«قَالَ: نَهْرٌ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ.»

(أخرجه الترمذي)

في الحديث... اشعاعات التربية... على اوضح ما تكون تلك
الاشعاعات...

رجل سكير... اعتاد شرب الخمر...
هذا الرجل... يحلل رسول الله... ﷺ ... شخصيته...
استغفر الله... فما هو بحاجة الى تحليل...
وانما هو يكشف الأمر كشفا مباشرا...
وانما التحليل يكون للعاجزين... عن الوصول الى الأمر... دفعة
واحدة...

يقول: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ، لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ صَلَاةً، أَرْبَعِينَ صَبَاحًا»
لماذا؟!

لأن من لم تنهه صلاته فلا صلاة له!
لماذا؟

لأن الصلاة شرعت... لتنهى الانسان عن الفحشاء والمنكر...
فاذا لم تنهه عن تعاطي الخمر... فصلاته هي والعدم سواء...
لماذا؟

لأنها حينئذ تكون صلاة اوتوماتيكية... مجرد حركات بهلوانية... لا
أثر لها في قلبه...

وأیما طاعة لم تورث المرء نورا في قلبه... فهي والعدم سواء...
وأیما صلاة لم تعقب في القلب اتجاهها فهي كلا صلاة...

من هنا قرر رسول الله ﷺ ... أن من شرب الخمر... لم يقبل الله
له صلاة أربعين صباحاً...

أربعين يوماً... تضع فيها صلاته... وليته ما صلى!!!
ولكن لماذا العدد أربعون بالذات؟
ذلك ما استأثر رسول الله ﷺ ... بعلمه...
وانما نحن اطفال... مهما أوتينا من مفاهيم... ونحن نحاول ادراك
تلك الاسرار...

وهكذا يبدو العجز في عقولنا واضحاً... دائماً وابدأ...

بالنسبة الى آفاقه العليا...
إذا قال رسول الله: أربعين صباحاً...
كان معناها... انه اذا ع الحق... ونطق الصدق...
لانه لا يقول الا حقاً...

فإن عجزنا عن الادراك... كان علينا ان نسلم بذلك تسليماً...
وان نتهم عقولنا... ولا نتهم النص... مهما بدا لنا غريباً...
ويوم يفتح الله على عقولنا... بادراك اسرار ذلك... يومئذ نشرك... ان
محمد ﷺ... كان صدقاً وحقاً... وان عقولنا كانت عجزاً وضعفاً!!!
وحين يذيع رسول الله ﷺ... ذلك النبا الخطير ومن شرب
الخمر، لم يقبل الله له صلاة، أربعين صباحاً...،

يعصف الرعب... بقلب شارب الخمر... عصفاً...
وحين تقوم عواصف الخوف بقلب السكران... كان ذلك بداية
الانقلاب في نفسه...

فيسري فيه الندم... على تناول الخمر...
ذلك الاذى... الذي حرمة نعمة قبول صلاته... أربعين يوماً... واي
خسارة اكبر من انقطاع المرء عن ربه أربعين يوماً...

هنالك... ينقم شارب الخمر على نفسه...
ويبدأ في التفكير بينه وبين نفسه:
لماذا أشرب الخمر؟... لماذا لا أكفّ عن هذا الداء؟...
كيف اهبط بنفسي الى مستوى الرعاع والفجار؟... كيف تأتي مني
هذا الاجرام؟
ومتى وصل شارب الخمر... الى هذا القلق النفساني...
وجد هنالك رسول الله... ﷺ...
يتلقاه ببشراه الواسعة... ورحمته الممتدة: «فإن تاب، تاب الله
عليه»!!!
فان اقلع عن شرب الخمر... ونبذها... وانقلب الى ربه... منيا
اليه...

متجها اليه...
«تاب الله عليه»!؟
قبل الله رجوعه اليه... وتلقاه بمغفرته... وأسقط عنه ما كان منه من
أوزار!!!
لماذا؟
لان الله تعالى... لا يرد القادم اليه أبدا.. ما دام صادقا في اتجاهه
اليه... مستحيل ان تتجه اليه تعالى... مخلصا له... تريده وحده...
ويردك عن بابه...
بل يفتحه تعالى... عليك... واسعا... يسعك... ويسع ذنوبك
كلها...

ولكن هذا التائب... الراجع الى ربه... الهاجر للخمر...
قد ينتكس... وينقلب الى دائه... مرة اخرى...
ويعود الى الخمر... يعب منها عبا...
لقد تقهقر الرجل مرة اخرى... وانقلب الى دائه يسعى!!!

فماذا كان موقف رسول الله... ﷺ ... من هذا المنقلب الى خمره؟!
موقفاً عجيبيًا... لا يتأتى الا من نبي!!!
«فإن تاب، تاب الله عليه...»!!
أرأيت؟!... دعوة جديدة... يوجهها الى سكير... لينهض من
عثاره... ليستجمع قواه... ويجدد العودة الى ربه...
دعوة جميلة... ان يا ايها السكير... اقلع... وارجع الى ربك...
فان استجاب السكير... هذه المرة الثانية... للدعوة... واقلع للمرة
الثانية..

«تاب الله عليه»؟.
تلقاه سبحانه... بالقبول... وفتح له ابواب رحمته!!!
وهذه هي الفرصة الثانية...
ولكن هذا السكير... يشعر بالحاح الداء عليه... وها هو يضعف مرة
ثانية... ويعود الى الكأس كرة اخرى!!!
ماذا يحدث لهذا الانسان المضطرب... بين ربه... وخمره؟!
فإن عاد، لم يقبل الله له... صلاة أربعين صباحاً...
انه يصلي... ولكنه مقطوع من ربه!!
ايمكن ان يحدث هذا؟
ايمكن ان يكون الانسان... ظاهره الطاعة... وباطنه المعصية؟
نعم... نعم... وان اكثر الناس لكذلك!!!
استمع الى قوله تبارك وتعالى... يكشف لك ذلك السر...
قال سبحانه: ﴿... قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ
الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾

(الخُجَرَات ١٤)

هناك اسلام... هناك انقياد ظاهر... لله...

هناك صلاة... وصيام... وحج... وزكاة...
 هناك انقياد ظاهري...
 ولكن القلوب... لم تؤمن بعد...
 لم تتجه الى ربها بعد...
 ان هناك تناقضا في الشخصية...
 الظاهر ياتي الطاعات...
 والباطن لم يتجه بعد الى الله...
 ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ؟!
 لما... يتم... بعد... توجهكم اليها!!!
 عجب... ثم عجب... ثم عجب... هذا الكتاب الذي انزله... ربنا
 تبارك وتعالى... على... رسوله... محمد... ﷺ...!!!
 فهذا الرجل السكير... الذي يصلي...
 فيه هذا التناقض... العجيب...
 ظاهره... يصلي...
 ولكن قلبه... لم يدخله الإيمان بعد...
 لم يتجه الى ربه بقلبه... لم يخرج بعد من ظلماته... ويدخل مقامات
 النور...
 ومن هنا يمد رسول الله... ﷺ... يده اليه... يعاونه على التوافق...
 بين ظاهره وباطنه...
 يعاونه... على محاولة... الاتجاه... الاتجاه الى النور... بباطنه...
 بقلبه...
 ومحمد... ﷺ... في هذا يتلأأ... نبياً... قمة الأنبياء...
 وهذا لا يستطيعه الا هو!!!
 انه يعالج باطن الرجل... يقيم باطنه على الطريق... يحاول فتح مغاليق
 قلبه... وإدارة مفتاح قلبه... على الاذاعة الالهية...

لعله يصادف تلك الاذاعة... فتصيه رحمة الرحيم... المبتوثة... في الكون!!!

جميل... جميل جداً... هذا الاشعاع من رسول الله!!!
أي... رسول الله؟!

سيدي... وسيد البشر!!!

من اين... هذه البحار... من الأنوار... والأغوار؟!
اشهد انها... من تلك المفاتيح العلى... التي آتاك... ربك تبارك وتعالى!!!

وكم من مفتاح آتاك... العزيز الفتاح!!!
وتجد هذا مكنونا في قوله... ﷺ « فَإِنْ عَادَ... »
«لَمْ يَقْبَلِ اللَّهُ لَهُ... صلاة... أربعين صباحاً»...
إن الرجل يصلي... في هذه الأربعين... يصلي كل يوم خمس مرات...

ولكنها صلوات مرفوضة!!!
لماذا؟!... لان قلبه لم يتجه بعد الى ربه...
انه مازال في مناطق الظلمات...
لمّا يخرج من ظلماته... الى النور... بعد!!!
ثم يلوح له رسول الله... ﷺ بنور الأمل...
ويشجعه على اعادة المحاولة... ليزيل من نفسه المضطربة... آثار اليأس...

من رحمة الله...
فيناديه: «فإن تاب... تاب الله... عليه»...
فإن وجّه قلبه الى ربه...
انفتحت ينابيع الرحمة... في فؤاده... فوراً...

بمجرد هذا التوجه...
بمجرد ان اعرض عن الخمر... وانقلب الى ربه... مرة اخرى...
وهكذا... ثلاث مرات... ثلاث محاولات... في كل مرة... ينغمس
الرجل في انحرافاته...
وفي كل مرة... يساعده... محمد... رسول الله... ﷺ... على
الخروج من ازمته...
ثلاث مرات... تتجدد المحاولة... من الرجل...
ويتجدد أمل... من رسول الله... ﷺ...
وهذا الذي يصنعه رسول الله... بتلك القلوب... التائهة... هو صناعة
الأنبياء...
صناعة رسول الله... ﷺ...
يعلمون من القلوب أمراضها... ويصنعون من الدواء ما فيه شفاؤها...
ويرى رسول الله... ﷺ... قلب الرجل... قلوب السكارى...
الحيارى...
فيقف في مقامه الأسنى... يحلل شخصياتهم... ويفرر كيف يمكن
علاجها...
وكيف يمكن إقامتها على الطريق؟
وكيف يمكن الغاء التناقض... بين ضواهرهم... وبرصتهم...
ويعطيهم الفرصة... ثم الفرصة... ثم الفرصة...
ويؤكد لهم ان توبة الله... في انتظارهم... كنما عادوا... وقرعوا
الباب...
فماذا يكون شعور السكارى... الحيارى... حين يسمعون... ذلك من
رسول الله... ﷺ...
في كل عصر من العصور؟!
لا شك... انهم يهرعون اليه... ويتنادون: اين هذا الذي يتادينا... من

أعماقنا... ليرحمنا ربنا... مرة... بعد مرة... بعد مرة...!!
 فيجب الزمان: ليس ذلك إلا محمداً!!
 فتراهم... يلتئمسون عنده مفتاحاً لمغاليق قلوبهم...
 وبورا... لمظلمات وجودهم...
 ورحمة... لأحاسيس البأس السوداء التي كانت تغمرهم...
 وأملًا... يفتح أمام أعينهم... بعد أن كانوا لا يبصرون...
 فما أسعد من كان ضالاً... وجاء محمداً... ﷺ ليخرجه من
 الظلمات... إلى النور... بإذن ربه...

هذه مناطق التبشير... فما هي منطقة النذير... والتحذير!!
 من قوله: «فإن عاذ... الرابعة... لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلَاةً... أربعين
 صباحاً... فإن تاب لَمْ يُثَبِّ اللهُ عَلَيْهِ... وسقاه من نهر الخبال...»
 وهذه... تبلغ من الجلال ما تبلغه البشريات الثلاث الأولى... من
 الجمال!

ونرتفع إلى نفس المقام... تتوازي فيه مع مقام البشري!!
 لماذا؟
 لأن الرغبة... إذا لم يواجهه الترهيب...
 انقلب إلى انطلاق مفتوح... لا يؤدي إلى شيء!!!
 وانطلقت النفس بما يساق إليها من ترغيب... مفتوح... لا حدود
 له... أنني انسياع... لا ساحل له...
 فتبدد طاقاته... في الأحلام... أحلام الأوهام والخيال...
 أما إذا أقمت الترهيب... سداً في نهاية الترغيب...
 أحس الإنسان أن لانطلاقه مدى... ينتهي إليه...
 وإن له حدوداً... لا يتعداها...
 وإن هناك نقطة الحظر... التي إن جاوزها... وقع في الهلاك...

هنالك تتوازن فيه الرغبة والرغبة... والحب والخوف... والانطلاق
والاشفاق...

فاذا به مثال جميل... للشخصية المتوازنة... في صفاتها...
وسماتها...

ومن هنا جاء كتاب الله تعالى... مثلاً أعلى...
يكاد يكون كله على هذا النسق البديع... من تشية الترغيب
بالترهيب...

والرحمة بالعذاب...

والنعيم بالعقاب...

والجنة بالنار...

والتوبة باللعنة...

فإن ذكر أن الله تعالى اعد للمؤمنين جنات... أعقبه مباشرة بأنه اعد
للكافرين ناراً...

وان ذكر انه غافر الذنب ثنى بأنه شديد العقاب...

ومن هنا كان الحب والخوف... هما جناحي المؤمن... اللذين يطير
بهما الى ربه...

ومن هنا طوبى المؤمنين ان يحبوا الله... وان يخافوا الله... في آن
واحد...

وان يطمعوا في رحمته... وان يحذروا عذابه...

وهذا الاسلوب... هو أحكم... وأعلى... وأرقى... اسلوب... يمكن
ان يتصور... من أساليب التربية...

فلما أن صدق بواجب الوجود... علم أنه تعالى منزّه عن كل نقص...
فلما علم تنزيهه... علم أنه أهل لكل ثناء وحمد...

فلما بلغ من ذلك مبلغا... ادرك ان لذلك الاله العظيم... الذي ليس
كمثله شيء... عليه حقوقا...
وأول تلك الحقوق التي لربه عليه... حق العبودية... اختصاصه
بالعبودية...

فأتجه اليه... وادار قلبه اليه...
فلما تم له ذلك... سأل: ولكن كيف اعبدته... وما هو الاسلوب؟
فكان الجواب: لقد بعث إليك رسولا... اسمه محمد... ﷺ...
ليبين لك الاسلوب... ويرسم لك الطريق...
هنالك آمن بذلك الرسول...
فلما آمن برسوله... سأل: الا يوجد سجل فيه تسجيل ذلك الاسلوب؟
ليكون... لنا مرجعا من بعده؟
فكان الجواب: نعم... كتاب أنزله ربّه عليه... اسمه القرآن العظيم...
فأمن... بذلك الكتاب...
ومازال يترقى... ويترقى... وكلما ترقى... انفتحت له آفاق أعلى...
واكبر... من عالم الإيمان...
ذلك هو المؤمن... فما أعظمه!!!
ذلك الذي هذا شأنه... قد غادر دركات الظلمات... ظلمات
الكفر... والشرك... والمعاصي... والنفس... والشهوات... والاهواء...
والغرائز...

خرج من ظلماته... ودخل الى مقامات النور...
فتلقته مغفرة ربه... وسقطت عنه ذنوبه كلها...
وتلك أولى منازل النور...
فلما أن اغتسل من ذنوبه...
انطلق الى مقام الرحمة... فعمته رحمة ربه... التي وسعت كل
شيء...

وكان حظه منها عظيماً...

هذا هو المؤمن... وتلك اشارات تحدد ملامح قليلة... من أمره...
لعل هذا ما يشير إليه قوله... ﷺ: «فإن عادَ... الرابعة... لم يقبلِ
الله... له... صلاة... أربعين صباحاً».

وتسلسلت من فمه الشريف... تترقق بأغاريد الجلال... كما
ترقرقت سابقاتها... بأغاريد الجمال...

فكان رسول الله... ﷺ... في هذا... كما اراده ربه تبارك وتعالى...
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ... شاهداً... ومُبَشِّراً... ونذيراً﴾

(الفتح ٨)

شاهداً على احوال العباد... يشهد حقائقهم شهوداً حقيقياً... بما عنده
من انوار...

ومبشراً... مَنْ اتجه الى ربه... بمغفرة من الله ورحمة...
ونذيراً... مَنْ أَعْرَضَ... واتجه الى الظلام... بعذاب شديد... في
الدنيا... والآخرة...

وتلك هي عظمة التوازن... من ذلك القلب العظيم... قلب محمد...
صلى الله عليه وسلم...

شهد حال السبكارى... الحيارى...
شهد ما هم فيه من ظلام واضطراب وخبال...
ثم بشرهم... ثلاث مرات

ثم أنذرهم في الرابعة... واذا ع فيهم: «فإن عادَ الرابعة... لم يقبلِ
الله له صلاة... أربعين صباحاً»

وبذلك خوفهم... آثار الجريمة... جريمة السكر... وادمان الخمر...
ثم حذرهم عاقبة ما يصنعون بانفسهم بقوله: «فإن تاب... لم يتب
الله... عليه...»

لا تقبل توبته هذه المرة... الرابعة...

لماذا؟

لانه مجرم اصيل... اثيم... لم يستطع ان ينتزع نفسه من تلك
النجاسات... نجاسات الخمر... واوحالها...

فمثل هذا... انما يتلاعب بالتوبة... ويتخذها هُزُواً...

مثل هذا ينبغي ان يشدد عليه لعله يفيق... ينبغي ان يؤخذ بالشدة...
لانه غليظ القلب...

وعندما تتهاوى مقارع الانذار... على القلوب المظلمة... تردها ردا
الى ربها...

فان لم ترجع... فلا خير فيها بعد قرعها بالأهوال...

ثم يتلأ رسول الله ﷺ...

ويعلن مصير هذا النوع... الخبيث... الذي لم يفلح في اصلاح
باطنه... ولم يصدق في توجيه قلبه... نحو ربه...

فيقول: «وَسَقَاهُ مِنْ نَّهْرِ الْخَبَالِ».

فما هو الخبال؟!

هو الجنون... الذي تورثه الخمر... اصحابها... هي الحال التي
يؤول اليها المدمنون...

عقولهم في حالة خبال... ووبال...

اختلال في تفكيرهم... اختلال في شعورهم... اختلال في قواهم
العقلية... اختلال في شؤونهم كلها...

وما ظنك بقوم اضاعوا عقولهم... وهي اعظم ما أوتوا من ربهم...
وعاشوا بلا عقول؟!

فالانوار المكنونة... في قوله «سَقَاهُ مِنْ نَّهْرِ الْخَبَالِ»

أن ذلك يتحقق لهم في الدنيا...

فهم في حالة خبال... بما يشربون... ويكرعون... من خمر...
وذلك فوق ما ينتظرهم من خبال الآخرة...

حيث يشربون من نهر الخبال... نهر الجنون... في جهنم... ففي الحديث مكنون... انوار عظيمة...

ان السكير... رجل مجنون... مخبول... في حياته الدنيا... وفي الآخرة... يعاقب من جنس عمله... يسقى من نهر الخبال... وكما فسروا نهر الخبال بقولهم: نهر من صديد اهل النار... فان ذلك يشير ان الخمر... نجس... هي والصدید سواء... في الحُبث... والقذارة...

فشارب الخمر كأنما يشرب صديدا... يشرب قيحا... قيحا... وفي الحق إنها لأقبح من الصديد... لأن الصديد قد يورث العلة... وهذه تورث العلة في البدن... وتذهب بالعقل... الذي هو ائمن ما اعطى الله تعالى... الانسان...

ثم انظر... بعد ذلك كله... كيف وقف محمد... رسول الله... ﷺ... من القضية... قضية السكارى... الحيارى...

فتح امامهم ابواب الرحمة... ثلاثا... في كل مرة... يدعوهم... ويشرهم ان الله تعالى... تائب عليهم... اذا اقلعوا عنها... وعادوا اليه... حتى اذا ما عَزَّ إصلاحهم... وأنس منهم إصرارا... على الذنب... وإصرارا على الخمر... وإصرارا على الإعراض...

قرعهم بانذارهم قرعا... «فَإِنْ تَابَ لَمْ يَتُبِ اللَّهُ عَلَيْهِ...» ثم كشف لهم ما يؤول اليه امرهم... «وَسَقَاهُ مِنْ نَهْرِ الْخَبَالِ...» يعيشون في دنياهم مجانيين... وفي اخرهم مجانيين... وبذلك احاط محمد... ﷺ... بالقضية من اطرافها... ولمس ظاهرها... ومس باطنها...

ثم عرضها على أصحابها عرضاً عاماً... شاملاً... على أنها قضية
بشرية عامة...

لأن أدمان الخمر... ليس خاصاً بزمان رسول الله ﷺ...
وانما هو مرض بشري... وضعف نفسي عام...
يصيب الإنسان... في كل زمان... وكل مكان... الى يوم القيامة...
فكان حتماً... على من بعثه الله رسولا... للناس كافة... بشيراً
ونذيراً...

أن يُبين لهم جميعاً... أسرار القضية... وأنوارها...
فأطلقها... محمد... رسول الله ﷺ...
اسطع من الشمس في سماء صافية...
واقطع من السيف في معركة فاصلة... فكان قوله فصلاً... وحُكمه
عذلاً...

وعلاجه حَسْماً...
ووصفه صِدْقاً...
ونوره عظيماً...
بانه محمد... رسول الله ﷺ...
يملك ما لا يملك الناس اجمعون...
يملك النبوة في قلبه...
والنور في فؤاده...
والهُدى في يمينه...
ولو اجتمعوا اجمعون صفا... صفا... على أن يصلوا الى شيء مما آتاه
ربه... ما استطاعوا!!!

كُلُّ مُسْكِرٍ حَمْرٌ...
وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ...!؟

جمال الشخصية المحمدية... لا يتناهى... تتابعه... شرقا... فيمتد
عنك... غربا...

وتتابعه غربا... فيمتد عنك... شرقا...
وتتطلع اليه في السماء... فاذا به يطالعك في الأرض...
وتجري اليه في الأرض... فينطلق عنك الى السماء!!!
لماذا... كان ذلك الجمال... هكذا؟

لانه تحقق النور... نور ربه... في صورة بَشَر... اسمه... أحمد!!!
وأحمد... الذي هو اسمه في الإنجيل... الذي أنزل على المسيح...
عليه السلام...

قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرُسُولٍ... يَأْتِي مِنْ بَعْدِي... اسْمُهُ أَحْمَدُ...﴾
(الصف ٦)

الجمال الأحمدى... او الجمال المحمدى... سَمُّه ما شئت... لا
يتناهى... لا في الدنيا... ولا في الآخرة...
أما في الدنيا... فهو إمداد... دائم... قائم... لكل من أراد الاتجاه الى
ربه... من البَشَر...

فهو المفتاح الالهي... لكل قلب يريد وجه الله وحده...
وما لم تفتح قلبك بذلك المفتاح... فلن يفتح لك...

لماذا؟!!

هل هي عصبية جديدة... ندعو اليها؟!
كلا... بل هو ناموس الهي... لا تبديل له... ولا تغيير...
إنَّ محمدا... ﷺ... بعثه ربه تبارك وتعالى الى الناس كافة...
ليقول لهم: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي... يُخَيِّكُمُ اللَّهُ...
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...﴾

(آل عمران ٣١)

فمن كان يحب الله حقا... وجب عليه ان يتبع محمدا... ﷺ...
هنالك يتأتى له حب الله... له... يتأتى له قبول الله لسلوكه... اليه...
لماذا هذا؟!!

او: ماهي اعماق... هذا البحر العميق؟!
اعماقه ان محمدا... ﷺ... جاء صورة الانبياء جميعا... مجتمعة...
ومكتملة...

جاء حقيقة... حقائقهم جميعا...
فما هي حقيقتهم أجمعين؟!
هي « لا إله إلا الله »...
وما هو اسلوبهم جميعا... لتحقيق تلك الحقيقة؟
هي... الحنيفية... هي اسقاط ما سواه... ما سوى الله... والاتجاه
المباشر اليه تعالى...

هذه هي حقائقهم جميعا...
وهذا هو اسلوبهم جميعا...
الحقيقة... لا اله الا الله...
والطريقة... الحنيفية... او الاتجاه المباشر الى الله...
ولقد جاء محمد... ﷺ... وقد تكاملت... واكتملت فيه الحقيقة...
والطريقة...

وبذلك كان هو... النهاية السعيدة... لأولئك السعداء جميعا...
وهو ما يسمى بتعبير القرآن العظيم ﴿وَحَائِمَ النَّبِيِّينَ﴾
كانوا... من قبله... كواكب... تتألق حيناً... ثم تذهب... ليتألق...
من بعدها... ويذهب...
حتى جاء... هو... ليشرق شمساً... لا تغيب... الى يوم القيامة...
وجاء جامعا... لهم جميعا...
فكانهم خيوط النور... وهو المصباح المنير...
هذه هي حقيقته...
هم مقدمات... وهو نهاية...
وهم بدايات... وهو انطلاق...
وكلهم يدورون من حولها... حول لا اله الا الله
هذا عن الحقيقة...
فماذا عن الطريقة؟!
جاءوا جميعا يدعون... الى الاتجاه المباشر الى الله...
ثم جاء محمد... ﷺ... بنفس الطريقة... وزادها تفصيلاً...
فرسم المنهج... وقرّر التفاصيل...
بما يمضي مع خلافات... مشاكل التطبيق... في كل عصر من
العصور...
ومن براهين وحدة الطريقة بينهم جميعا... قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُوحِيتُ
إِلَيْكَ... أَنْ أَتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾
(التخل ١٢٣)
والملة... بلغة اليوم هي الأسلوب... هي الطريقة... بلغة الأقدمين...
وقوله... ﴿... مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ...﴾
(الحج ٧٨)
اسلوب ابراهيم عليه السلام... هو نفس اسلوب محمد... ﷺ...
ومع زيادة في التفصيل... عند محمد... ﷺ...

ومن هنا... من كون محمد... ﷺ ... هو الصورة الجامعة...
لحقيقة الانبياء... وطريقة الانبياء...

كان هو المفتاح الأوحد... لمن اراد الاتجاه الى الله...
لا لان محمدا... ﷺ ... يحتكر ذلك لنفسه...
كلا... فذلك وَهُمْ أطفال...
وانما لأن الحقيقة التي جاء بها محمد... ﷺ ...
والطريقة التي رسمها... للوصول الى تلك الحقيقة...
هي القانون الطبيعي... الأوحد... الذي يفتح لك ابواب الرحمة...
ابواب السماء!!

هو إذن ناموس الهي خالد... لا تبديل له... ولا تغيير...
وكي نقرب ذلك الى افهامنا... نقول:
لو قلنا ان النظرية القائلة: الخط المستقيم، هو أقرب المسافات بين
نقطتين...

كان معنى هذا... ان هذه النظرية ثابتة... دائما وابدا...
فكل من اراد ان يحقق اقرب المسافات بين نقطتين، فعليه ان يخط
خطا مستقيما...

وليس معنى هذا ان هذه النظرية قد احتكرت تلك الحقيقة لنفسها...
دون غيرها من النظريات...

كلا... وانما طبيعة هذه النظرية... هي هكذا... بلا احتكار... او
افتئات على غيرها من النظريات...
كذلكم محمد... ﷺ ... كان هو المفتاح الأوحد... لمن أراد
الاتجاه الى ربه...

لانه جاء بالناموس الالهي الاوحد الذي لا يتغير...
ذلك الناموس الذي يقرر: لا إله إلا الله... كحقيقة...
والاتجاه المباشر الى الله... كطريقة...

فلو افترضوا ان الانسان نقطة في الكون...
وأن الاتجاه الى الله تعالى يُرمز اليه بنقطة...
فإن اقرب المسافات بين النقطتين هو الخط المستقيم...
وهذا ما يسمى بالحنيفية... التي أمر جميع الانبياء بها... وأمرؤا الناس
جميعا بها...

والحنيفية هي الاتجاه المباشر... اليه تعالى...
والاتجاه المباشر هو الخط المستقيم... وهو أقرب الطرق إلى الله...
الى السلوك اليه تعالى...
قال تعالى: ﴿... إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(مُود ٥٦)

هو قانون طبيعي إذن...
ليس احتكارا من رسول الله... ﷺ...
ولا انتزاعا منه لحق الغير... وحاشاه...
فكونه المفتاح الأوحد... الذي يفتح لكل قلب أبواب رحمة الله...
انما تأتي من هنا...
من كونه هو الحقيقة العظمى للأنبياء جميعا...
والطريقة المثلى... للمرسلين جميعا...
هو مقرر حقائقهم... ومقرر طرائقهم...
هو ناموس الهي خالد... لا تبديل له... ولا تغيير...
تلكم هي اعماق... ذلك البحر العميق...
واغوار ذلك اليمّ السحيق...
فالجمال المحمدي... لا يتناهى في الدنيا... لانه المفتاح الأوحد...
لكل سالك الى الله...
ولا يتناهى في الآخرة... لانه الشاهد العام... على جميع الأنام...
فما معنى ذلك؟

قال تعالى: ﴿... لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ﴾

(الحج ٧٨)

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً
وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾.

(الأخزاب ٤٥ و ٤٦)

فالرسول شهيد علينا جميعاً... وشاهد... على جميع الناس...
كيف يتأتى هذا... ورسول الله... ﷺ قد مات...؟
وكيف تتحقق منه تلك الشهادة بعد موته...؟
إن لها... أسراراً... وأغواراً... وأنواراً...
فافتح قلبك... ثم افتح...
تترقق اشعاعاتها... الى صميم فؤادك...
إن محمداً... ﷺ...

ارسله الله تعالى... ميزاناً...

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ
وَالْمِيزَانَ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾

(الحديد ٢٥)

ارسله بالحقيقة... والطريقة... المرضية عنده...
فمن انتظم قلبه عليهما... فهو مرضي عند ربه...
ومن خرج عليهما... فهو مرفوض عند ربه...
ومن هنا كان هو مفتاح الجنة كذلك... فمن آمن به وجبت له
الجنة... ومن لم يؤمن به... وجبت له النار... فهو شاهد على جميع
الخلق... بمعنى انه هو الميزان... هو المقياس...
هو الانموذج... للانسان المقبول...
ومن خرج عنه... كان مرفوضاً...

وبذلك تتحقق شهادته... على الجميع... فعندما يأتي الخلق يوم
القيامة... يموج بعضهم في بعض...
تُفحص أعمالهم... على أساس حقيقته... وطريقته...
فكل من آمن بـ « لا إله إلا الله »...
وعمل عمله على طريقة رسول الله... ﷺ...
فعمله مقبول عند الله...
وكل من لم يؤمن بـ « لا إله إلا الله »...
ولم يعمل على طريقة رسول الله... ﷺ... فعمله مرفوض عند الله...
كما نضع نحن مواصفات وشروطا ينبغي توافرها فيمن يكون له الحق
في الالتحاق بعمل معين...
فكل من جاء بهذه الشروط واستوفها كان طلبه مقبولا...
وكل من لم يأت بها... أو أخل بشرط من شروطها كان طلبه
مرفوضا...
فمحمد... رسول الله... ﷺ...
حقيقته التي نادى بها... وهي لا إله إلا الله وطريقته التي دعا إليها...
وهي الحنيفية... هما ميزان القبول والرفض... لجميع عقائد الناس...
وأعمالهم...
ومن هنا... كان هو... شاهدا على جميع الناس...
حيا... وميتا... ويوم القيامة... تأتي له ذلك... بأن حقيقته وطريقته
هما الميزان... الذي توزن على أساس مواصفاتهما... العقائد والأعمال...
فانظر أعماقها... وأغوارها... وأسرارها... وأنوارها...
ثم تعجب... كم تأتي لتلك الشخصية... من المحامد... والمفاخر...
والعجائب؟!...
تلك إشارة... خاطفة... الى زاوية من جمال الشخصية المحمدية...
تقرر أن جمالها... لا يُستطاع به لحاقا...

وآية ذلك... هذا الاشعاع الذي نحن بسبيله...

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ

وَكُلُّ مُخْمِرٍ حَرَامٌ

«وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا، لَمْ يَشْرَبْهَا فِي

الْآخِرَةِ».

(أخرجه الترمذي)

في الفقرة الاولى... يطلق الحكم العام... «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ»

كل شيء أسكر... فهو خمر...

سواء كان من شراب... ام من مأكول... ام من مشموم...

كالحشيش... هذا كله خمر...

والخمر ما خامر العقل... ما غطى العقل... ما عطل العقل...

هذا هو الاطلاق...

ثم يأتي الحكم العام...

كأن سائلا يسأل: اذا كان كل مسكر خمرًا، فما حكم الخمر؟

الجواب: «وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ!!!»

هذا هو الإعجاز... في مقام التشريع... من محمد... رسول الله...

صلى الله عليه وسلم...

وَخِي يُوحَى... وليس بكلام بشر... يتكلم!!!

وانه لكذلك حق... وصدق...

قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾

(النجم ٣ و ٤)

وهكذا... في كلمات معدودات... هي بالعدد ست كلمات...

فصل محمد... رسول الله... ﷺ... في شأن من أخطر شؤون

البشر...

أطلق الوصف العام... للخمور... على مستوى عموم البشر... في
ثلاث كلمات... «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ»!!!
ثم نطق بالحكم العام... حُكْم السماء... في جميع انواع الخمور...
«وَكُلُّ خَمْرٍ حَرَامٌ»!!!

أيمكن أن يتأتى هذا الا من رسول... أعلى رسول؟!
كانما هو يجوس خلال... بحار النور... كيفما يشاء!!!
وهذا هو الاعجاز من أمره... اذا نَطَقَ، نَطَقَ وَحْيًا... واذا صمت
كان تشريعاً...

فهو في نُطْقِهِ نور... وفي صَمْتِهِ نور... صلى الله تعالى عليه وسلم...
ثم يتلأل ويتلأل ويتلأل... كأنما هو افواج من النور... تتزاحم الى
آفاق بعيدة...

فيقول.. «وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا، فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَشْرَبْهَا
فِي الْآخِرَةِ».

فَنَقَلَ الْعَالَمَ نَقْلًا... من الدنيا التي نحن فيها... الى الآخرة... التي
سوف تأتي...!!!

ويربط الحياتين ربطاً... كأنما هما حياة واحدة!!!
وتلك هي النبوة في لآئِهَا العجيب!!!
لماذا... «مَنْ شَرِبَهَا... فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا... لَمْ يَشْرَبْهَا فِي
الْآخِرَةِ»؟!؟

لان من فعل هذا... مات متجها الى الظلام...
متجها الى الهاوية... فمصيره حتما الى الهاوية؟!؟
ثم ما هي هذه الخمر في الآخرة... التي حذر رسول الله... ﷺ...
مدمن الخمر في الدنيا، بالحرمان منها في الآخرة؟!
ثم هل في الآخرة خمر؟! وكيف يُحَرِّمُهَا اللهُ فِي الدُّنْيَا وَيُجِلُّهَا فِي
الْآخِرَةِ؟!؟

هل تختلف نواميس الآخرة عن الدنيا؟
تلك الخمر... في الآخرة... شيء غير خمرنا هذه... النجسة...
قال تعالى: ﴿... وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.

(محمد ١٥)

هناك في الآخرة... خمر...
ولكن أي خمر؟!
﴿لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ !!!
زيادة لذة... نوع شراب للإكرام...
كلما تناولوه ازدادوا قربا... وأنسا... بربهم وتلذذوا بذلك القرب...
وذلك الأنس!!!
هذا مقام... من مقاماته العلى...
تتألا فيه شخصيته... شخصية النور... لتعلن بإذن ربها... تشريعا...
وتحقيقا...

لتعلن الحقيقة من أمر الخمر... والطريقة الى اجتنابها...
ولقد فصل رسول الله... ﷺ بيان الخمر في أحاديثه تفصيلا...
وحدّد أنواعها... وبين آثارها... حتى ترك العالم على سبيل...
مستقيم...

ولا نورد هنا غير هذا الحديث... إشارة الى أحاديثه في هذا السبيل...
ليكون عنوانا على مفاتيحه في القضية... مفاتيح النور...
لتنظر البشرية... وتسأل نفسها: كيف تأتى لمحمد... هذا كله... ولم
يتيسر لغيره من الناس؟!

فيأتيها الجواب... من السماء:
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ
النَّبِيِّينَ...﴾

(الأخواب ٤٠)

نعم... نعم....

﴿ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ ١٩

كأنه يُراد أن يقال:

أرسلته اليكم ليرحمكم... ويخرجكم من الظلمات الى النور...

بإذني...

ذلكم محمد... ﷺ...

ايها الناس... يا ابناء القرن العشرين... والقرون الآتية... شخصية

أرسلتها اليكم... لتخرجكم من ظلماتكم...

فاطرحوا ما انتم فيه... وتعالوا اليه... انظروا ماذا عنده؟

وان عنده لمشاكلكم حلولاً...

ولظلماتكم نورا...

ولضلالاتكم هُدى...

ولخلافاتكم رشداً...

ولشقاكم سعادة...

ولضييقكم انشراحاً...

ولذُنْيَاكم رحمة...

وليَأْسَكم أَمْلاً...

ولعلكم تعقلون!!!

ثلاثُ ...

دَعَوَاتٍ ...

مُسْتَجَابَاتُ ... !؟

قال رسول الله ﷺ:
«ثلاثُ دَعَوَاتٍ ... مُسْتَجَابَاتُ
«لا شَكَّ فِيهِنَّ:
«دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ
«وَدَعْوَةُ الْمَسَافِرِ
«وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ».

(أخرجه الترمذي)

هذا ناموس إلهي... خطير جدا... يذيعه رسول الله ﷺ... غنى
جميع مستويات البشرية... على مستوى الزمان... والمكان... الى
الابد!...

ولهذا الناموس مفتاح خطير... يفتح لنا معاليقه... بإذنه تعالى...
اما المفتاح... فهو الإيمان...
هو توجه القلب... في إخلاص تام... الى الواحد الأحد...
وما لم يتوفر ذلك الشرط... فلا استجابة ولا اجابة!
لماذا؟

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ. ﴿١٨٦﴾
(البقرة ١٨٦)

انه تعالى يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾
اي: اذا بحث عني عبادي... وكلمة « عبادي » ترمز من باطنها الى ان
السائلين قوم تعبدوا انفسهم لله... وطفقوا يبحثون عن امثل الوسائل
للاتصال به تعالى...

ثم يقول: ﴿أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾... احقق سؤال من سألني... ثم
يوجههم جميعا الى المفتاح ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾
فليتجهوا الي... اتجاها خالصا...

﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾... ويحولوا قلوبهم نحوي... من هنا... كان
المفتاح... هو الايمان...

والايمان لفظ يكثر ترداده في الكتب السماوية... وعلى لسان الرسل
جميعا... ويتشبه بادعائه كل انسان يريد ان يكون له شأن يذكر عند
ربه...

فما هو هذا الايمان الذي كثر الحديث عنه؟
هو في جوهره... توجه القلب نحو الله وحده... توجهها خالصا... لا
شرك فيه...

ومهما اختلفت تعاريفه... او انشعبت مظاهره...
فإن له جوهرها واحدا... هو توجه القلب نحو الله...
من اجل ذلك كان الايمان هو الشرط الاوحد... في اعتبار العمل
عملا عند الله...

فان وجد في باطن العمل... فهو عمل صالح...
وان فُقد من باطن العمل... فهو عمل سيئ...
وهذا المفتاح الخطير... هو الذي يفتح لك اسرار تلك النصوص

الكثيرة... التي تتحدث عن تلك المعاني الكبرى... في كتاب الله...
وسنة رسوله ﷺ...

وبهذا المفتاح... نفتح... بإذن الفتاح... سبحانه وتعالى... مغاليق
ذلك الناموس... الذي أذاعه رسول الله ﷺ...

يقول اعظم... واكرم... وآخر رسول: «ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ».
فما هي الدعوة؟

هي توجه قلبي الى الله... باطنا...

يترجمها اللسان في كلمات... ظاهرا...

وما لم يتوفر للدعوة الشرط الباطن...

وهو الايمان... او التوجه القلبي الى الله... فهي عبث لا طائل تحته...

ومن هنا ضاعت دعوات الملايين... الذين يرددون ليلا ونهارا أهazيج
الدعاء...

لماذا؟

لان توفر التوجه الباطن... معناه ان القلب انفتح الى الملاء الاعلى...

معناه ان موجات النور اندفقت الى القلب...

معناه ان القلب يصدر موجات عليا... الى أعلى... الى الأعلى...

سبحانه...

معناه ان الله تعالى... يستقبل تلك الموجات... لان لها القدرة على

الوصول الى الله...

اما اذا فقد الشرط الباطن... فالقلب مظلم... مغلق عن الملاء الاعلى...

فهو جهاز متوقف عن الاذاعة...

فلا يبقى بعد ذلك الا اللسان وحده... يردد كلمات ميتة... لا حياة

فيها...

ولا تجاوز رأس الداعي...
وأخرى... اخطر... واكبر...
ان ذلك التوجه القلبي... لا يكون صحيحا... الا اذا كان مباشرا...
اليه تعالى...

ما معنى هذا؟
معناه ان الله لا يقبل اي شرك... مهما كان صغيرا وأنت تتوجه اليه...
لماذا؟

لبديهيته بسيطة جدا...
انه لا يتصور الاتجاه الى نقطتين في وقت واحد...
فلو تصورنا ان هناك نقطتين في اتجاهين مختلفين... وارتدت ان تتجه
اليهما معا... في وقت واحد... استحال عليك ذلك...
فإما أن تتجه الى هذه... او الى تلك...
أما أن تتجه الى الاثنين في آن... فهذا مستحيل...
فلو رمزنا التوجه الى الله تعالى... وله المثل الأعلى... بنقطة... ورمزنا
الى غيره بنقطة...
وارتدت ان تتوجه اليهما معا... في لحظة واحدة... كان ذلك
مستحيلا...

فاذا اتجهت الى الله... لم تكن متجها الى ما سواه...
ولو اتجهت الى ما سواه... لم تكن متجها اليه... فإما هو وحده...
وإما ما سواه وحده... أما الاثنان معا... فهو مستحيل...
وهذا يفتح لك مغاليق ما يسمى بالاخلاص... والاشراك... الذي يكثر
ترداده في شرائع السماء...
فالشرك معناه انك في الباطن تتجه الى غير الله... وانت تظن انك تتجه
الى الله...

والايمان معناه انك تتجه في الباطن الى الله وحده...

والاخلاص معناه ان قلبك في الباطن وهو يتجه الى الله لا يركن الى شيء سواه...

وانما يهدف اليه تعالى مباشرة...

وهذا ينير لك السبيل... وانت تقرأ كتاب الله... الذي ينهك عن الشرك بالله... ويوجهك نحو الاخلاص في عبادته... ويشعشع لك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ...﴾

(النساء ١١٦)

لماذا هناك استحالة غفران الشرك؟ لبديهة بسيطة جدا... ان الشرك يتجه قلبه الى شيء غير الله... ولم يتجه أصلا الى الله... فلا شيء له عند الله!!!

فمعنى «ثلاث دَعَوَاتٍ» على ما قدمنا... ثلاث اتجاهات قلبية... خالصة في اتجاهها الى ربها... تتجه اليه مباشرة... غير مشركة به احدا...

بقيت هذه... المسماة «مُسْتَجَابَاتٍ»... فما معناها؟! معناها... واصلات الى الله... لانها اشعاعات... هائلات... من النور... لها القدرة على اختراق السماوات... والحُجُب... والازير الدائم عند ربها...

هنالك يستجيب لها الله... اي يستمع الى أزيزها... انه سميع... مجيب الدعوات!!!

او كما قال ابراهيم... عليه السلام... استاذ فن التوجه الخالص الى الله... ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدَّعَاءِ﴾

(إبراهيم ٣٩)

ثم يقول رسول الله... ﷺ... «لَا شَكَّ فِيهِنَّ»... اي لا سبيل الى الشك في استجابتها...

لا شك في وصولها الى الله تعالى...
ذلك ان القلوب التي اصدرتها... كانت الذروة في الصدق...
والاخلاص...

ثم ماذا؟!

ثم ندخل الى أولاهن... الى الدعوة الاولى...
«دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ»... لماذا بدأ بهذه؟
لان لها قصة... وقصتها...

ان المظلوم... كائن اعتدي على كينونته... وعجز عن الدفاع عن
نفسه... واسترداد حقه...

فهو في حالة تقطُّع من الأسباب الظاهرة...
وعندما تتقطع الأسباب... يؤوب الانسان الى ربه... الى الشيء الذي
اعطاه الحياة...

والانسان في هذه الحال... لا يلتفت الى الأسباب... ولا يركن
اليها...

وتنقشع عن قلبه الحُجُب... حُجُب الأسباب...
فاذا ما كان مؤمناً... كان اتجاه قلبه الى الله... شديداً جداً... سريعاً
جداً... مباشراً جداً...

فهو في الذروة من صدق التوجه...
فقلبه يصدر موجات نورانية عالية جداً...
هنالك تصاعد تلك الموجات أسرع من الصوت... أسرع من
الضوء... الى ربها...

هنالك تكون الاستجابة منه تعالى... فوراً... يسمع لها فوراً.
ومن لألاء ذلك المقام... أصدر نوح... عليه السلام... إشعاعه ﴿إِلَى
مَغْلُوبٍ فَانْتَصِرَ﴾.

(القمر ١٠)

إني مقهور الأسباب... فانتصر لي... وعلى الفور كانت الاستجابة :
﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ۖ فَالْتَقَى
الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَحٍ وَدُسِّرَ ۖ تَجْرِي
بِأَعْيُنِنَا، جزاء لِمَن كَانَ كُفِرَ ﴾.

(الْقَمَر ١١-١٤)

هذه دعوة مظلوم... استوفت شروط الاستجابة...
وأخرى من مقام الغار... حين أصدرها رسول الله... ﷺ... ﴿لَا
تُخْزَنُ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا...﴾

(التوبة ٤٠)

والدعوة ليس حتما ان تكون سؤالا لأمر محدد... وانما قد تكون
توجهها... مجرد توجه...

كهذه... حين يعلنها رسول الله... ﷺ... الى ابي بكر... ظاهرا...
وهي تنموج من فؤاده... الى ربه... باطنا...
﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا!!!﴾

فانطلقت منه... اسرع من النور...
فكانت الاستجابة: ﴿وَأَيَّدُهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا، وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَى، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا...﴾

(التوبة ٤٠)

ذلك دعاء مظلوم... نبي اسمه محمد... ﷺ... أخرجته قومه... لأنه
يدعوهم الى ربهم!!!

وأخرى... من مقام النار... اذ أشعلوا له نارا... وألقوه فيها...
هنالك كان قلبه... قلب ابراهيم... يتوجه اليه... ولا يتكلم... وانما
حاله هو الذي يتكلم... وكان لسان حاله « علمه بحالي، يغني عن
سؤالي »... فكانت الاستجابة... فوراً... أمراً عَجَباً!!!

﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾!!!

(الأنبياء ٦٩)

تلكم نماذج عُليا من دعوات الذين ظلموا في الله...
وهي اعلى وارقي نماذج المظلومين!!!
ويأتي من بعدها... الأولياء... فسائر المؤمنين...
واذا ما ظلموا... ودعوا الله ربهم... استجاب لهم... وفعل من اجلهم
ما لا يخطر على قلوبهم!!!
ذلك ان قلوبهم آنذاك... تكون في اعلى مقامات القرب منه تعالى...
ومن كان كذلك... كان الله معه...
والثانية «دَعْوَةُ الْمَسَافِرِ»...
ولهذه سر... هي الاخرى...
وسرها ان المؤمن اذا سافر... انسلخ من مألوفاته... التي كان فيها...
قد غير المجتمع وغير المناظر... وساح في أرض الله...
والقلوب المؤمنة... ترى في السير في الارض... عالما من آيات
الله... ترى...
فتزداد بما ترى ادراكا لعظمة ربها... واحساسا بقدرته تعالى...
اي تزداد قُربا من ربها...
اي تزداد نورا...
ومتى ازداد القلب نورا... كان دعاؤه... اي توجهه الى الله...
صادقا... يُرجى استماع الله اليه...
هذا هو دعاء المؤمن المسافر...
انه قلب شديد التوهج... شديد الأنس بالله...
فاذا ما دعاه... لبَّاه...
والثالثة... «ودعوة الوالدِ علي وَلَدِهِ»...
وهذه رهبة... نعوذ بالله من آثارها... الرهبة...

وحين يدعو الوالد على ولده... فمعنى هذا انه يشعر بالآلام لا تُطاق...
ترسبت في اعماقه من أفاعيل ولده...
فاذا ما كان الوالد مؤمنا... وهو المراد بهذا النص...
كان هذا معناه ان قلب الوالد... ثد غضب غضبا لم يغضب مثله
قط...

فهو يجأر الى الله ان يبطش بذلك الذي آذاه... وكان الظن به أن
يُكرمه... ويطيعه... ويبره...
هنالك اذا جريمة كبرى وقعت من الولد...
هناك اعتداء من الابن على ابيه...
هناك عدوان الفرع على الاصل...
هناك انحراف خطير... في نواميس الكون السارية... الجارية... في
الحَلْق...

هنالك يستجيب الله للوالد...
والويل... ثم الويل... ثم الويل... لمن استجاب الله لوالده فيه!!!
هذه ثلاث دعوات مستجابات... لا شكَّ فيهن...
ارسلها رسول الله... ﷺ... في بساطة الاعجاز... واعجاز
البساطة...

وسلسلها في الوجود... يتابع جارية... وانهارا سارية... تتلاطم
بالنور... وتتموج بالعلوم العلى...
وتترقق بالرحمات العاليات...
ولا يستطيع ذلك الا له وحده... بأنه يتكلم من مقام اختصه الله به...
فاذا ما تكلم كان وحيًا يُوحى!!!

مَنْ لَا يُرْحَمُ...
لَا يُرْحَمُ...!؟

أَبْصَرَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُقْبَلُ الْحَسَنَ.
« قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَرَ: الْحُسَيْنُ وَالْحَسَنُ
« فَقَالَ: إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشْرَةً، مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ
« فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

« إِنَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ »
(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

هذه قضية من ارووع قضاياه... ﷺ...

وانما تستمد روعتها من انسانيتها... وتستمد انسانيتها من خلودها في
العواطف البشرية... الى يوم القيامة...

رسول الله... ﷺ... يُقْبَلُ طِفْلَيْنِ... الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ...
حفيديه الكريمين...

منظر جميل... جَدُّ يُقْبَلُ ابْنَيْ ابْنَتِهِ...

وحين يُقْبَلُ مُحَمَّدٌ... ﷺ... هَذَيْنِ الطِّفْلَيْنِ...

انما هو نور... يقبل امتداد النور في سلالة...

رأى المنظر الجميل... أحد اصحابه... المسمى... الأقرع بن

حابس...

فكانه لم يكن يتوقع... من النبي الذي يجعله اكبر الاجلال... ان يتنزل

الى مثل هذه الدعابات المألوفة من عموم الرجال!

فكان تعليقه: «إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ عَشْرَةً، مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ»
كأنه يرى ان تقبيل الرجل للاطفال... ينافي عظمة الرجال!!
وهذا المفهوم... مفهوم متمركز في كثير من الرجال... الى يومنا
هذا...

انهم يرون ان مداعبة الاطفال... وملاطفتهم شيء لا يليق بكبار
الرجال!!.

فماذا كان حكم رسول الله... ﷺ... في تلك القضية؟!

« مَنْ لَا يُرَحِّمُ لَا يُرَحَّمْ »!!!

كان حكمه... ناموسا... عاما...

فما معنى ذلك الناموس؟

معناه كل انسان لا يرحم غيره... لا يُرحم من الله... سبحانه
وتعالى...

فما هو باطن هذا الكلام... وسر نوره...؟

الرحمة احاسيس قلبية... تتموج في قلب الانسان... فتدفعه الى
افاضتها على غيره...

فهي موجات من النور... تتموج من القلب الرحيم... الى غيره من
الناس...

فما معنى هذا؟

فمن أوتي حظا من الرحمة... كان حتما ان تظهر آثارها... في سلوكه
نحو الغير...

ومن حُرِم تلك الرحمة... كان قاسي القلب...

غليظ الفؤاد... يمتنع ظهور آثار الرحمة في سلوكه...

ولقد كان رسول الله... ﷺ... رحمة عامة...

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾

(الأنبياء ١٠٧)

امتدت آثار رحمته الى كل انسان... آمن به.. واتبع هدايه...
ونبي هذا شأنه... من الحتم ان يكون قلبه ينبوعا لرحمات ورحمات
واسعات...

ولقد كانت آثار تلك الرحمة التي في قلبه... تتجلى في أمره كله...
فما من سلوك صدر عنه... الا وهو أثر من آثار الرحمة التي بقلبه...
وما من توجيه تلاً لأ عنه... الا كان رحمة مهداة الى الخلق... وكانت
هذه العاطفة... حين قَبَّلَ الحَسَنَ والحُسَيْنَ... وطبع على وجهيهما قبلته
الشريفة... فزادهما شرفا الى شرف... أثرا من آثار الرحمة الكامنة في
فؤاده الشريف...

وحين يقبل النبي ﷺ... هذين الطفلين. انما يسن للناس جميعا...
ان يرحم الكبار الصغار...

فتتابع رحمته في الاجيال... جيلا بعد جيل... حين يُقَبَّلُ الآباء ابناءهم
وبناتهم... متابعة له ﷺ... في أفعاله وخصاله...

فانظر كم من الملايين... من المؤمنين به والمؤمنات... قَبَّلُوا
أطفالهم... استنانا بفعله... ﷺ...

وكم من الملايين من الاطفال... سعدوا بتلك القُبُلَات... تنطبع على
وجوههم البريئة...

تدرك الى اي مدى... تتمدد آثار رحماته... ﷺ... في الوجود؟!
أما صاحبه... الأقرع بن حابس... الذي قال: «إِنَّ لِي مِنَ الْوَلَدِ
عَشْرَةً، مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ»... فربما غاب عنه ذلك الاحساس الرفيع...
فقام يعبر عن سلوكه... فتلقى توجيه رسول الله... ﷺ...

فانقلب يتعلم ما لم يك يعلم... وأدرك على التو... أنه أمام النبي...
الذي جعل الله في قلبه... من بحار الرحمة... ما إن توزعتها الاجيال
جميعا... لو سعتها... وزيادة!!!

فحملهما....

ووضعهما....

بين يَدَيْهِ....!؟

النبي... الانسان...
فيه نور... رفيع جدا... لو تأملته الانسانية الحائرة... ما شيعت منه
شرابا...

تقلب... في انسانياته... من نور الى نور...
فلا تدري لأنواره بداية... من نهاية!!
«سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ:
«رَعِمَتِ الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ، قَالَتْ :
«خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، وَهُوَ مُخْتَضِنٌ أَحَدَ ابْنَيْ ابْنَتِهِ،
وَهُوَ يَقُولُ:
«إِنَّكُمْ لَتَبْخُلُونَ، وَتُجَبِّنُونَ، وَتُجْهَلُونَ.
«وَأِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ اللَّهِ.»

(أخرجه الترمذي)

إنه أحدهما... إما الحسن... وإما الحسين ابني ابنته فاطمة... عليهم
السلام...

تلك الزهراء التي سماها... سيدة نساء أهل الجنة!!
خرج ﷺ ذات يوم... وهو محتضن أحدهما...
ما هذا؟

هذا مقام من مقاماته العُلى...
هذه انسانية رسول الله... ﷺ... تتلأأ... في تلكم الصورة
الخالدة...

ثم هذا جلال مقامه... مقام الرسالة والنبوة...
ورغم تعدد مسؤولياته... مسؤوليات الحُكم والدعوة...
ورغم هذا كله... لم تزحم جوانب شخصيته الكبرى... ذلك الجانب
من حياته...

وانما اقبلت جميع المقامات... تتلأأ في رسول الله... ﷺ...
وتوازن في انسجام تام... عام...
فأشرق على اصحابه... كما تشرق الشمس على الأرض... فتتوزع
انوارها... من شتى زواياها... في تناسب... تتوازي... وتتوازي... فيه
درجات الاشعاع...

خرج رسول الله... ﷺ... في ابهج صور عواطف الانسان...
نبيّ يحتضن طفلاً... ويخرج به على أصحابه...
ليعلمهم ان الانسان مهما كان وضعه الاجتماعي في المجتمع... فإنما
ينبغي ان يكون انسانا قبل كل شيء...

وأن الرحمة بالأطفال... مفتاح يفتح للراحم رحمة الرحمن...
وأن الحنو على الصغير... يسلسل بناييع الرحمة في قلب الكبير...
وأن عظمة الانسان... فيما يصدر عنه من تصرفات انسانية... لا فيما
يصدر عنه من اعمال...

وأن... وأن... وأن... النبي... ﷺ... قد أقبل... والحُسَيْن (أو
الحَسَن) محمول بيد جده العظيم... ﷺ...

ثم ماذا بعد هذا المشهد الانساني الرائع؟ ثم يرسل... رسول الله...
ﷺ... ناموسا خالدا... يكشف اعماق الحياة البشرية... والدوافع التي
تحرك غرائز الانسان...

فيقول: « إِنَّكُمْ لَتَبْخُلُونَ، وَتُجَبِّنُونَ، وَتُجْهَلُونَ... »
فاذا بكل فقرة من فقراتها... بحر من الانوار... يتلاطم بأغوار النفس
البشرية...

يقول: «إِنَّكُمْ»...

انكم يا ايها الأبناء، يا أيتها البنات... يا أيها الاطفال عموما... من
ذرية الرجل والمرأة على السواء...

«لَتَبْخُلُونَ»... تورثون الآباء البخل!!!

ما ابعاد تلك القضية؟!

ابعادها... بعيدة جدا...

يكون الشاب كريما... سمحا... جوادا... يجود بما عنده من المال
في بساطة...

وتكون الفتاة كذلك كريمة... تجود بما في يدها من المال... في
براءة وبساطة...

فلا التواءات... ولا روااسب في النفس... تحجزهما عن البذل...
وانما انطلاق في الحياة... دون ما تفكر في المستقبل...

حتى يحدث حادث الزواج...

حتى يتزوج الشاب... وتزوج الفتاة...

ثم يكون منهما نسل... طفل او طفلة...

فيحدث هبوط نفسي في كليهما... وتتغير نظرتهما الى الحياة...

ويزحف الواقع الثقيل... على مشاعرهما...

ويدركان ان الطفل الجديد... له مطالب... وان الواقع أصبح

يلزمهما... بإمساك أيديهما... ليقدا لهذا المخلوق الجديد... مطالبه...

فتراهما... وقد انقلبا... من الكرم... الى الشح...

ومن الجود... الى الإمساك...

ومن السخاء... الى البخل...

فاذا ما سألتهما: لماذا تغير سلوككما؟
 قالا: هذا الطفل... وهؤلاء الاطفال من بعده... لهم مطالب!!!
 فانظر... كيف ارسل رسول الله... ﷺ... اشعاعاته... الى اغوار
 النفس البشرية... فكشفها على حقيقتها... وكشف داوِغ سلوكها...
 ودوافع الثغرات التي تطراً على نفوسها...
 كل اولئك... في امواج... من النور... تتلاطم... وتتهادى... الى ما
 لا نهاية...
 وكيف ركز نواميس كبرى... وانوارا عظمى... في كلمة واحدة...
 هي قوله «لَتَبْحُلُون»!!!
 ولئن كانت ادراكاتنا تقف عاجزة... عن ادراك ما فيها... من
 مكنونات... نورانية...
 الا اننا نبصر في اشعاعها العام... نورا هائلا... لو سلطنا شعاعا واحدا
 منه... على كل نفس بشرية... من ذكر أو أنثى لانكشفت لنا أسرار
 عجيبة...
 ولتكونت منها علوم نفسية متعددة... يطمس لألأوها تلك المحاولات
 التي بلغت الحضارة الحديثة في «علم النفس»...
 ولكن عقولنا لا تطيق... فلو حَوِّمت حول اشعاعاتها... ونفذت الى
 اعماقها... لاحتقرت... ثم احترقت...
 بأنه محمد... ﷺ...
 رَكْز البحر... في قطرة...
 فاجتمع له الإعجاز... الظاهر... والباطن... في وقت واحد!!!
 اللهم صل... وسلم... وبارك... عليه... عدد تَخْلُقك... ورضا
 نفسك... وزنة عرشك... ومداد كلماتك!!!
 ثم يتلاطم البحر الثاني... من انوار... الناموس... الذي القاه الى
 اصحابه... لتتلقاه البشرية... منهم...

«وُثِّبُنُون»... وتثيرون الجُبْنَ... في قلوب الشجعان...

لماذا؟

لنفس الأسباب... يكون الفتى شجاعا... وتكون الفتاة مقدامة...

فاذا ما تزوجا... وانتجا نتاجهما... طفلا... أو أكثر...

تراجعا عن حماستهما... وهبطت نسبة إقدامهما... على المغامرات...

والقتال... والرغبة في الشهادة...

لماذا؟...

لان من ورائهما طفولة... تحتاج الى رعاية... وتنادي ببقائهما الى

جوارها...

فترى الفتى الذي كان من قبل زواجه... مندفعاً... الى الميادين... بدأ

يتراخى... ويتكاسل... ويعلل نفسه بالمعاذير...

ويتلمس لذلك فلسفات... هابطة... أن السعي على الأولاد جهاد...

ورعاية الأسرة جهاد...

وهذا كله حق... الا انه لم يكن مذهبه من قبل الزواج!!

وكذلك الفتاة... اذا ما تزوجت... وولدت... ورأت فتاها قادما على

معركة... او ثائرا الى مغامرة... جعلت تقيده... وترده... وتراوده... الى

نفسها تارة... وتلوح له بأطفاله اخرى حتى يستجيب للنداء... ويقعد عن

الجهاد!!!

فتأمل هذه القطرة... من هذا البحر... الذي ركزه محمد... رسول

الله... ﷺ... في كلمة واحدة «وُثِّبُنُون»!!!

فكيف لو انهمرت قطرات البحر جميعا... في قلوبنا...

ام كيف لو تشعشت اشعاعاتها... كلها... في الوجود...

فأي بحر يتفجر... وأي نور يتمدد... وأي زهور... من تلك ينبوع

الْعُلَى تفتتح؟!

أي... رسول الله...

لقد أوتيت من الأنوار... شيئا عَجَبًا...
شيئا واسعا... واسعا... واسعا...
شيئا جامعا... جامعا... جامعا...
ولكنهم يجهلون... ولا يعلمون...
يعلمون منك ظاهرا... من الشخصية...
وهم عن باطن الشخصية... هم غافلون!!!
ثم نعبّر هذين البحرين... الى البحر الثالث... من الناموس... الذي
أهداه... الى البشرية... وما أكثر ما أهداها... لعلها تبلغ هُداها...
فاذا بالبحر الثالث... أشد نورا... وأشد إشعاعا...
يقول: «وَتَجْهَلُونَ»... اي تدفعون الآباء والامهات الى الجهل...
الى التصرفات الخاطئة... الى الانحراف عن الخط المستقيم... خط
الله...

الى الخروج عن حدود الله... والوقوع في معاصيه... الى الخروج من
انوار الطاعة... الى ظلام المعصية...
لماذا يحدث هذا كله؟
لحرص الأبوين على منفعة اولادهما...
وكم من أب... وكم من أم... عصى الله... حرصا على ما نسميه
تحقيق السعادة للأولاد... وضمان المستقبل الزاهر للأسرة!!!
ترى الرجل الذي كان في شبابه... شعلة مضيئة... تتلأأ بالقيم
العليا...

ينكص على عقبه... اذا ما تزوج... وصار ذا بنين وبنات...
ويغير رأيه في الحياة... فبعد ان كان في شبابه ينادي بالمثل...
ويرغب في ما عند الله...
اذا به بعد زواجه... يركن الى الحياة... وينسلخ من مثله... ويتخذ له
منهجًا مغايرًا... واتجاهًا مضادًا...

وفلسفته في ذلك... أن هؤلاء... لهم حق عليه معلوم... ويشير الى اطفاله!!!

وكم من معصية ارتكبها الآباء... ووقعت فيها الأمهات... من هذا السبيل...

ثم تكون سخرية القدر منهم... انهم اذا ما بوغتوا بالموت... خلفوا من ورائهم ما جمعوا من حرام... يعيث به الأبناء والبنات!!!
وباءوا هم بحسرة معاصيهم... وعقابها عند الله!!!
وهذا هو الجهل بعينه... الذي يرتكبه الآباء والأمهات... في حق انفسهم...

فكانهم يحترقون بنار جهنم... من أجل غيرهم...
ولو كانوا يعقلون... ما اندفعوا الى ما يفعلون... ولكنهم يجهلون!!!
هذه قطرة واحدة... من البحر الثالث... فكيف بأواجه جميعا؟!
ومع ذلك... جمعها كلها... في قوله «وَيُجْهَلُونَ!!!»
حتى اذا ما مسسنا انوار البحار الثلاثة... من بعيد...
لمحنا في الافق... شمسا تتلألأ... وتشرق علينا من جديد...
تلك الشمس... هي تنمة ناموسه الذي اعلنه من قبل... حين يقول في تمام حديثه الشريف...

«وَأَنَّكُمْ لَمِنْ رِيحَانِ اللَّهِ»!!!

وانكم... ايها الاطفال...

لمن ريحان... لمن زهور...

الله... التي ابدعها الله تعالى... بقدرته الباهرة... وصنعها فأحسن صنعها...

وهذا التعبير... يستحيل أن يصدر إلا عن نبي... يُوحى اليه...
اي رغم ان الاطفال... يُحْلُونَ... وَيُجَبِّنُونَ... وَيُجْهَلُونَ... الا انهم زهور جميلة... تحدث البهجة والسرور... لآبائهم... وأمهاتهم...

وكم لبسمات الاطفال البريئة... من آثار قوية... في نفوس
الأمهات...

وكم فيها من دفعات... تدفع الآباء... الى خوض غمار الحياة... في
سرور... واستبشار... ليكدحوا فيها بحثا عن رزق هؤلاء الصغار...
ان الاطفال قرّة عين للأمهات... والآباء...

وآية ذلك ما تراه مكنونا... في توجيهات الآيات الكريمة من كتاب
الله تعالى... التي تصف عباد الرحمن... فتجعل من أوصافهم:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...﴾
(الفرقان ٧٤)

اي: هب لنا من ازواجنا... واطفالنا... سرورا... وانشرح صدور...
وانما يتأتى ذلك حين يهب الله للانسان زوجا... ينسجم معها...
وتنسجم معه...

فيكون الزوج لزوجته سرورا... قرّة عين... لها...
وتكون الزوجة سرورا لزوجها... قرّة عين... له...
وحين يهب الله لهما ذرية طيبة... اطفالا طيبين... يشبون على
الخير... ويتجهون الى الخير...

فيكون منهم صغار... قرّة عين لهما...
ومنهم كبار... قرّة عين لهما...
وهذا يتأتى من فضل الله تعالى عليهما...
والأطفال في طفولتهم... ازهار... وزينة للأسرة... والبيوت...
والمجتمع...

والحياة البشرية كلها...
واسأل الذين لم يهب الله لهم اولادا... عن احساسهم نحو الأولاد...
وعن رغبتهم في الذرية...
وانما يدرك النعمة... من لم يظفر بامتلاكها....

ويقف رسول الله... ﷺ... في مقامه ذاك...
وهو يخرج على اصحابه... يحتضن أحد ابني ابنته فاطمة...
يلقي اليهم بذلك البحر من النور... في بساطة معجزة...
كما تلقي الشمس شعاعها على الارض في صمت عجيب...
«وَأَنْتُمْ لِمَنْ رِيحَانُ اللَّهِ»!!!

فتبدي من شخصيته تلك الاحاسيس الرفيعة... التي تصدر عن
النبي... الانسان...

واذا بتلك الجملة... المكونة من اربع كلمات... ليست الا... ينابيع...
فؤارة... نؤارة... تنبجس... أعاجيب... من النواميس المحكمة... التي
لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها!!!
وانما المعجز من تلك الشخصية... انها حين تصدر اشعاعاتها...
تصدرها... على مستوى واحد... من العلو... والسمو... والإحكام...
والصدق... والحق...

وهذه آية النبوة من شخصيته...
فإن الانسان العادي... اذا أجاد مرة... لم يُحسن الأخرى...
واذا امتاز كرة... هوى كرة أخرى
اما محمد... ﷺ... فدائما وأبدا... يصدر كلماته... شيئا واحدا...
علوا... وسُموا... وإحكاما...
وهذه هي النبوة... وتلك آياتها...

انظر اليه... في اقصوصة اخرى... من مواقفه الشريفة... مع ابني
ابنته... الحسن والحسين... تلمس نفس المستوى... ونفس المقام...
ونفس الإحكام...

«كان رسول الله ﷺ يخطبنا
«اذ جاء الحسن والحسين
«عليهما قميصان أحمران

«يمشيان، ويعثران
«فنزّل رسول الله ﷺ عن المنبر
«فحملهما، ووضعهما، بين يديه
«ثم قال: صدق الله، إنّما أموالكم وأولادكم فتنة
«نظرت الى هذين الصبيين، يمشيان، ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت
حديثي، ورفعتهما.»
وفي هذه الاقصوصة... تلمس نفس المستوى... ونفس الإحكام...
ونفس المقام...
انوار عليا... تتماوج من قلبه الشريف...
لتتشعشع الى القلوب...
فما أعظم تلك الشخصية!!!

سِتْرًا...
مِنَ النَّارِ ... !؟

انواره... ممتدة... لا تتوقف...
 وازهاره... تتفتح... ابدا... لا تذبل... ولا تيس...
 وانما هي جنته... نور يتلأل... وازهار تهتز...
 كم عنده من عجب!!
 اسمع الى هذه الاقصوة... العابرة... من لفتاته الباهرة...
 «عن عائشة قالت: دَخَلَتْ امْرَأَةٌ، مَعَهَا ابْتَانٌ لَهَا، فَسَأَلَتْ فَلَمْ تَجِدْ
 عِنْدِي شَيْئًا، غَيْرَ ثَمَرَةٍ
 فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا
 فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ ابْنَيْهَا
 وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا
 ثُمَّ قَامَتْ، فَخَرَجَتْ
 فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ
 فَأَخْبَرَتْهُ
 فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 «مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ».
 (أخرجه الترمذي)

هذه واحدة... من لفتاته العاليات...

امراة فقيرة... تدخل على عائشة... زوج رسول الله... ﷺ...
تسألها شيئا... فلم تجد عندها شيئا!!
لقد كان ازمة نفسية... للمرأة...
انها دخلت على عائشة... ومعها ابنتان لها...
طفلتان... صغيرتان... جائعتان... ترتقبان منحة من عائشة تذهب
عنهما جوعهما...

فكان جواب الواقع : فلم تجِدْ عندي شيئا!!!
وفي هذا المنظر من القصة... لوحات فنية خالدة...
اللوحه الاولى... تلك المرأة في يمينها طفلة جائعة... وفي يسارها
أخرى جائعة... وثلاثتهن... يأملن شيئا يذهب جوعهن...
عيون تنفتح على الأمل... ولكن لا أمل!!!
واللوحة الثانية... عائشة... تلك الخالدة... التي لم يجدن عندها
شيئا... هي الأخرى!!!

زوجة رئيس الدولة... لا شيء عندها!!!
وها هنا الخلود... او الخلود من ها هنا...
واللوحة الثالثة... تلكم التمرة... الواحدة... اليتيمة... عند عائشة!!!
تلك التي سجلتها في كلمتها الخالدة: «فلم تجِدْ عندي شيئا غيرَ
ثمرة»...

غيرَ ثمرة!!!

تتموج بالنور... والنور يتموج منها...
هذا بيت عائشة... هذا بيت محمد... رسول الله... ﷺ... ليس
فيه... غير ثمرة...
ثمرة واحدة!!!

واللوحة الرابعة... من خالديات ذلك المنظر... عائشة وهي تعطي تلك
الثمرة الوحيدة... لتلك المرأة السائلة ذات الطفلتين الجائعتين...

تلك اللوحة التي سجلتها عائشة... الصديقة بنت الصديق...
في قولها: «فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا»...
واجمل ما هي هذه اللوحة... اخذ عائشة الامر مأخذ الجد... رغم
انها ثمرة واحدة...
فلو أن احدا غيرها... من اهل الدنيا... لحقر تلك الثمرة... ولاستحيا
ان يقدمها الى السائلة... ولكن عائشة... التي خالطته... في ليله
ونهاره... وتعلمت من زوجها انوار اسراره... واسرار انواره...
تلك التي هذا شأنها... كانت ترى في تلك الثمرة الواحدة... شيئا
عظيما هائلا عند الله...
لأنها قدمتها وهي تسعى في نورها...
قدمتها الى ربها... لا الى هذه السائلة...
قدمتها لتقرب...
واللوحة الخامسة... تلك السائلة وهي تمتنع... رغم جوعها... عن
تعاطي الثمرة... وتقسمها بين طفلتيها... الجائعتين!!!
اللوحة التي سجلتها عائشة في قولها: «فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ ابْنَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ
مِنْهَا»!
هنالك تفرقت الامومة الخالدة... حنانا... ورحمة... ورقة...
وعذوبة... واشفاقا...
فأبت أن تأكل من الثمرة الواحدة شيئا... وقسمتها بين ابنيها!! ماذا
في هذا من العجب؟!
فيه أن تلك المرأة قد فعلت فعلة بلغت من الرقي أعلاه...
فماذا عليها لو التهمت... واطفأت شيئا من نيران جوعها؟
ولكنها لم تفعل... وآثرت ابنتيها... واعطت كلا منهما شطرا...
وها هنا تتخلق خطوط النور من تلك اللوحة الفنية الرائعة...
ثم ماذا؟

«ثم قامت فخرجت»...

ثم ماذا؟

«فدخل النبي ﷺ»...

دخل النور يسعى الى بيت عائشة...

دخل في جمال النبوة وجلالها...

ثم ماذا؟!

«فأخبرته»... قصّت عائشة عليه... ﷺ... ما كان من أمر المرأة...

وأمرها...

ثم ماذا؟

فقال النبي ﷺ: «مَنْ ابْتُلِيَ بشيءٍ، مِنْ هذه البناتِ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»

فكان ناموسا... الهيا... عظيما...

«مَنْ ابْتُلِيَ» مَنْ اختبر... من امتحن...

«بشيءٍ» أي شيء... قليل... ام كثير...

« مِنْ هذه البناتِ » من اولئك البنات... صغيرات... ام كبيرات...

اطفالا ام ابكارا...

«كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ» كان ذلك الاختبار، وصبره عليه... ستارا

يحول بينه وبين النار...

كيف يحدث هذا؟

يحدث بحمل أماناتهن... تأديبا... وتربية... وإنفاقا... حتى

يؤديهن... الى بيوت أزواجهن...

وتلك مسؤولية كبرى... وأمانة ثقيلة... وإنما السهل ما جعله الله

سهلا...

ويُلقي محمد... رسول الله... ﷺ... في هذا المقام بأنواره...

فيقول : « مَنْ ابْتُلِيَ بِشَيْءٍ، مِنَ الْبَنَاتِ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ حِجَاباً مِنَ النَّارِ. »

ويقول: « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ، دَخَلَ أَنَا وَهُوَ الْجَنَّةَ، كَهَاتَيْنِ (وَأَشَارَ بِأَصْبَعَيْهِ). »

ويقول: « لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ

« أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ

« فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ

« إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ. »

ثم يرسل نورا عظيما... ليتشعشع في آفاقها الى يوم القيامة...

فيقول: « مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ... »

« أَوْ ابْنَتَانِ، أَوْ أُخْتَانِ... »

« فَأَحْسَنَ صُحْبَتَهُنَّ

« وَاتَّقَى اللَّهَ فِيهِنَّ

« فَلَهُ الْجَنَّةُ. »

(أخرجها الترمذي)

وهكذا... انوار تتزاحم... وتندافع... من قلبه الشريف... كاعلى ما

تكون الانوار... واوسع ما تكون الرحمات...

كل اولئك في إحكام... وانتظام... وتوازن...

لا يتأتى الا منه هو... من رسول الله... الى الناس كافة...

فانظر اليه... شخصية تُوجَّه... فاذا وجَّهت رفعت مستوى الذين

توجههم... الى مقامات النور...

وانظر اليه... شخصية تُعَلِّم... فاذا عَلِّمَتْ... كان علمها نورا...

يندفع الى القلوب...

ثم انظر اليه... وهو يُلقِي بكل ذلك... في بساطة... ويُسر...

وسهولة... كأنما هو يتحدث وهو في نزهة...

ولو اجتمعت الدنيا... لتعبر عما عبر عنه... ما استطاعت الوصول الى
اقل القليل مما اجتازه... وهو يحلق في آفاق انواره...
ذلكم محمد... ﷺ...
في مقام يسير... من مقاماته...
فما ظنك به في عموم مقاماته؟!
ذلك أمر... فوق ما يخطر على قلوب البشر!!!

متى يتحتم...
دخولك...
الجنة...؟!

من اجمل... ما أذاعه... محمد رسول الله... ﷺ... علينا...
تلك البشرى... التي يشر فيها الانسان... بحتمية دخوله الجنة...
يقول: «مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا، بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، أَدْخَلَهُ
اللهُ الْجَنَّةَ، الثَّابِتَ إِلَّا أَنْ يَفْعَلَ ذَنْبًا، لَا يُغْفَرُ لَهُ».

(أخرجه الترمذي)

والجمال المكنون في هذه... انه عرض عام... لمن شاء... ان يدخل
الجنة حتما...

ومن ذا الذي لا يريد... ان يدخل الجنة حتما؟!
كانه يلقي بالسعادة الابدية... الى الجميع... ويناديهم: هل من انسان
يريد ان يسعد فلا يشتكى ابدا؟!
«مَنْ قَبَضَ يَتِيمًا، مِنْ أَمْسِكَ فِي بَيْتِهِ... طِفْلاً أَوْ طِفْلاً... يَتِيمًا... لَا

تجد من يعولها...
«بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»... في مجتمع المسلمين... الذين اسلموا لله
ورسوله... واتبعوا النور الذي انزل معه...

«إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ»... اشركه في حياته المعيشية... يؤاكله...
ويشاربه... ما يأكل هو واسرته... ومما يشربون...
فهو فرد في الاسرة... لا فرق بينه وبين سائر افراد الاسرة...

وهذا هو المكنون في قوله: «الى طعامه وشرابه»
كي لا يشعر اليتيم... او اليتيمة... ان هناك تميزا لاحد عليه...
فتتكسر نفسه اكثر من انكسارها الكامن في قلبها...
وانما يذهب عنه وحشة اليتيم... وآلام الحاجة... حين ينزله من نفسه
منزلة اولاده من صلبه...

هنالك يشعر اليتيم... انه فرد في اسرة...
وانه يتساوى معهم في كل شيء... فيطمئن قلبه... ويتفتح فؤاده...
وتهتز منه معاني الحياة الكريمة...
وحين يشعر اليتيم بذلك الشعور... تنطلق من قلبه... اشعاعات
النور... نحو ربه... الذي آواه... واکرمه بهؤلاء الكرام...
ومن زاوية اخرى... هناك ينبوع الرحمة... يجري من قلب ذلك
الرجل... الذي آواه في بيته... يريد بذلك وجه الله...
فهو يتوجه الى الله بما فعل...
«أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ»...وانما دخل الجنة... لانه كان في الدنيا في
مقامات النور...

كان يؤوي ويحسن الى اليتيم... ابتغاء وجهه تعالى...
فهو مؤهل طبيعيا لدخول الجنة...
«أَلْبَنَتْهُ»... حتما يدخلها...
وليس المعنى انه يدخل رغم أنفه... أو أن هناك حتما على الله أن
يُدخل أحدا الجنة...
كلا... وانما المعنى ان النواميس الالهية... تمضي او توماتيكيا... الى
غاياتها المرسومة...

فمن كان في الدنيا في مقام النور... كان في الآخرة في الجنة...
ومن كان في الدنيا في دركات الظلام... كان في الآخرة في النار...

انها اوتوماتيكية نواميس الجزاء... تسري في إحكام... وعدالة الهية...
تامة...

وهذا هو المكنون في قوله «أَلْبَتَّةَ»...

فالحتمية هنا حتمية العدل الالهي...

لا حتمية الارغام للألوهية...

«إِلَّا أَنْ يَعْمَلَ ذَنْبًا، لَا يُغْفَرُ لَهُ»...

الا ان يكون له عمل يستوجب دخوله النار... فهناك يتحتم دخوله
النار... جزاء ما عمل...

وهكذا... كان حتما ان يدخل مثل ذلك الانسان الجنة...

رجل يتجه بقلبه الى ربه... ويقبض يتيما... ابتغاء وجه ربه...

فهو في دنياه في مقام النور... فتحتم في أخره ان يكون في عالم
النور... في الجنة...

وتلك المفاتيح العلى... لا يستطيعها الا هو...

بانه يعلم اسرار الحقائق العليا... ويجوس فيها كيف يشاء...

ومن نفس الينبوع... يقول رسول الله ﷺ...

«أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ، فِي الْجَنَّةِ، كَهَاتَيْنِ

وَأَشَارَ بِأَصْبُعَيْهِ

«يَعْنِي السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى.»

(أخرجه الترمذي)

رجل مؤمن بربه... متجه بقلبه الى الله...

انبعث يكفل يتيما... وينفق عليه... ويسدده... ويوجهه...

يريد بذلك التقرب من الله...

فهو في مقام النور... ويرقى فيها... درجات... بكفاله لليetim...

فهو مؤهل للجنة تأهيلا طبيعيا...

وهذا هو المكنون في قوله ﷺ:

«في الجنة ... كهاتين»...

ان الجنة قد وجبت له... بما فعل... واخلص النية... واخلص الاتجاه
في الدنيا...

فهو في الجنة مع رسول الله... ﷺ ... قريب منه قُرب السبابة
للوسطى...

والمراد انه يلزم رسول الله... ﷺ ... في الجنة... كما يتلزم
الأصبعان... السبابة والوسطى...

ولا يظن رجل يفكر تفكيراً سطحياً... ان معنى هذا ان كافل اليتيم...
يكون في نفس درجة رسول الله... ﷺ ...

كلا... فلرسول الله... ﷺ ... مقامه... الذي لا يدانيه مقام...
وانما المعنى... ان كافل اليتيم يظفر بالجنة...

ويكون مع النبيين... والصديقين... والشهداء...
ولكن... ينزل كُلُّ حسب مقامه منها...

وكذلك شعشع رسول الله... ﷺ ...
الواجبات فحوّلها الى أنوار...

وشعشع الآمال فحوّلها... الى مآل...

وشعشع المآل فحوّله... الى جنة فيها ما لا عين رأت... ولا أذن
سمعت... ولا تحطّر على قلب بشر...

وشعشع الجنة فحوّلها الى سعادة الأبد...

وشعشع سعادة الأبد... فحوّلها الى طاقة.. تتفجر من قلب كافل

اليتيم... وتهزه هزا شديدا... ليعث عن يتيم يؤويه...

ليظفر بالحُسنَى وزيادة!!!

بحر يسبح فيه الصغار...
وبحر... يسبح فيه الكبار... !

استمع اليه... وهو يفتح بحرا... من الرحمة للصغار... ثم يُجرى...
بحرا من الرحمة... للكبار...

ثم تعجب... بعد هذا... كم له من انوار؟!
يقول: «لَيْسَ مِنَّا، مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوقِّرْ كَبِيرَنَا.»
(أخرجه الترمذي)

البحر الاول... «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا.»
وصغيرنا... هذه... تشمل.. الاطفال... ذكورا... واناثا..
كما تشمل معنويا... كل فرد لم يقدر على الكسب بعد...
هؤلاء لهم عند... رسول الله... ﷺ بحر... يسبحون فيه...
«لَيْسَ مِنَّا...» ليس من ملتنا... ليس من سنتنا... ليس من طريقتنا...
ليس من المنهج الذي يرتضيه رسول الله... ﷺ لأمته...
والرحمة بالصغير... تقتضي اداء حقه اليه... من المداعبة...
والملاطفة... والتبسم... والمعاونة على قضاء مطالبه... والارشاد الى ما
فيه خيره دنيا وآخره... وتجنبيه رفقة السوء... وتعويده اسلوب الخير...
وتعليمه ما ينفعه...

وبالجملة الرحمة العامة... الشاملة...

التي تشعر الصغير انه موضع الرعاية من المجتمع... والافراد... وهذا يكون في قلبه احساسا جميلا نحو الآخرين...

احساس يدفعه ان يُكِنَّ الخير لغيره... كما افاض الغير عليه خيره...
فينشأ الصغار نشأة رحمة... وتراحم... ينظرون الى المجتمع نظرة
احساس بالرغبة في رد الجميل... اذا ما ترعرعوا واصبحوا قادرين على
اسداء الجميل الى الغير...

وهذا عكس نشأة القسوة... وتنشئة الاهمال... مما يُعَقِّد الاطفال...
ويربي عندهم عقدة الانتقام... وعقدة الاهمال... مما يدفعهم اذا ما كبروا
الى الانتقام من الغير... واهمال الغير...

فانظر أي بحر... فتحه للصغار... رسول الله ﷺ...؟
واي جمال نشأهم عليه...

واي انوار دعا الكبار الى فعله بهم؟!!!

البحر الثاني... «وَيُوقَّرُ كَبِيرُنَا»

وفي رواية اخرى: «وَيَعْرِفُ شَرَفَ كَبِيرُنَا»...

وفي اخرى: «... وَيُوقَّرُ كَبِيرُنَا، وَيَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَ عَنِ
الْمُنْكَرِ».

والكبير هنا... إما كبير السن...

وإما كبير المقام...

أما كبير السن... فمن منهجه... ﷺ... ان يوقره المجتمع...
لتجاربه... وطول عمره الذي قضاه في خدمة الاسلام... واداء... حق
المجتمع...

فهو صاحب حق على كل فرد فيه...

واما كبير المقام، فلتقواه... او علمه... او منصبه... او مركزه
الاجتماعي... فمن حقه على الافراد... ان يعرفوا له شرفه... وان يؤدوا
اليه حقوق ذلك الشرف... من التوقير... والاحترام...

لماذا؟

لان كل صغير اليوم... سوف يكون كبيرا غدا...
واذا لم يجد الشيوخ في كبرهم... الاحترام الواجب لهم... ترك ذلك
في نفوسهم حسرة... وأسى... وأسفا...
اما اذا وجدوا حقهم من الاحترام... اذدادوا رضى عن مجتمعهم...
ورضى عن دورهم الذي ادوه... لذلك المجتمع...
هنالك تترقق من عيونهم دموع الرضى عن مجتمع اكرمهم...
هنالك يتوجهون بقلوبهم الى ربهم... اللهم بارك في أمتنا... وبارك
في هؤلاء الذين حفظوا لنا حقوقنا...
وتتصاعد الانوار... من قلوب الكبار... كما تتصاعدت اشعاعات
الرحمة من قلوب الصغار...
فتتنزل رحمة الله تعالى... على مجتمع... يرحم صغيره... ويوقر
كبيره...
فانظر كيف أجرى... رسول الله... ﷺ... البحرين... في وقت
واحد...

بحرا... يسبح فيه الصغار...
وبحرا... يسبح فيه الكبار...
وهو... ينبوع النور... الذي يجري منه البهران!!؟

ناموس...
الرحمة...!؟

اعلى ما يكون... رسول الله... ﷺ... حين يتحدث عن الرحمة.
بأنه يتحدث عن صميم تكوينه...
يتحدث عن نفسه... لأنه هو الرحمة ذاتها...
قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(الأنبياء ١٠٧)

فهو... الرحمة المهداة... الى الناس كافة...
فاذا ما تحدث عن الرحمة... كان كأنه... يتحدث عن نفسه...
فاذا علم انه أصفى مرآة... أصفى قلب على الاطلاق... جاء حديثه...
يعكس اصدق صورة... لشخصية محمد... ﷺ...
وهذا اخطر مدخل... ندخل منه... لاكتشاف عظمة تلك
الشخصية...

فانك اذا اردت ان ترى انسانا... فانظر صورته في المرآة الصافية...
تجد امامك نفس الانسان... بلا تغيير... ولا تبديل...
ماذا يقول... رسول الله... ﷺ... في ثنايا أحاديثه عن الرحمة؟
يقول: «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ، لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ».

(أخرجه الترمذي)

لماذا؟!!

لان الرحمة... صفة تعيش في القلب... وتنعكس آثارها على تصرفات الشخص...

فمن لا يرحم الناس... انسان يخلو قلبه... حتما... من الرحمة... والا لظهرت آثارها في تصرفاته...

فامتناع ظهور الرحمة منه... معناه ان قلبه لا رحمة به...

ماهو الاثر الالهي لنضوب الرحمة من قلبه؟

« لا يُرَحِّمُهُ اللَّهُ... » لا يدخله الله رحمته !!!

عجبا!!... كيف يغلق باب الرحمة في وجهه... وقد يكون في قلبه

من صفات الخير ما فيه؟!

لان الرحمة هي الصفة الجامعة لجميع صفات الخير... فاذا انعدمت

انعدمت سائر صفات الخير!!

قد يبدو هذا غريبا... لأول نظرة...

ولكن بشيء من التعمق... تنفتح لنا المغاليق...

انما الخير شجرة... ذات اوراق خضراء... وثمار جميلة...

اوراقها... كل عمل حسن... وثمارها أجر عظيم... عند الله...

جذور تلك الشجرة... هي الرحمة...

فاذا اجتثت الجذور... من فوق الارض... جفت الاوراق كلها...

وجفت الثمار كلها...

ومن ذلك المثال... يتلأأ الجمال...

جمال الحقيقة... من تلك الدقة...

قال تعالى: ﴿... كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا

فِي السَّمَاءِ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا...﴾

﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ

مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

(ابراهيم ٢٤ و٢٥ و٢٦)

والكلمة الطيبة... هي كلمة التوحيد... التي تورث الخير... تورث
الرحمة...

والكلمة الخبيثة... هي كلمة الكفر... التي تورث الشر... تورث
نضوب الرحمة...

ماهي اعماق هذا كله؟

اعماقه...

ان الكلمة الطيبة... نور...

والكلمة الخبيثة... ظلام...

فالقلب المؤمن... في نور...

والقلب الكافر... في ظلام...

والنور... يثمر كل فروع الرحمة...

والظلام... يثمر كل فروع نضوب الرحمة...

فالقلب الذي لا يرحم... قلب مظلم... لا يصدر عنه الا الشر...

والقلب الذي يرحم... قلب منير... يصدر عنه الخير... فاذا قال

رسول الله ﷺ: « مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمَهُ اللَّهُ » انما يشير الى

تلك المعاني... وما وراءها...

وانما يقف في مقامه الرفيع... الأسنى... يتحدث عن ناموس إلهي

خالد...

ان كل من لا يرحم الناس... لا يرحمه الله...

كل من كان قلبه في الظلام... كان بعيدا عن رحمة الله

وهذا ناموس اتوماتيكي... يسري... ويجري... بلا توقف...

فمن لا يرحم غيره... معناه ان قلبه متجه الى غير الله... الى اسفل...

الى دركات الظلام...

وهذا معناه اتوماتيكيا... ان ذلك... القلب... ليس في مقام النور...

وانما هو في دركات الظلام...

ومعناه اتوماتيكيا... انه محروم حرمانا كاملا... من رحمة الله
المبثوثة... في مقامات النور...
ذلك شيء من باطن ذلك الناموس... الذي اذاعه رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
فكان قانونا طبيعياً... اتوماتيكياً... يسري في الناس... بلا توقف...
الى يوم القيامة...

والعكس صحيح... فمن رحم الناس... يرحمه الله...
ومن اتسعت رحمته للناس... رحمه الله رحمة واسعة...
ومن كان هو ذاته الرحمة... كان في أعلى مقامات الرحمة الالهية...
وذلك هو محمد رسول الله... صلى الله عليه وسلم...
ويحدد... صلى الله عليه وسلم تلك القضية... في أبلغ... وأحكم
مقال... يمكن أن يقوله نبي...
فيقول: «لَا تُنَزِّعُ الرَّحْمَةَ، إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ».

(أخرجه الترمذي)

ونزع الرحمة هنا... اشارة الى جفاف القلب من الرحمة...
ودخوله الى دركات الظلام... حيث لا رحمة...
والذي يثير الدهشة هنا... هو الصدق المُحكَّم... الذي يتلأأ في هذا
الحديث... كما يتلأأ في الحديث السابق
ورغم ان كلا منهما... صدر عنه... في وقت متباعد...
ولكن كليهما... يتفقان... في ناموس واحد...
وهذا الاتفاق المُحكَّم... لن يتيسر الا للأنبياء...
فكيف بذروة الانبياء؟!
فما من انسان نطق برأي في أمر من الامور... ثم نطق برأي آخر...
بعد زمان من الرأي السابق...
إلا اختلف حديثه الجديد... عن حديثه القديم... ولو شيئا يسيراً...

إلا الأنبياء... فانهم هم وحدهم الذين لا تختلف أحاديثهم... رغم تباعد الأزمنة...

والى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾

(النساء ٨٢)

فكون آيات كتاب الله... من عند الله... هو الذي منع الاختلاف بين آياته وكون أحاديث رسول الله... من عند الله... لأنها وحى يوحى... هو كذلك الذي منع الاختلاف فيها...

ثم ماذا؟!

ثم يتلأأ رسول الله... ﷺ... ويذيع ناموساً جامعاً... لتلك القوانين العليا كلها...

فيأتي طبق الأصل... مما سبق أن أذاعه... ليؤكد مرة أخرى... انه لا ينطق عن الهوى... إن هو الا وَحْيٌ يُوْحَى...

يقول: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنَ السَّمَاءِ»

«الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»

(أخرجه الترمذي)

وهذا الحديث... وحده... بحر من النور... السرمدي... الابدي... الذي يسري... ويجري... في الوجود... من يوم أن كان هناك موجود...

وبإذن الله تبارك وتعالى... سوف ترى فيه البشرية... نوراً... ثم نوراً... ثم نوراً...

يكفيها... ويؤويها... ويرويهها... ويهديها... ويسقيها...

لو أنها آوت اليه... وفتحت قلوبها عليه...

في هذا الحديث المعجز... من جوامع كلمه... صلى الله عليه وسلم...
تجد خمسة نواميس عظمى...
الناموس الاول... الراحمون يُرَحِّمُهُمُ الرحمن...
الناموس الثاني... ارحموا من في الأرض...
الناموس الثالث... يُرَحِّمُكُمْ من في السماء...
الناموس الرابع... الرَّحْمُ شَجَنَةٌ مِنَ الرحمن...
الناموس الخامس... فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللهُ...
وفي تلك البحار الخمسة... من الاشعاعات... ما ان انقست
البشرية... كلها... في غلالاتها... لخرجت ولها بريق... يأخذ
بالابصار...

انظر... اسمع...
والراحمون... يُرَحِّمُهُمُ... الرحمن! هل هي موسيقى تساق... من
أنعام الجنة... الى ربوع الدنيا؟!
اشعر أن فيها أنعاما حلوة... يرتاح لها الفؤاد... ويشرح لها الصدر!!
ثم هذا السبيل... الذي فيها... وهي تتابع... كأنها امواج من
الرحمة تتسابق نلى ما لا نهاية!!

استمع اليها بقلبك... والراحمون... يُرَحِّمُهُمُ... الرحمن!...!!
قسم بالله الذي لا اله الا هو...
إن هذا قول رسول كريم... وليس بقول بشر ضيعي...
لأن العقل البشري... يستحيل... ان يرتفع الى هذا الإعجاز في
التعبير...

ناموس كامل... يحوي ما يحوي... في ثلاث كلمات!!!
إحكام الأحكام... في أدق... وأرق... نظام!!
والدنيا كلها... بأهلها... ومستوياتها... مدعوة الى تلك المائدة

لكبرى... مائدة محمد... ^{عليه السلام} تفكر في معانيها... وتستخرج
لآياتها...

~ ~ ~

ماذا في الناموس الأول؟

«الرَّاحِمُونَ»... الذين يرحمون غيرهم... إنسان... أو حيواناً... أو
طيراً...

«يَرْحَمُهُمْ»... رحمة مستمرة... متجددة... يذل عليها صيغة
المضارع... رحمة لا تتوقف... وإنما هي مبنية فيهم... ما داموا راحمين
لغيرهم...

«الرحمن»... الله الرحمن... ذاتاً... الذي شملت ووسعت رحمته كل
شيء...

لماذا يحدث هذا؟

لأنهم انتظموا مع النواميس الإلهية... الخالدة...
وكل كائن ينتظم مع نواميس الله... تمسه... حتماً... آثار تلك
النواتيس...

فالرحمة الإلهية... أنزلها الله إلى الخلق... ليتراحموا فيما بينهم...
فمن انتظم فيها... نعيم بآثارها... ومن خرج عليها... حُرِمَ آثارها...
فقوله: «الراحمون يرحمهم الرحمن»... يعتبر قانوناً طبعياً... لا
تبديل له ولا تغيير...

~ ~ ~

ثم تنتقل إلى الناموس الثاني...

«ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ»... أمر... من رسول الله... ^{صلى الله عليه وسلم}... إلى
كل إنسان...

على كل انسان ان يرحم كل كائن يعيش في الارض...
انساناً... حيواناً... طيراً...
ماذا تكون النتيجة؟

* * *

الناموس الثالث: «يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»...
نتيجة حتمية... اذا رحم الناس بعضهم بعضاً... رحمهم الله تعالى...
لماذا يحدث هذا؟
لأن الذي يرحم... يكون قلبه متجهاً الى الله... أي إن قلبه في مقام
النور...
ومتى كان القلب كذلك... نال آثار الرحمة المبثوثة في مقامات
النور...
فاذا ما تراحم المجتمع... كان معنى ذلك ان الاكثرية... تتجه بقلوبها
الى بارئها... أي إن اكثرية القلوب في مقام النور...
هنالك يرحمهم مَنْ فِي السَّمَاءِ... هنالك تمسُّهم أنوار الرحمة
وآثارها...

* * *

ثم نتقل الى أخطر ناموس... الناموس الرابع... «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ
الرَّحْمَنِ»... ما معناها... ما أعماقها... ما أغوارها... ما أسرارها... ما
أنوارها؟
«شُجْنَةٌ»... هي -في العربية- عبارة عن الأغصان والشجر الملتف،
المتعلق بعضه ببعض، واراد به متعلقة به سبحانه، تعلق المخلوقات
بالمخالق، لانه موجود به باق به، هو وصفاته...
مازالت القضية غامضة... ما معنى: «الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ»؟
الحق... هو هذا... الرحم متعلقة به سبحانه... تعلق المخلوقات
بالمخالق...

ولكي تشرق المسألة بانوارها نقول...
ان الصلة الموجودة بين الأرحام... بين الأهل والأقارب... هذا
التعاطف الغريزي بينهم...

انما يحركه باطنا... الرحمة الميثوقة خلال الأرحام...
وهذا هو معنى «الرَّحْمُ شُجْنَةُ مِنَ الرَّحْمَنِ»...
العواطف القائمة بين أهل الرحم الواحد... بين الآباء والأمهات
والابناء والاخوة والاخوات وسائر الاقارب...

هذه العواطف... مصدرها الرحمة الالهية المنزلة ليتراحم بها الخلق
فيما بينهم... وهذه الرحمة صادرة عنه سبحانه... هو انزلها ليتراحم بها
الخلق...

ومن هنا كان «الرَّحْمُ شُجْنَةُ مِنَ الرَّحْمَنِ»... أي متعلقة برحمة
الرحمن...

تشتق عواطفها... من رحمته تعالى...
عاطفة الأمومة الخالدة...

الرحمة العجيبة التي تصدر عن الأمهات... نحو الأولاد... انما
ينبوعها الذي تتفجر منه... هو ما انزله الله من رحمة ليتراحم بها
الخلق...

وانظر... وتأمل... الى أي أم... وحنانها... وعطفها... على
وليدها... حتى انها لتضحى بكل شيء في سبيله...

ما هو سر ذلك كله؟؟... سره الرحمة التي أنزلها الله تعالى...
والأمهات... من كل شيء حي.. هذا شأنهن...
أمهات بني الانسان... أمهات الحيوان... أمهات الطيور... أمهات
الزواحف...

رحمة عجيبة... تحرك الأم نحو الحنو والعطف على وليدها...

الحركة الغريزية من أنثى الحصان... وهي ترفع حافرها... دفاعاً عن وليدها...

ونحن أهل العلوم الحديثة... نسمي هذا « غرائز »...
ولكن محمداً... ﷺ... يكشف لنا... بانواره... اسرار هذه
الامور... وانها من آثار الرحمة الواحدة التي انزل الله تعالى... الى
خلقه... يتراحمون بها فيما بينهم...
فكيف برحمة الله كلها؟!
الجواب: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾...

(الأغراف ١٥٦)

* * *

ثم نتقل الى الناموس الخامس...
«فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ... وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ»...
مَنْ وَصَلَ أَرْحَامَهُ... وصله الله برحمته... وَمَنْ قَطَعَ أَرْحَامَهُ... قطعه
الله من رحمته...
لماذا هذا؟!

لان واصل رحمه... منتظم على الناموس الالهي... فتمسسه آثار ذلك
الناموس...
وقاطع رحمه... خارج عن الناموس الالهي... فيحرم من آثار ذلك
الناموس..

فمن وصل أرحامه... فقد وصل نفسه بالرحمة الميثوقة في الأرحام...
وَمَنْ قَطَعَ أَرْحَامَهُ... فقد قطع نفسه من تلك الرحمة...
واولو الارحام الذين يتواصلون فيما بينهم... يُرحمون جميعا... والذين
يتدابرون... ويتقاطعون... يقطعون... ويحرمون جميعا...
هذه اشارات... عابرات... خاطفات الى البحار الخمسة... التي

جمعها رسول الله... ﷺ ... في كلمات معدودات... فجاءت خمسة
من النواميس العلى...
التي لا تبديل لها ولا تغيير...
وانما هو ادراكنا المحدود... في امداده الممدود...
فاللهم أمدنا بَمَدَد... من عندك... ندرك به شيئاً... من عجائب...
انوار... رسولك... ﷺ ...

المصلح...
الأعظم...؟!

تتألاً شخصية رسول الله... ﷺ ... أكثر ما تكون سناء... وبهاء...
في مقامه العظيم... مقام الإصلاح... وفي الحق أن مهمته الأولى...
أن يصلح شأن الخلق...

وما جاء الأنبياء إلا للإصلاح...
إنها لأشق مهمة يمكن أن يقوم بها بشر على الإطلاق...
بأن الإصلاح هو تقويم ما اعوج...
وهذا شيء شاق جداً جداً جداً...
ومن أجل ذلك بُعث به الرسل... صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين... ولا يتصور في الوجود مهمة هي أثقل على النفس من مهمة
الإصلاح...

ولذلك لم يدخل تجربتها إلا القليل من العباد...
والإصلاح شيء نسبي...
ونسبية الإصلاح تتأني من اختلاف النفوس... والأزمنة... والامكنة...
والظروف... والاحوال...

فما كان إصلاحاً منذ ألف سنة... قد يكون فساداً الآن...
ومثال ذلك الدعوة إلى حسن معاملة الرقيق...
فقد كانت هذه مكرمة خُلِقة منذ ألف سنة...

حيث كان الرقيق نظاماً مشروعاً... مألوفاً... منتشرأ في أنحاء العالم...

فكانت الدعوة الى الإحسان اليهم... والرفق بهم... دعوة إصلاح...
أما الآن... وبعد الغاء الرق من المجتمع...
فقد أصبحت هذه الدعوة شيئاً غير ذي موضوع...
ومن هنا لزم أن يتمتع المصلح بأفق رفيع جداً... من الإدراك.. كي
يستطيع أن يؤدي مهمته على الوجه الأكمل...

ولقد بلغ الرسل من ذلك الإدراك أعلى مقام...
وانما أوتوا مقامهم ذاك... بما منحهم الله من استعدادات قدسية...
تؤهلهم للتلقى من الله... واللقاء الى البشر...

ولقد كان محمد... ﷺ... أعلى الرسل شأنأ... في هذا السبيل...
فكان استعداده للإصلاح... أقوى الانبياء استعدادأ...
وقد باشر مهمته السامية... منذ بعثه الله رسولا... حتى لحق بالرفيق
الأعلى... في إخلاص تام... لا يتصور إخلاصا وراءه...

وكانت دائرة إصلاحه... واسعة سعة الحياة البشرية كلها...
خالدة خلود الحياة...
شملت الحياة الدنيا... والحياة الآخرة...
وجاءت عامة... للناس كافة... في كل زمان... وكل مكان... ولكل
إنسان...

فما من زمان الا وإصلاحه عند رسول الله... ﷺ...
وما من أهل عصر الا وإصلاحهم عند رسول الله... ﷺ... وهذا
الشمول... لا يتيسر لنفس... الا اذا كانت تعمل على مستوى العالمين...
وهذا ما تيسر له وحده... وأذن الله... له وحده... فيه... قال تعالى:

﴿... كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ...﴾

(إبراهيم ١)

والاخراج من الظلمات الى النور... هو أعلى انواع الاصلاح على الإطلاق...

لماذا؟!

لان ذلك هو الاصل الاصيل لكل اصلاح...

وكل اصلاح لا يؤسس على هذه القاعدة... مصيره الى الانهيار...

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ...﴾

(التوبة ١٠٩)

فالمكنون في الآية... ان البنيان المؤسس على خشية الله هو خير بنيان... وان البنيان المؤسس على غير ذلك... ينهار سريعاً... كمن يبني على جرف الرمال...

والتقوى لا اعتداد بها ما لم تورث القلب نوراً...

فمهمة الرسل هي استخراج الناس من الظلمات... الى النور...

استخراج قلوبهم من الظلمات... الى النور...

ومتى خرج القلب من الظلام... الى النور...

فقد تمت مهمة الاصلاح جميعها... وحدث بعد ذلك ولا حرج... وهذا هو الاصلاح الحق...

وغيره ليس باصلاح في الحقيقة...

وهذا ما يسمى باصلاح الباطن...

ومتى صلح الباطن... صلح الظاهر...

وهذا مكنون في قوله ﷺ: «التقوى ها هنا»... وأشار الى صدره. أي

التقوى موضعها القلب...

والانبياء يباشرون إصلاحهم... باصلاح القلوب...
فإذا تمّ لهم ذلك... صلح كل شيء... وراء ذلك... بان القلب هو ملك
الجسم... فإذا صلح صلح كل شيء...
انظر... الى رسول الله... ﷺ... كيف باشر مهمة الاصلاح...
دخل مباشرة الى قلوب اصحابه...
فامسحها من الظلمات الى النور... وما زال بقلوبهم يزكّيها... أي
يرقى بها... في مقامات النور...
حتى دخل بهم مقام الرضوان... فنعموا جميعا بالرضى عن ربهم...
ورضاه تعالى عليهم...
وهذا هو السبيل الأول لأسلوب الانبياء في الاصلاح...
وكل ما يشرعون لأمرهم من الشرائع... والآداب... انما هي وسائل
تمهد السبيل... الى هذا السبيل... الاصيل...
وكأين من أمة... انتهضت تصلح شأنها... بأساليب من صنعها... غير
مهتدية... بأسلوب محمد... ﷺ... فتحتم انهيار ما فعلت... لانها
خرجت عن الخط الصحيح للاصلاح...
بأن النفس البشرية... اذا لم تخرج من ظلماتها... الى نور ربها...
لم ينفع فيها اي اصلاح ظاهر...
وكذلك المجتمعات... وما المجتمعات الا جماعات... من افراد...
ولقد قامت في الارض... نظم... ومذاهب... صنعها الانسان...
وأُسست عليها دول... ذات بأس شديد...
ثم تهاوت تلك النظم... وسقطت تلك الدول...
لا لشيء الا انها لم تؤسس على نظام رسول الله... ﷺ...
وخذوها قاعدة لا تتخلف...
ما من نظام في الأرض... أسس على غير أسلوب رسول الله... ﷺ...
إلا وهو نظام ماله إلى انهيار...

لأن أسلوب رسول الله... ﷺ ... هو الخط الصحيح...

ولن تجد لسنة الله تبديلاً...

والذين يصلحون الأمم على أسلوب رسول الله... ﷺ ... إنما يدخلون إلى الأمر من بابه...

وتجد هذا مكنونا في قوله تعالى: ﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا التِّيُوثَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتُوا التِّيُوثَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.﴾

(البقرة ١٨٩)

﴿... وَلَيْسَ الْبِرُّ﴾ ... ليس الخير... ﴿... أَنْ تَأْتُوا التِّيُوثَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾
ان تصلحوا الابدان إصلاحاً ظاهرياً... ان تطلوها طلاء مظهرياً...
﴿... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ ولكن الخير من اتقى الله ﴿... وَأَتُوا التِّيُوثَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ وأتوا الإصلاح من أبوابه...

اصلحوا الابدان... من ابواب قلوبها... لان القلب هو الباب..

﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ... اذا اردتم الإصلاح...

تلك مكنونات في الآية...

تشير.. إلى طريقة الإصلاح... الصحيحة...

ولا يحسبن الذين يسمعون نداء الإصلاح عن طريق البدء بإصلاح

القلوب... ان معنى هذا اغفال وسائل الإصلاح الأخرى...

كلا... وإنما المراد أن البدء بإصلاح القلوب...

يؤدي حتما إلى إصلاح كل شيء...

ويرشد حتما بعد ذلك إلى كل إصلاح ظاهر...

وحين يتم إصلاح الباطن... تستقر الإصلاحات الظاهرة... على دعامة

متينة... ويقوم البناء على أساس لا يتزلزل...

ومحمد... رسول الله... ﷺ ... يقف في أعلى مقام من المصلحين

فهو إمام المصلحين حقا وصدقا...

اصلح الخط العام للبشرية كلها... حين دعاها... وناداه..

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

حتى اذا ما اقامهم على الطريق... قادهم الى ربهم...

وما زال يرتفع بهم... حتى سجلوا من ورائه ارقاما قياسية في الترقى
نحو الله...

فتلاّت أعمارهم من حوله... ابو بكر... عمر... عثمان... علي...
سعد... طلحة... خالد... الى آخر هذه الاقمار العُلى... التي تدور من
حوله... ﷺ

ورسم المنهج لأمته الى يوم القيامة... كيف يكون طريقهم الى
ربهم...

وكيف يرتقون في هذا السبيل...

ورسم للبشر جميعا... كيف يخرجون من ظلماتهم الى النور...

وكيف يرتفعون في مقامات النور...

وما من اصلاح باطن الا أمر به...

وما من اصلاح ظاهر الا رسم سبيله... وما تلك التوجيهات العليا...

التي لا تتناهى... والتي صدرت عنه... حالا... او قال... الا مناهج

تربوية... واساليب عملية... لاصلاح النفوس... والمجتمعات...

والبشرية بعد ذلك... ككل عام...

وحسبنا في هذا المقام... أن نذكر اشعاعاً واحداً... من اشعاعاته

العُلى... في هذا السبيل...

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«الَّذِينَ النَّصِيحَةُ...

«ثَلَاثَ مَرَارٍ

«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَنْ؟

«قَالَ: اللَّهُ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ»..

(أخرجہ الترمذی)

«ثَلَاثٌ مَرَارٍ» ۱۹

ثَلَاثٌ مَرَّاتٍ... ينادي في أصحابه...

الدين النصيحة... الدين النصيحة... الدين النصيحة...

أي: الدين الإصلاح... الدين الإصلاح... الدين الإصلاح...

فهو ناموس إلهي خالد... جُمَاع الدين الإصلاح...

والحق إن الدين هو الإصلاح... وإن هدف الدين هو الإصلاح... وما

نزل الدين إلا للإصلاح...

قالوا: يا رسول الله... لِمَنْ؟

قَالَ: لِلَّهِ...

كيف تتحقق النصيحة لله؟!

قال الأقدمون: «النصح لله، إصلاح الذات، بامثال أوامره، واجتناب

نواهي»

هذه هي النصيحة لله...

إن تصلح ذاتك... تصلح شخصيتك... بتنفيذ أوامر الله التي أمرك

بها... واجتناب نواهي التي نهاك عنها...

ومتى حدث ذلك منك... فقد صلحت شخصيتك الإصلاح الحق...

لأن امتثال الأوامر... فيه دخول النور إلى قلبك...

واجتناب النواهي... فيه خروج قلبك من الظلمات... ظلمات

المعاصي...

وهو ما يسميه علماء التربية الصوفية... التخلية... والتحلية...

تخلية القلب من الظلام... بترك المعاصي...

أي: عملية تفرغ القلب من الظلمات...

وتحلية القلب بالنور... بتنفيذ الأوامر...

ومتى تم لك ذلك... فقد صلحت باطنا وظاهرا...
وهنا يتلأأ مكنون قونه: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»...
وهل من هدف للدين كله غير هذا؟!
غير تكوين الفرد الصالح... والقلب السليم؟!
ثم قال: «وَلِكِتَابِهِ»

اي الدين النصيحة... لكتاب الله...

قال الأقدمون: «والنصح لكتابه بان يدفع عنه اقوال المبتدعة بالدليل
ويصان عن سوء التأويل، ويُحفظ عن التغيير والتبديل، وان كان الله قد
تولى ذلك فيه، فانما قد فرض علينا ذلك في ألفاظه ومعانيه، فإن امتثلنا
أجرنا، وإن أردنا التعدي منعنا».

واقول: اعلى انواع النصح لكتاب الله... هو تبليغ ذلك الكتاب... الى
جميع مستويات البشر... في كل زمان... ومكان...
بأن كتاب الله... هو الرسالة الالهية... باكملها...
فتحتم اذاعتها... بشتى اساليب الاذاعة والاعلام...
ومتى تم ذلك... فقد احتوى ذلك... بالتبعية... كل ما اشار اليه
الشارحون الأقدمون...

وفي عصرنا... عصر سفن الفضاء... والصواريخ... والقنابل
الهيدروجية... عصر التقدم التكنولوجي... يتحتم على اهل ذلك
الكتاب... القرآن العظيم... ان يقوموا بتبليغه... بجميع انواع البلاغ...
يتحتم تبليغه بالاذاعة... بالتلفزيون... بالفيديو... بالكومبيوتر...
بالنشر... بالكتب... بالصحافة... بالمحاضرات... بالمدارس...
بالجامعات... بالتدوات...

يتحتم تبليغه... بيانا... وشرحا... وتفسيرا... وتأويلا... وظاهرا...
وباطنا... وتفصيلا... واجمالا...

يتحتم تبليغه بتسخير جميع الطاقات في ذلك...

طاقات الدول... وطاقات الافراد... وان لم نفعل فاننا آثمون...
مسؤولون... لماذا لم نفعل ذلك؟

لماذا هذا كله؟

بأنه كلام الله...

وما ظنك بكلام أنزله الله... الى جميع الناس... هدى... وشفاء...
ورحمة

فالتقصير في التبليغ... يعتبر اكبر جريمة يرتكبها فرد قادر عليها...
واكبر جريمة ترتكبها دولة قادرة عليها... لانه حيلولة بين الناس وبين
سعادتهم...

فهو إجرام أي إجرام في حقهم...

ومن أجل ذلك لعن الله الذين يفعلون ذلك...

فقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا
يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(البقرة ١٧٤)

ثم يقول:

«وَلَا تُؤْمِنُ الْمُسْلِمِينَ»...

قال الاقدمون: «بطاعتهم، ومعرفتهم، وهدايتهم الى ما خفي عنهم،
وتقويمهم إن زاغوا والصبر عليهم ان جاروا...»

فاصلاح القادة... ان يطيعهم الشعب... ويعرف حقهم عليه...

وارشادهم الى ما خفي عنهم من أمور الشعب...

واقامتهم على الحق إن زاغوا عنه...

والصبر على حكمهم ان جاروا... حتى يعودوا الى الحق...

وتطورت وسائل الاصلاح للحكومات في العصر الحديث... فتولت

ذلك المجالس النيابية... والصحافة الحرة... ووسائل الاعلام المختلفة...
والنقد البناء الحر...

وكل ذلك تجده مكنونا في قوله، « ولأئمة المسلمين »...

ثم ماذا؟

«وَعَامَّتِهِمْ»...

وعامة المسلمين... في تعبيرنا الحديث... هم الشعب... الجماهير...
الجماهير... اوجب رسول الله... ﷺ نصيحتها...
أوجب اصلاحها...

والشعب هو القاعدة العامة للبناء... واصلاحه هو هدف الحكومات
ايما كانت...

ويتأتى ذلك بشتى وسائل الاصلاح الرباني... والمدني...
فكل ما يؤدي الى خير الشعب... ويعود عليه بالنفع... فهو نصيحة
مفروضة على كل فرد...

وهكذا فصل رسول الله... ﷺ في اكبر قضية... قضية
الاصلاح... في كلمات...

«وَالَّذِينَ النَّصِيحَةُ... لِّلّٰهِ وَلِكِتَابِهِ... وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ... وَعَامَّتِهِمْ»
فانطلقت منها بحار... من الرحمة... الشاملة... الكاملة...

ولقد كانت شخصية محمد... رسول الله... ﷺ مثال الكمال...
في هذا المجال...

عاش ناصحا لله... فهو خير من امثل اوامر ربه... وانتهى عن
نواهيته...

وعاش ناصحا لكتاب الله... فهو خير من بين الكتاب... وبلغ
الكتاب... وعلم الكتاب... وعمل بالكتاب...

وعاش ناصحا لأئمة المسلمين... فهو خير من ربى القادة... ووجه

القادة... وأقام أئمة مِن بعده في الأرض... مازالت البشرية تتغنى
بأعاجيبهم...
وعاش ناصحا للعامّة... فهو خير مِن أصلح الجماهير... وقاد الجماهير
الى ربها...
فانظر... كيف كانت تلك الشخصية في مقامها ذاك... مقام
الاصلاح؟!

التَّقْوَى...

ها هُنا...

وأشار الى صدره... ؟!

الجمال... المكنون... في شخصية محمد... ﷺ... جمال لا
نهائي...

يستحيل على أي باحث... ان يصل منه الى قرار...
وقد بلغت تلك الشخصية... من مراتب الجمال حدا... يتعالى على
الافهام... ويتسامى على العقول...

ومن كان في ريب مما اقول... اليه شيئا يؤيد ما اقول...

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ

«لَا يَخُونُهُ

«وَلَا يَكْذِبُهُ

«وَلَا يَخْذُلُهُ

«كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ

«عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ

«التَّقْوَى هَا هُنَا

«بِحَسَبِ أَمْرِي مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْتَقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

(أخرجه الترمذي)

ونطرح... مؤقتا... مناطق النور المتعددة... من الحديث...

وندخل توا... الى اخطر منطقة من انواره... التقوى ها هنا... وفي
رواية: التقوى ها هنا... وأشار الى صدره...

قالوا: «يريد في القلب، اذا اتقى اتقت الاعضاء، اذ هي تابعة له.»
وانما كانت هذه اخطر مناطق الاشعاع... لانها ناموس إلهي خطير...
التقوى... ها هنا... وأشار الى صدره... الشريف...
يومئ رسول الله... ﷺ... الى القلب... الذي في الصدر...
وليس المراد القلب المادي... ذلك العضو الصنوبري...
كلا... وانما المراد القلب الروحي... الذي يتخذ القلب المادي...
غلافاً... ومسكناً... يجري منه الى الجسم الروحي للانسان...
التقوى... في القلب...

ولكن التقوى هذه ليست روحاً... حتى يمكن ان تسكن القلب
الروحي...

فكيف يتأتى للتقوى ان تكمن في شيء روحي؟
ها هنا يتلأأ... جمال الشخصية... حين تشير الى الباطن...
الخفي... في مظهر مادي ملموس...
يريد رسول الله... ﷺ... منابع التقوى... دوافع التقوى... محرك
التقوى... ها هنا... في القلب..
كيف يتأتى ذلك؟!

اذا اتجه القلب الى الله... انفتحت الانوار... وانطلقت اليه...
ومتى اشتعل القلب نورا... اشتعلت حناياه... خشية... وخوفا...
واجلالا...

وتعظيماً... لله العظيم...
هنالك يخشع القلب لربه...
هنالك يخشى القلب ربه...
هنالك يخاف القلب ربه...

هنالك تنفجر دوافع اتقاء غضب الله... واتقاء عذابه... دوافع التقوى...

هنالك يتلأأ معنى «التَّقْوَى ها هنا».. وأشار الى صدره... فالجمال المكنون في الشخصية هنا... هو القدرة على الاحاطة بمفاتيح الامور...

ثم القدرة على ادارة تلك المفاتيح فوراً... بحيث تشع انوارها على الناس... مباشرة...

فقوله: «التَّقْوَى ها هنا»... فيها فصل الخطاب... في كل شيء... وتعليم لكل انسان... مهما كان مستواه الثقافي... كيف يدري الأمر من أيسر طريق...

والذين لا يعلمون... يظنون أن هذا امر سهل... والحق انه امر مستحيل... الا ممن أُوتِي نور النبوة... وكشف الرسالة...

وانما مثل الانبياء في ذلك مثل رجل صعد برج القاهرة... ونظر من خلال عدساته الى معالم العاصمة... فرأى منها في عمومها... مناظر شاملة.. لا يرى الرجل الذي يمشي على الارض منها شيئاً... وإنما تأتَّى له ذلك... من ارتفاعه ارتفاعاً يكشف له آفاق المدينة كلها...

والانبياء أوتوا أنواراً... ترفعهم الى أعلى عليين... فيروا من النفوس البشرية... قرارها... وأغوارها... وظلماتها... والتواءاتها... وانحرافاتهما... واستقامتهما...

فاذا تحدثوا جاء حديثهم... صدقاً محيطاً... ونوراً مبيناً... لغوامض الامور...

فكيف برسول الله... ﷺ... وهو ما هو... من مقامه الاعلى؟
تتكشف... وتتكشف له الأمور... في ظهور تام... ووضوح عام...

فيبصر... ويرى... ثم يتحدث حديث الذي ابصر ورأى...
وهذا مكنون في قوله تعالى: ﴿أَفْتَمَارُوهُ عَلَى مَا يَرَى﴾؟

(النجم ١٢)

ومن هذا المقام... صدر عنه... ذلك الناموس الخالد... «التقوى ها هنا»...

ولو لم يكن رسول الله... ﷺ... قائما في اعلى عليين... ما تيسر له ذلك التعبير...

وتلك هي الزاوية الخطيرة من شخصيته... العزيزة... من قلبه الشريف...

فهو قلب... يضيء إضاءة ذاتية... ويشع اشعاعا قدسيا..
يرى رسول الله... ﷺ... به كل شيء... بإذن ربه... الا انه يكشف للناس.. مما يرى... ما أذن له ربه بكشفه...
وتبقى بعد ذلك امور عظيمة... تبقى سرا مكنونا... خاصا به.. بينه وبين ربه تبارك وتعالى...

فتلك البحار... من الأنوار... التي أجراها... في مسار.. البشرية... ليست إلا شيئا قليلا مما عنده...

ومما يستطيع أن يجريه... في الناس...
وانما اقتضت الحكمة الالهية... ان يكشف ﷺ... للناس ما يفقهون...

وإلا لكانت فتنة.. تعمى بها أبصارهم... وتتخلخل مفاهيمهم...
ان رسول الله... ﷺ... يعلم من العلوم محيطات... ومحيطات...
ولكنه أجرى منها أنهارا... تكفي البشرية كلها... شراباً... أما ما وراء ذلك... فهو فوق ما يحتملون... وما يفقهون...
وما وراء عقولهم... هو علوم مقامه مع ربه...

الذي يؤهله لما أهله الله له... فتأمل... ثم تعلم... كيف كانت تلك الشخصية... وكيف كانت مكنوناتها؟!!

إذا كان ما تركه في الناس... الى يوم القيامة... يكفيهم وزيادة... وإذا كان هذا الذي يكفيهم... هو أنهار معدودة... من محيطاته... الممدودة...

فكيف بتلك المحيطات...

أم كيف بأنوارها... إذا أرسلها بتمامها في البشر... انهم سوف لا يطيقون حملها...

وتجد ذلك مكنونا في قول رسول الله... ﷺ:

«لو تعلمون ما اعلم، لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا»...

«ولخرجتم الى الصعدات تجأرون

«ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات»... — أو كما قال —

« لو تعلمون ما اعلم » — هناك استحالة... ان يعلم الناس جميعا...

ما يعلم رسول الله... ﷺ...

ما الحكمة الالهية... ان حجبهم الله عن ذلك العلم...

ان يدعهم يعيشوا... والا لاستحالت عليهم الحياة...

والا لحدث ما اشار اليه:!!

«لبكيتم كثيرا، ولضحكتم قليلا»

لتوقفت الحياة تماما... ولانقلب الناس يكون... ويولولون...

ولتوقفوا عن الضحك تماما...

حين يعلمون الحقيقة بتمامها...

حين يعاينون جلال الله وقهروته... وشدة عذابه...

ان ذلك سوف يحدث فيهم شللا... في أعصابهم...

يؤدي الى توقف الحياة تماما...

وانفجارهم بالبكاء... مما علموا من بأس الله...

«ولخرجتم الى الصعدات تجأرون»...
الى الطرقات... يجأرون بالدعاء... الى الله... ان يدفع عنهم عذابه...
والا يؤاخذهم بما صنعوا...
«ولما تلذذتم بالنساء على الفراشات»...
ولأدت شدة الرعب... الى انكماش مشاعرهم الجنسية...
فلا يستطيعون بالنساء استمتاعا... ولا يستطيعون أن يقوموا بمتاع!!
اذن الحجاب رحمة...
الحجاب من نواميس الحياة الدنيا...
لان الحياة الدنيا تقوم على الغرائز...
وتندفع بالشهوات...
فلو انكشف الحجاب... وتلاأت الحقيقة في تمامها...
لبطلت الحياة... ولرفضها الانسان وانقلب كائننا يريد ان يغادرها
فوراً... فرارا من تبعاتها...
فالحجاب المؤقت... هو سر اندفاع البشر في الحياة الدنيا..
وهو لازم لاستمرارها..
فكانت الحكمة الالهية... ان يكشف للأنبياء الحقيقة...
ويأمرهم ان يؤدوا من أماناتها الى الناس... بقدر ما يصلح أمورهم في
معاشهم ومعادهم...
أما ما وراء ذلك... فلهم... وحدهم... لانهم مؤهلون للحياة العليا...
وهم وحدهم الذين يستطيعون ان يتوازنوا بين الملاء الأعلى... والملاء
الأدنى...
ومن هنا... من هذا السبيل... يحدث الشطح الصوفي... والتخلخل
العبادي... فان قوما يسلكون السبيل... الى ربهم... فما ان تمسسهم
رياح الانوار... وتكشف لهم مقدمات الكشف...
حتى تطير أفئدتهم هواء... ويشتد بهم الشوق الى ربهم...

فتتجاذبهم أعاصير المقامات العُلى...
فيقع ما يسمى بالشطح... وهو التخلخل بين المقامات العُلى...
ومستويات الحياة الدنيا... مستويات الحجاب...
ولقد كانت الشخصية المحمدية... في أعلى مقامات التمكن...
والتمكين... أوتيت من كل شيء... علماً... ونوراً... وقرباً... وأنساً...
ومع هذا تتوازن... وتنزل الى أقل مستوى في الناس...
ترشدهم... وتهديهم... بإذن ربهم...
بما يقيمهم على الطريق المستقيم... في عالمهم... عالم الحجاب...
وذلك أمر معجز... حقاً من أمور... تلك الشخصية!!!

أنهار...
الرّحمة...
الأربعة...

أجرى... رسول الله... ﷺ...
 من بحار الرحمة... التي آتاه الله... أربعة انهار...
 النهر الاول... نهر التنفيس...
 النهر الثاني... نهر التيسير...
 النهر الثالث... نهر السَّتر...
 النهر الرابع... نهر التعاون...
 ثم تركها تجري... وتجري... لمن شاء أن يغترف منها...
 وذلك كله في حديثه الخالد...
 « مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً
 مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. »
 « وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، فِي الدُّنْيَا، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فِي الدُّنْيَا،
 وَالْآخِرَةِ. »
 « وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ »
 « وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ، مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. »
 (أخرجه الترمذي)
 والآن... نلقي بأنفسنا... سبحاً... في مياه النهر الاول... نهر
 التنفيس...

«مَنْ نَفْسَ عَنْ مُسْلِمٍ... كَرْبَةً مِنْ كَرْبِ الدُّنْيَا...»

فما معنى هذا؟

معناه ان هناك في هذه الحياة الدنيا... كُرب...
هناك هموم... تضيق لها الصدور... ولكن... لماذا... هذه الحياة
كانت ذات هموم؟

لسببين...

يتفرعان عن أصل واحد... هو البلاء...
فالحياة يسري فيها البلاء... كأصل عام من أصولها...
تسري فيها المصائب... وهو ما يصيب الانسان من حوادثها...
وأقدارها... بلا توقف...
والمصائب نوعان:

نوع حتمي... لا دخل لارادة الانسان فيه...
ونوع اختياري... يصيب الانسان بما كسب...
فالبلاء الحتمي... هو الذي لا حيلة فيه...
كتلك المقادير المقدرة على الانسان... كأن يُولد أعمى... فهذه
مصيبة لا دخل للانسان فيها... مصيبة حتمية...
وكالموت... فهو مصيبة تصيب الانسان... حتمية... لا دخل لارادته
فيها...

وهذه البلايا الحتمية... او المصائب القَدَرية...
تورث الانسان هموما... وكُربا... وضيقا وآلاما...
والصنف الثاني... من المصائب... هو المصائب التي تترتب نتيجة
لافعال الانسان...

فالرجل الزاني مثلا... يصاب بمصيبة الأمراض الجنسية...
كالزهري...

فهذه مصيبة اصابته بما كسبت يده... مصيبة له دخل فيها...

والمصائب القدرية... ضريبة عامة... مفروضة على الناس جميعا... لا
فكاك لهم منها...

تصيبها الأقدار عليهم... لتختبرهم بها... أيصبرون؟!
والمصائب الكسبية... تصيب من تعدى حدود الله... عقوبة على ما
فعلوا...

كقائد السيارة اذا خالف قواعد المرور... فخرج عن طريقه المقرر...
فأدى ذلك الى اصطدام العربى بغيرها...

والانسان مؤاخذ بما كَسَبَ... ولا يؤاخذ بما لا دخل لارادته فيه...
فالبلاء اذن اصل عام في الحياة...
والبلاء بلاءان... قَدَرِيّ... وَكَسْبِيّ...

والمصائب الكسبية... يمكن اتقاؤها... بطاعة الله...
وهذه هي الرحمة التي يهديها الله تعالى عاجلا الى اهل الطاعة...
فالرجل الذي تجنب الزنى... لا يصاب بالامراض الجنسية الخبيثة...
وهذه هي الرحمة التي عَجَّلَتْ له في دنياه جزاء استقامته على أمر
الله...

والعكس صحيح... الرجل الذي يزنى... يصاب بتلك الامراض...
ويعاني تلك العقوبة العاجلة...

ومن هذا ينبوع... ينبوع البلاء... تقع الهموم... وتحدث الكُرب...
التي تضيق لها الصدور...

والحياة الدنيا... سيال... دائم... ي موج بامواج البلاء... وآلام
المصائب...

والانسان كائن ضعيف... يتضعض سريعا... امام ضغط الحوادث...
فما ان تصيبه المصيبة... حتى يجزع... ويهلع...

هنالك يكون في ميس الحاجة... الى من يُنْفَس عنه كربته التي هو
فيها...

فاذا ما تقدم انسان آخر... اليه... فننفس عنه ما به... ابتغاء وجه الله...
 لا يريد بذلك جزاء ولا شكوراً...
 «نَفْسَ اللَّهِ عَنْهُ كُرْبَةٌ مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»...
 ويوم القيامة هو الكرب العظيم.. والهم الأليم...
 فيه من المواقف... ما يجعل الولدان شيباً!!!
 هنالك يجد صاحب الفعل الجميل... ذلك الذي نفّس عن أخيه كُربته
 في الحياة الدنيا... يجد جزاء ما فعل...
 ان ينفس الله تعالى عنه كُربة من كُرب ذلك اليوم العظيم...
 ذلك هو نهر التنفيس... وإنه لنهر نفيس...
 يسري... ويجري... من تلك الجملة الخالدة... التي ارسلها رسول
 الله ﷺ...
 لتكون رحمة للمكروب... وما اكثر المكروبين...
 ورحمة لمن رَجِمَ المصاب...
 ونخرج من ذلك النهر... لنلقي بأنفسنا... سبحا... الى مياه النهر
 الثاني... نهر التيسير...
 يقول: «وَمَنْ يَسِّرْ... عَلَى مُعْسِرٍ... فِي الدُّنْيَا... يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ...
 فِي الدُّنْيَا... وَالْآخِرَةِ»...
 وهذا النهر... أخطر... من سابقه... وأكبر...
 «مَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا»... انوار... هذا الناموس...
 عظيمة... عظمة شخصية محمد ﷺ...
 ماهو العُسر؟!
 هو ضد اليسر
 اذن ما هو العسر؟!
 هو العجز عن مطالب الحياة...
 وهو يورث النفوس ضيقاً وانقباضاً...

فالذي لا يستطيع اداء يسمى ذا عُسْرَة... ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ
فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ...﴾

(البقرة ٢٨٠)

والظروف العامة الشديدة تسمى ساعة العُسْرَة...
قال تعالى ﴿... فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾

(التوبة ١١٧)

في ساعة الشدة... من الحر الشديد...
وهو في عمومته... صفة عامة من صفات الحياة...
وسؤال... جارٍ... سارٍ... فيها...
ولقد أعلن الله تبارك وتعالى أنَّ مع كل عُسْرٍ يُسْرًا... ومع كلِّ عُسْرٍ
يُسْرًا...

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

(الشرح ٦٥٥)

وما من إنسان إلا ويصيبه شيء من العُسْرِ... في لحظة من اللحظات...
وإنما هو أمر نسبي... يتفاوت الخلق في حظوظهم منه...
ولقد اقتضت إرادته تعالى... أن يريد بالناس اليُسْرَ عموماً... ولا يريد
بهم العُسْرَ...

لأنه تعالى رحيم بالعباد... ومن رحمته أن يَسِّرَ عليهم أمر دينهم...
فلم يكلفهم إلا ما يطيقون... والا ما فيه خيرهم... قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ
بِكُمُ الْيُسْرَ... وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾.

(البقرة ١٨٥)

ثم جاءت الشخصية الكبرى... شخصية محمد... ﷺ...
ترسم للناس مناهج اليُسْرِ... وتحقق لهم سُبُل التيسير...
فكانت اشعاعاتها في هذا السبيل... اشعاعات الرحمة الشاملة...
الكاملة...

«مَنْ يَسِّرْ عَلَى مُعْسِرٍ فِي الدُّنْيَا»... أَيَا مَا كَانَ ذَلِكَ التيسير... ومهما
كان قَدْرَهُ...

ومهما كانت عقيدة مَنْ يَسِّرْ... وعقيدة مَنْ يُسِّرْ عليه...
إطلاق عام... للتيسير...

إرادة عموم الرحمة... بعموم اليُسْر... والتيسير...
نهر عام... للبشرية كلها... لتغتسل فيه... فتخرج بحياة سهلة...
ميسرة... لا عُسر فيها...

يريد رسول الله... ﷺ... أن يفك عقد النفوس البشرية... لتنتقل في
حياتها... سهولة... ويُسرا...

وهذا تخفيف أي تخفيف لآلام البشرية ومتاعبها...

ما نتيجة من فعل ذلك الفعل الجميل؟

«يَسِّرُ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا»...

هذه مكافأة عاجلة... لمن يَسِّرْ على مُعْسِرٍ في الدنيا...

انه هو نفسه يجد اليسر في حياته...

فمن عامل الناس يُسْراً... عاملوه يُسْراً...

ومن عاملهم بالتعقيد... والعسر.. عقّدوا له أمورهم... وادخلوه الى

منخنقات العُسر...

ثم ماذا؟

«وَالْآخِرَةُ» فضلاً عما ينتظره من تيسير الله عليه في آخرته... عندما

يكون في اشد الحاجة الى ذلك اليُسْر...

ذلك نهر عظيم... يمج بامواج النور...

لو ان الناس اغتسلوا فيه... لخرجوا الى حياة سهلة... ميسورة... اذن

لوجدوا الحياة جميلة جمال اليُسْر... والتخفيف... ولكن الناس انفسهم

يظلمون!!!

ثم ننتقل الى النهر الثالث... نهر السَّتر... لنلقي بأنفسنا... فيه
سبحا... طويلا...

وهذا النهر مكنون فيه من الجمال... ما تشعشع منه أنوار النبوة...
تشعشعا عظيما...

يقول: «وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ... فِي الدُّنْيَا... سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ... فِي
الدُّنْيَا... وَالْآخِرَةِ...»

فما هو هذا الستر... الذي جعل منه رسول الله... ﷺ... نهرا من
انهار الرحمة... في الحياة؟!
الأمر هو هذا...

أن النقص ناموس عام... متقرر في كل انسان...
وهو نوع من البلاء يصبُّ على الانسان صبًّا...
كما يصب الله الماء من السماء صبًّا...
لماذا؟

لان الكمال يدفع الانسان الى الإعراض عن الله...
والنقص يسوقه سوقا الى ربه... ولن يفلت انسان من ذلك النقص
ابدا...

وانما هي امور نسبية... ولكن الجميع ناقصون...
هناك نقص في الأموال...
هناك نقص في الأنفس...
هناك نقص في الثمرات...

قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ... وَالْجُوعِ...
وَلَنَقُصِّ... مِّنَ الْأَمْوَالِ... وَالْأَنْفُسِ... وَالثَّمَرَاتِ... وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ﴾

(البقرة ١٥٥)

والانسان دائما يتلى بهذه الثلاث... نقص من الأموال... ونقص من
الأنفس... ونقص من الثمرات...

ومستحيل ان يوجد انسان كامل في هذه الثلاث...
ولذلك عُدَّ كمال الأنبياء إحدى المعجزات!!
والنقص هو مفجر العبقریات... ومولد الطاقات الانسانية الهائلة
الخلاقة...

لان نقص الانسان يدفعه الى التكامل... الى محاولة استكمال نفسه...
وهذا هو المحرك الاول للحياة كلها...
ولذلك جاءت التوجيهات السماوية كلها... تنهى الانسان ان ينقد
نقائص أخيه...

وهو ما يسمى بالغيبة في الشريعة... والهَمْز واللُّمْز...
ولذلك كله سر واحد... هو أنه ما دمنا جميعا ناقصين... فمن الجهل
ان يتنقص بعضنا بعضا...
والانسان يكره دائما مَنْ يذكر نقصه... ويشير الى ما فيه من
نقائص...

ولذلك نهت الشرائع كلها عن الغيبة...
والغيبة هي ذكرك الغير بما يكره...
وما يكرهه الانسان هو ما فيه من نقائص...
ووجهت الشرائع الانسان الى ذكر شيء فيه الكمال كله... لتمتص
اتجاهاته السفلى نحو ذكر النقائص...

فكان توجيهها بارعا عجيبا... من السماء...
وجَّهته نحو ذِكْرِ الله... والله هو الكمال الذي لا نقص فيه...
فهو المثل الأعلى للكمال...

فدوام ذكره... يكون حائلا طبيعيا بين الانسان... واتجاهه الى ذكر
الناقص... ذكر غيره من الناس... فكان ذِكْرُ الله امتصاصا بارعا... لتلك

الطاقة البشرية الهائلة... التي تتعلق بتتبع العورات... النقائص...
ومتى اتجه القلب الى ذكر الكمال... دخل الى مقامات النور... فكره
ان يعود الى الظلام...
ولذلك قيل: ذكر الله دواء، وذكر الناس داء... اي ذكر الله نور...
وذكر الناس ظلمات...

فاذا ما وضحت تلك الحقائق أمامنا...
استطعنا ان ندخل الى النهر الثالث... نهر السّر...
وأن نفقه شيئا مما يقول: «وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

من ستر نقائص أخيه... نقائص انسان في الدنيا... وكل انسان
ناقص... وانما يتفاوت النقص...
«سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا»... بأن يصرف الناس عن ذكر نقائصه...
وهذه بتلك... والعكس صحيح... من تتبع عورات الناس... تتبع
الناس عوراته...

«وَالْآخِرَةُ»... بان يستر الله عليه قبائحه التي كانت منه في الدنيا...
ثم نخرج من هذا النهر... لندخل الى النهر الرابع... نهر التعاون...
«وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ... مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»
ناموس رهيب... فيه اسرار النجاح كلها في هذه الحياة...
اذا اردت ان يعينك الله... فكن دائما في عون اخيك...
بقدر ما تعين الناس... يعينك الله تعالى...
إن رسول الله ﷺ يدفع الانسان دفعا الى الايجابية...
الى معاونة الغير... وحمل بعض اعباء الغير...
وتلك هي الايجابية... في اعلى خطوطها... ومستوياتها...
هذه هي الانهار الاربعة... التي تفجرت في حديث واحد... من
احاديثه الخالدات... المعجزات...

ومن انوارها ندرك ان شخصية محمد... ﷺ ... كانت نورا
عظيما... يريد ان يزحزح ظلمات الخلق بعيدا... ويخرج بهم الى النور
المبين...

ومتى خرجوا معه... استقبلتهم رياح العناية الالهية...
ونفحات الأنس الربانية... وعطايا المنن الصمدانية...
هنالك يعلمون... أنهم يتابعون خطى النبي... المؤهل لأن يُقدم إلى
الناس سعادتهم... سعادة الأبد. ١١

إني... لا أقول...
إلا حقاً...؟!

الشخصية.. اي شخصية... في مزاحها... ودعابتها... وهزلها...
تبدى.. اكثر منها في جدّها... وعُيُوسها... وحزنها...
ذلك أن النفس في الدعابة.. تتفكك من قيودها... وتترقّق نسيماً
منطلقاً... لا يعرف قيّدا ولا قيوداً...
ومن مراقبة الشخصية ساعة المزاح... تستطيع أن تتعرف على أعماقها
فوراً... بدون أدنى عناء...
حتى الشعوب... تستطيع أن تدرس شخصيتها... من خلال مزاحها...
ونكاتاتها... اكثر مما تستطيع من خلال جدّها واحزانها...
بأن المزاح انطلاق... وسباق... نحو المرح... والسرور
أما العمل... أما الجدّ... أما الحزن... فهو انقباض... نفساني...
وسجن تدخله الشخصية... تريد ان تتفكك منه سريعاً...
وهذا هو السر في ميل النفوس الى المزاح... واللهو... وكرهها
للعمل... والجد... والحزن...
إلا أن الحياة وُضِعَتْ على أنها عمل... وجدّ... وجهاد... فلزم فيها
العمل...
إلا أنها إذا خلت من شيء من المزاح... ثقلت على النفوس...
وأورثتها الكآبة... والملالة...
تلك المعاني... إشارات...

ندخل بها الى شخصية... محمد... ﷺ... لنتعرف الى أعماقها...
من خلال مزاحها...
وسوف نرى أعجب شيء يمكن أن يراه إنسان... يدرس شخصية
إنسان...
سوف نرى ان تلك الشخصية... البهية... لم تغادر مقامها... مقام
الحق... حتى في مزاحها...
واذا علم أن المزاح يقوم على الباطل... دائماً... او التخفف من التزام
الحق شيئاً ما...
ادركنا أي عجب كان منها حين استطاعت ان تلتزم الحق... وهي
تداعب... وتمزح...
وذلك يورثنا اليقين... أن النبوة... أشق تكليف يكلف الله نفساً من
النفوس...

وأثقل أمانة يمكن أن يحملها إنسان في الوجود...
وأن الله تعالى افترض على أنبيائه... ما لم يفترض على الخلق جميعاً...
وأنهم يؤدون من صميم كيانههم ضرائب وصلت الى الحد الأعلى من
الأداء...

والذين يجهلون شأن النبوات يظنون أنها شيء سهل...
والحق انها أشق شيء يُلقى على بشر... ثم يُؤمر بالنهوض به وحده...
وحسب الانبياء أنهم يؤمرون بالتزام دائرة الحق وحدها...
يدورون فيها وحدهم... طيلة اعمارهم...
بينما الخلق جميعاً... خارج تلك الدائرة!!!
وهذا هو بلاء الانبياء... وانه لأشد البلاء!!!
انظر الى مكنونات قوله سبحانه: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾...
(طه ٢)

هناك إذا حُزن مكنون في الفؤاد... فؤاد رسول الله... ﷺ...
 وهذا الحزن... المكنون في فؤاده... هو ضريبة العظمة... عظمة
 الشخصية... اعلى واعظم شخصية...
 حُزن انسان يدور في بحر النور وحده...
 بينما جميع الخلق يدورون من حوله... إما قريباً... من البحر... وإما
 بعيداً...
 أما الدخول في نفس البحر... فمستحيل... إلا لمحمد... ﷺ...
 وحده... وهذه الوحدة... عن الخلق...
 هي طريقة الأعلى... الى الأنس... بالحق... سبحانه وتعالى...
 وديمومة... النبي... ﷺ... في بحر النور...
 سعادة عظمى لفؤاده... من الناحية الالهية...
 سعادة كبرى... لشخصيته... من جهة جناب الحق سبحانه..
 إلا أنه في نفس الوقت بلاء وأيّ بلاء للشخصية وهي في الدنيا...
 وذلك لأنها مضطرة الى التقلب مع الخلق في شؤونهم الدنيا...
 وهذه نظرية... أخطر نظرية... في أبحاث... شخصية محمد...
 صلى الله عليه وسلم...
 وهذا مكنون في قوله... ﷺ... وابنته فاطمة... تناديه... في
 مرضه... وهو يردد... «لا كرب على ابك بعد اليوم»...
 هناك إذا كرب... كان فيها في دنياها...
 وهو الآن يوشك أن يغادرها الى الأبد...
 ليعود الى بحر النور... خالصاً لربه تبارك وتعالى...
 وهنالك يحقق سعادته العظمى... حين يخلص من هذه الكرب...
 التي ابتلي بها مؤقتاً...
 والنظرية التي تُلألت امامنا الآن... عبارة عن ذرة نور... اذا
 فجّرناها... انشطرت فوراً الى شطرين...

الشرط الاول... أن النبوة هي سعادة شخصية النبي العظمى... من
الناحية العليا...

والشرط الثاني أن النبوة هي بلاء... شخصية النبي... من الناحية
الدنيا...

فالنبي... حين أودع الله تعالى فيه... في قلبه... نور النبوة... فجعل له
سبيلاً... أعلى سبيل... الى ربه سبحانه وتعالى...
إنما حقق لشخصيته بذلك سعادتها الكبرى...
أن رفعها رفعاً عظيماً... الى مستوى... يسمح لها بالاتصال
المباشر... بالله تبارك وتعالى...

وفي هذا من أنواع السعادة ما لا يعلمه الا الله... ورسوله..
وفي نفس الوقت... حين فرض عليه البلاغ... والنزول الى مستوى
الخلق... الكافرين... والمشركين... والعصاة... والضالين...
والمذنبين...

إنما ابتلاه بذلك... ليتقاضاه أعلى ثمن يمكن أن يدفعه بشر...
فان التنزل من أعلى مستويات النور... الى أدنى دركات الظلمات...
حيث يعيش الخلق...
فيه من البلاء... والجهاد... والصبر... والمصابرة... ما لا يستطيع
حمله الا الأنبياء...

وهذا هو سر فرار الخلق من مهمة البلاغ والتبليغ...
بأنها أشق... واثقل مهمة في الوجود...
فتجد كثيراً من العلماء... والزهاد... والمتصوفة... والربانيين... واهل
الطاعات... والمؤمنين... يفرون من تلك المهمة فراراً...
مع انهم رُكَّع... سُجَّد... بين يدي ربهم... ليلاً... ونهاراً...
وجهرًا... وإسراراً!!!
لماذا كان منهم هذا؟!

بان التعبد... والتسبيح... شيء... والبلاغ والتبليغ... شيء آخر...
فالتعبد إشعاع... يصدر عن قلوبهم... وهم في مقامهم... مقام
النور... فلا يشق عليهم...

اما البلاغ والتبليغ... فهو اجتياز لجميع بحار النور... والهبوط
الاضطراري الى مستويات الظلمات... ومحاولة الإنارة لاهل الظلام... ثم
حمل من استجاب منهم... الى فوق... الى مقامات النور...
وتلك هي المهمة الثقيلة... اثقل... واشق مهمة...

ومن هنا أثر كثير من العابدين... والواصلين... إعفاء انفسهم من
مشاق التبليغ وزعموا انهم لا يُكَلَّفون الا انفسهم!!!
وليس كذلك... أولئك... أولئك العظماء... الشرفاء.. أولئك
الانبياء!!!

تنزلوا من مقاماتهم العلى... ودخلوا بحار الظلمات فوجدوا فيها
ملايين من الغرقى...

ملايين من الكافرين...
ملايين من المشركين...
ملايين من المذنبين...
ملايين من المجرمين...
ملايين من الزناة...
ملايين من اللصوص...
ملايين من آكلي الربا...
ملايين من قطاع الأرحام...
ملايين من قطاع الطريق...

وملايين... وملايين... وملايين... ووقفوا... صلى الله تعالى عليهم
وسلم ونادوا هؤلاء جميعاً: « يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين »...
يا ايها الناس... قوموا... فاخرجوا معنا من الظلمات الى النور...

فاشمازت قلوب... الاغلبية الساحقة... منهم...
وما استجاب لرُسل الله... الا القليل!!!
فلم ييأس الانبياء... واستمروا... يؤدون رسالاتهم... طيلة اعمارهم...
بكل وسيلة تتصور من التبليغ...
وهذا هو جانب البلاء... المفروض على شخصية النبي...
انه مفروض عليه من ربه... ان يتنزل الى الخلق جميعا...
يدعوهم جميعا الى ربهم...
ويتخاطبهم بما يناسب عقولهم... الدنيا...
ويحاول ان يعالج امراض قلوبهم... وهم يصدون عنه صدودا!!!
فانظر كم يُلاقى بَشَر... كُلف أن ينتشل ملايين الغرقى... من بحار
الظلمات!؟

ومن هنا فاقوا... وذاقوا...
فاقوا... وامتازوا... وارتفعوا ارتفاعا كبيرا...
فدرجاتهم هي أعلى الدرجات...
وذاقوا مرارة التبليغ... ومشاق الجهاد... وآلام النفس... حين تعيش
طيلة عمرها... في اتجاه يضاد ما عليه كل الناس!!!
وهذا مكنون في قوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُتْلُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ،
وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ...﴾

(الأحزاب ٣٩)

ولولا أنهم يستمتعون بأنوار الرحمت... وأنس القربات... من
الجانب الآخر... ما استطاعوا بما يفرض عليهم نهوضا!!
وانما يصبُّ الله تعالى رحماته... وأنواره... في قلوبهم صبا...
فتشرح قلوبهم انشراحا... يهون عليهم ما يصادفهم...
ويُريهم المرارة حلاوة... والآلام رحمة... والعذاب قُرْبًا...
هنالك يتحملون... ويحتملون... وهم يألمون... ويتعذبون!!!

تلك هي النظرية... اذا انفجرت... فانشطرت...
شخصية النبي... تتلقى سعادتها... من وجهها إلى ربها...
وتلقى بلاءها... من قلبها في متاعب تبليغ البشر...
فبينما هي أسعد الخلق... حين تتصل بربها...
اذا هي تدفع اكبر الضرائب من صميم كيانها... حين تؤمر...
أن تُبلغ... وتُعلم... وتُهدب... وتُوجه الى سبيل الله...
وهذا هو العدل الالهي.. يتلألأ... بهيأ... في شخصيات الأنبياء!!!
والى العالم كله... نقدم نماذج من تلك الضرائب الشاقة... التي كان
يدفعها الرسل... ثمننا... لما هم فيه من بحار النور الالهي...
نماذج من دعابات.. ومرح... أحدهم... أو أوحدهم... أو إمامهم
جميعا... محمد... ﷺ...

« عَنْ أَنَسٍ قَالَ :

«إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَخَالِطُنَا...

«حَتَّى إِنْ كَانَ لَيَقُولُ، لِأَخٍ لِي، صَغِيرٍ... يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ
التَّقِيرُ؟».

هذه احدى دعابات... رسول الله... ﷺ... يعجب أنس... ان كان
رسول الله... ﷺ... يخالطهم...

اي يتنزل الى مستواهم... البسيط... ويعيش واقعهم البسيط... وهو
ما هو... من سمو المقام!!!

وهي دعاة... لم يتجاوز... فيها... وحاشاه... حدود الصدق...

فهو مجرد سؤال... يؤنس به نفس الطفل حين يناديه: «يا أَبَا عُمَيْرٍ...»

ثم يترقق رحمة... وأنسا: «مَا فَعَلَ التَّقِيرُ؟»!

هكذا... دعاة... ولكن في صدق... خالص...

انه نور... تنزل الى ظلمات البشر... يخالطها... ولكنه هو هو... نور

على نور...

لا يسمح لظلماتهم... ان تدخل الى قلبه الشريف...
وتلك اعجوبة... او معجزة... من معجزات تلك الشخصية... مهما
خالطت من مستويات... بشرية... ومهما كانت تلك المستويات من
الهبوط... او الصعود...

او التعالي... او التدلي...
إلا إنها هي هي... في مقامها... أسمى مقام...
وفي نورها... أعلى نور...
لا أثر لظلمات البشر على قلبها...

وإنما نقول أن ذلك معجزة... من شخصية محمد... ﷺ...
لأن الإنسان... أي انسان... يتأثر حتما.. ويؤثر حتما... فيمن
يخالطه... ويصادقه... ويعاشره... ينقل عنه... وينقل اليه...
ومن هنا كان توجيهه... ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر من
يخالل».

اي: فليختَر صديقه... فانه حتما على اسلوب صديقه في الحياة..
فهناك تبادل التأثير بين الأصدقاء... والعشراء... والخلطاء...
ويتعذر جداً على المرء ان ينجو من هذا التأثير... ولو نسبياً...
فانه حتما ينقل بعض طباعه... وبعض عاداته... وينقل الى صديقه شيئاً
من أفكاره... وميوله...

ومن هنا كانت الشريعة... حريصة... على رفيق الخير... داعية الى
تجنب رفقاء السوء...

لما لذلك من تأثير على اخلاق الانسان...
فاذا ما انتهينا الى تلك القاعدة... قاعدة التأثير والتأثير بين الصديقين او
العشيرين...

وجدناها تتحطم... وتذهب... عند شخصية محمد... ﷺ...
فهو يؤثر في خلطائه... ولا يتأثر...

ويرتفع بهم ولا ينزل الى مستواهم...
ويشع في قلوبهم من إشعاعاته ولا يسمح لظلماتهم أن تتسرب الى
قلبه...

وهذا هو وجه الإعجاز... من تلك الشخصية...
إعجاز خرق النواميس المألوفة... وعلا عليها!!!
بان الله جعل قلبه نوراً قوياً... هائلاً... تتشعشع منه أنوار... عالية...
مركزة... فتكون حائزاً... لا يقتحم... تتكسر دونه أمواج الظلام وترتد
خاسئة... بعيداً...

وكذلكم قلوب الأنبياء جميعاً...
على تفاوت في مقاماتهم...
وكان قلب محمد... ﷺ أشد تلك القلوب نورا... وأشدّها
إشعاعاً...

فهنا لك استحالة أن يتسلل الى قلبه الشريف... شيء من الظلام...
وتلك هي مكنونات العصمة... عصمة الأنبياء...
وذلك مدارها...!!!

ولقد كشف لنا... محمد ﷺ... أسرار... ذلك الناموس...
«عن أبي هريرة، قال:

«قالوا: يا رسول الله، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟!»

«قال: إني، لا أقول، إلا حقاً.»

(أخرجه الترمذي)

يعجبون من شأنه... «يا رسول الله، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟!»

كيف تقع منك الدعابة لنا يا رسول الله؟!

كأنهم استغربوا ذلك منه... وهو رسول الله!! فتلاً... ثم تلاً...

ثم تلاً: «إني لا أقول إلا حقاً»!!

وهذا النطق النبوي الكريم... فيه إعجاز ظاهر... وإعجاز باطن...

أما إعجاز ظاهره... فجمعه في خمس كلمات!!!
ومستحيل ان يتأتى هذا التعبير لغير محمد... ﷺ...

«إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»!!!

فيها رهبوت... وملكوت... وعظمت... ذلك القلب العجيب!!!
واما الاعجاز الباطن... فمما فيه من تلاطم امواج النور... المنطلق...
الى آفاق الحياة البشرية كلها...

ها هو انسان... لا يقول الا حقا...

فهو اوجد جنسه الى يوم القيامة...

كل الناس سوف يقولون كذباً... عمداً... او سهواً... او نقصاً... او
عجزاً عن إدراك الحقائق...

الا رسول الله... ﷺ...

فانه وحده الى يوم القيامة... هو الإنسان الأوحد... الذي لا يقول إلا
حقاً!!

ورسول الله... ﷺ... هنا... يتحدث عن نفسه... عن شخصيته...
ويكاد هذا الحديث أن يكون أحد مفاتيح معدودة... من مفاتيح تلك
الشخصية العظمية...

«وإِنِّي» انا محمد... انا وحدي... من دون البشر جميعاً...

«لَا أَقُولُ» مستحيل أن يصدر عني... او يتلفظ لساني... او يتحرك
قلبي.

«إِلَّا حَقًّا» خالصاً... صادقاً... كلامي نور... ولساني نور... وألفاظي
نور... لانها صادرة عن قلب نور...

فاذا ما سأل سائل: لماذا أوتي محمد... هذا الفضل من دون الناس
جميعاً؟!...

كان الجواب: لان الله جعله نوراً... وقلبه نوراً... ولسانه نوراً...
فكان كلامه نوراً... ونطقه نوراً...

فان قيل: وما شأن النور بالحق؟!
 كان الجواب: الحق ظاهر... لباطن اسمه النور...
 كما ان الباطل ظاهر... لباطن اسمه الظلام...
 فأهل الظلام نطقهم ظلام... أي باطل...
 وأهل النور نطقهم نور... أي حق...
 على تفاوت بين الجميع...
 فكيف بمن كان هو النور نفسه؟!
 إنه ينطق بأعلى أنواع الصدق... بالحق...
 والحق هو الأمر المحقق وقوعه...
 فهو لا يقول إلا حقا... أي لا يجاوز تعبيره الأمر في ذاته... كما
 هو...
 وانما تأتى ذلك له... وحده... بما آتاه الله من علوم جامعة...
 باطنة... وظاهرة...
 فانكشفت له الامور... في حقائقها... فألقاها الى الناس... حقا...
 ونورا...
 فانظر اليه... يتنزل من مقامه الأسنى... ليخالط الناس...
 ثم يزيدهم أنسا... فيداعبهم... ثم يزيدهم شرفاً... فلا يداعبهم إلا
 حقا...
 ثم يزيدهم رحمة... فتكون دعاياته... دروساً ثمينة... في صورة
 دعايات!!
 ثم يتلطف بهم... ويتلطف... كأنه نسيم السحر... مرّ على قلوب
 المحبين... القائمين... لربهم...
 فتزداد قلوبهم بدعاياته... من ربهم قريباً...
 «عن أنس بن مالك، أن رجلاً استَحَمَلَ رسولَ الله ﷺ...
 «فقال: إني حاملك على ولدِ الناقة...»

«فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَصْنَعُ بَوْلَدِ النَّاقَةِ ۱؟
«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهَلْ ثَلَدَ الْإِبِلُ إِلَّا التُّوقَ.»

(أخرجه الترمذی)

دعابة... لم يفهمها الرجل...

ثم وضحها له ﷺ...

كل ذلك منه... لأنه لا يغادر مقام الحق... ولو كان مداعبا!!!

وأخرى... أرق... والطف...

«عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ:

«يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»

...«يَعْنِي مَارْحَهُ»

(أخرجه الترمذی)

قالوا: ذلك لطول فيهما، وصغر سنه، وتربيته له...

يمازح أنسا... «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»

انظر... دعابة... ولكنها حقيقة...

فإن أنس بن مالك ذو أذنين... وكل إنسان ذو أذنين!!!

إلا أن وقع الدعابة على الصغير السن... أنس... جميل... وساحر...

وهكذا كان.. يداعب...

ولكن لا يقول إلا حقا!!!

وهذا مقامه... هو وحده...

فانظر اعاجيب تلك الشخصية... ثم تأمل صدقها... ثم تدبر في

ضخامة التكاليف التي فرضت عليها...

ثم تفكر... وتفكر... كيف تأتَّى الانسجام التام... والكمال العام...

في سلوكها... بعد ذلك كله...!!؟

تصعيد...

تفجير...

طاقات...

البشر... !؟

الانسان... اي انسان... كائن رهيب... ليس بالهين...
مكتون فيه طاقات... لو فُجِّرَتْ... لانطلقت منها قوى... هدارة...
فواره... تزول منها الجبال...

وهذا مكتون في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾

(إبراهيم ٤٦)

اي ان الناس لهم مكر... لهم تصرفات... يستطيعون بها ازالة
الجبال!!!

وهذه المقدرة البشرية... هي الطاقة المكنونة في خَلْق الانسان...
وحسبنا دليلا على تلك النظرية... ذلك المكر الحديث...
حين سخر الانسان مكره... في ابحاث الذرة...
ففجَّرها.. قنابل ذرية... وأخرى هيدروجينية... وأخرى نووية...
لو فجر احداها... في جبل من الجبال... لزال فوراً!!
﴿لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ !!!

واطلقها صواريخ... عابرة للقارات... ومدمرة للحضارات...
هذا دليل واحد... على الطاقة المكنونة في خَلْق الانسان...

فهو كائن رهيب... ليس بالهين.. ولا التافه...
وهذه الطاقات البشرية... يستطيع الانسان ان يوجهها الى أعلى... الى
الخير...

ويستطيع ان يوجهها الى أسفل... الى الشر...
فان سخر الانسان طاقاته في الشر... أبدع... وسائل التدمير الرهيبة...
وإن سخرها في الخير... أبدع... وسائل الاصلاح العجيبة...
فتلك القنابل الهيدروجينية... يمكن للانسان أن يجعلها قوة لنصرة
الحق..

ويمكن له أن يجعلها قوة لنصرة الباطل...
وهذا هو الاختيار البشري... الذي تدور عليه قصة الحياة كلها...
لك أن تذهب بطاقتك يميناً... ولك أن تذهب بها شمالاً...
ولقد وُضِعت نوااميس الحياة... على أن تتقارع قوى الخير والشر...
فتنقذح من خلال ذلك التقارع... شرارة التقدم... الذي يدفع البشرية
الى امام... الى امام...

وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ...﴾

(البقرة ٢٥١)

اي لجمدت الحياة... وتخلّفت... ولتوقف التقدم...
فناموس التدافع... يحمل في اعماقه... شعلة النور... شعلة التقدم...
تدخل من هذا المدخل... الى توجيه عجيب... صدر عن محمد...
رسول الله... ﷺ...

فوجّه به البشر جميعاً... الى تسخير طاقاتهم.. في اتجاه عجيب !!

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ

«رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ

«وَرَجُلٌ آتَاهُ الْقُرْآنُ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ، آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ»

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

ما هو الحسد؟

هو تمنّي زوال نعمة الغير...

هو احساس يثور بالقلب... اعجابا بنعمة يتقلب فيها الغير..

فاذا ما اشتد هذا الاحساس... وكانت النفس مظلمة... من اهل

الظلام...

دفع الحاسد... الى تمنّي زوال هذه النعمة عن المحسود...

ليكونا... في الحرمان سواء...

فاذا اشتد اكثر واكثر... دفع المرء الى السعي في ازالة هذه النعمة عن

المحسود... وهذا هو شر حاسد اذا حسد...

والحسد غريزة بشرية... موجودة في كل نفس... الا ان الناس فيها

يتفاوتون...

حتى اولئك المؤمنون.. تكمن فيهم تلك الغريزة...

وهذا مكنون في حديث:

«كُلُّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسَدٌ»

ولا تظن ان المؤمنين لا يتحاسدون... بل هم لا يستطيعون الفكك

من غريزة مكنونة في تكوينهم...

فما من انسان يرى نعمة على غيره... الا ويتمنى مثل هذه النعمة...

هذا احساس طبيعي في كل نفس بشرية...

وانما يفرق المؤمنون والكافرون... او اهل النور واهل الظلام...

ان المؤمنين... يقفون عند حد التمني...

ثم يتذكرون ان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء...
فيوجهون أمانيتهم الى ربهم... ليعطيهم كما أعطى غيرهم...
وهذا مكنون في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ
بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ... واسألوا الله من فضله...﴾.

(النساء ٣٢)

أي: اتجهوا بامانيكم الينا... وسلوني ما تتمنوا... بدلا من التحاسد
فيما بينكم...

وهذا التصعيد في علاج المشكلة... هو العلاج الاوحد... لاطفاء نار
الحسد في القلوب...: بالقاء اشعاع النور عليها... فاذا هي ذاهبة!!
اما الكافرون... أو اهل الظلام... فانهم بعد مرحلة التمني... يحققون
على صاحب النعمة... ثم يندفعون الى محاولة ازلتها عنه... او انتهابها
لانفسهم!!

وهذا هو شر الحاسد إذا حسد... إذا استمكن من قلبه الحسد...
فدفعه الى السعي في الإضرار!!!
يتقدم رسول الله... ﷺ... خير من داوى وطبب النفوس...
الى المشكلة فورا... ويضع علاجها... أعلى وأحكم علاج...
«لا حسد»... لا حسد جائز... لا يجوز ان يتحاسد الناس... ولا
يحل لهم ذلك الاحساس...

«إلا في اثنتين» إلا في حالتين اثنتين...
الحالة الاولى... «رجُل آتاهُ اللهُ مالاً»... كثيرا... رجل غني... أعطاه
الله أموالا وفيرة...

«فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ» من ذلك المال...
«آنَاءُ اللَّيْلِ وَآنَاءُ النَّهَارِ»... ينفق منه دائما... ليلاً ونهاراً... لا يكف
عن الإنفاق... من ذلك المال، في سبيل الله... في سبيل الخير... فيما
ينفع الناس...

«ورجل آتاه الله القرآن»... آتاه الله... كتاب الله...
«فهو يقوم به»... فهو ينفق وقته كله...
«آناء الليل وآناء النهار»... حياته كلها... ليلاً ونهاراً.. يقوم
بالقرآن... يتعلمه... ويعلمه...
يطبقه على نفسه... ويدعو الناس الى تطبيقه على انفسهم...
فما معنى ذلك التوجيه البارع؟!
معناه ان رسول الله... ﷺ... يُوجّه إحساس الحسد...
يوجه أمانتي البشر... الى أعلى...
واذا عُلِمَ أن أكبر نعمتين... ينعم بهما على بشر... وينيران التمني في
النفوس...
هما المال... والعلم...
فالمال... هو النعمة المادية العظمى...
والعلم... هو النعمة المعنوية العظمى...
كان معنى هذا أن محمداً... ﷺ... قد أمسك بيديه الشريفتين...
جماع النعم الظاهرة... والباطنة... حين خصّ المال والقرآن...
ثم توجّه الى القلوب مباشرة... فأرسل اليها بنوره...
فأضاءت الحقيقة لنوره... فاذا هناك امنيتان... كبيران...
المال... والعلم...
وهاتان النعمتان... الكبيران... مكنونتان... في حديث
«اثنان لا يشبعان... طالب علم... وطالب مال...»
كلاهما يقول: هل من مزيد!!!
ومن هنا اتجه... ﷺ... إليهما...
ثم أضاء للبشرية... سبيلها في هذا التنافس الخارق...
فاجاز التحاسد... في تيارين اثنين...
تيار... الانسان الغني... الذي ينفق ماله... ليلاً... ونهاراً...
دائماً وابدأ...

وتيار... الرجل الذي أُوتي أعظم العلوم على الإطلاق وأشرفها...
الذي أُوتي القرآن... قراءة... وفقها... وفهما... وعملاً وتعليماً...
فانطلق يستضيء به... ويضيء لغيره...
فهو شعلة نور... تمشي بين الناس... استنار بكتاب الله... وأنار لعباد
الله...

هذان هما الرجلان... اللذان إن جاز لأحد أن يحسد أحداً... فليوجه
إحساسه إليهما...

ومعنى هذا... أن على كل انسان أن يكون هذا هو مثله الأعلى...
ان يعمل في الحياة ما استطاع العمل... حتى اذا ما كان ذا مال...
فعليه ان يبذله دائماً هكذا وهكذا وهكذا...

لا يخل به... ولا يمسكه... ولا يحجزه عن محتاج...
وانما هو فاعل متفاعل... يجاهد في كسبه... ثم يفيضه على غيره...
وهذا الانموذج... من البشر...
هو خير مثال للبشر...

اندفاع الى العمل... لتحقيق الربح... في الدنيا...
ثم اندفاع الى الانفاق... لتحقيق الربح في الآخرة...
أما الانموذج الآخر... فهو خير مثال كذلك.. للانسان العظيم...
رجل علم الله ما في قلبه... من الاستعداد العلمي...
فاتاه القرآن...

وإيتاء القرآن... شيء عظيم... بل هو أعظم نعمة يؤتيها الله للانسان...
وهو اكبر نعمة انعمها الله على... أكرم عبد من عباده
محمد ﷺ...

وهذا مكنون في قوله سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ ۖ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۖ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ ۖ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۖ...﴾

(الرحمن ١-٤)

أي: إن اكبر رحمة يمكن ان يهديها الرحمن الى الانسان... هو ان يعلمه القرآن...

وهذه الرحمة في أعلى مستوياتها... آتاه الله محمدا... ﷺ...
والمؤمنون... من ورائه... مقامات... ودرجات... واستعدادات...
إن الرجل الذي آتاه الله القرآن... فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار...
هو الرجل العظيم... حقا... وصدقا...
لا تحسبن أن إيتاء القرآن... هو حفظ القرآن.. او دراسة القرآن... او
تعلم القرآن...

فهذا كله شيء... ليس بالشيء... وانما إيتاء القرآن... هو ان يقذف
الله تعالى نورا في القلب...
فاذا مكونات القرآن... وحقائق القرآن... وانوار القرآن.. تنشق من
القلب انبثاقا...

فاذا بصاحب ذلك القلب... نور... يسطع... ويجمع...
يسطع في الناس...
ويجمع من حوله الذين يريدون وجهه...
اذا به مغناطيسية... مؤثرة... فيمن حولها...
مثل ذلك الرجل يتحول الى طاقة ربانية... متخصصة لله...
وهذا معنى القيام به... آناء الليل وآناء النهار...
فهو دائما يحيا... لله...
ويتخصص لكتابه... فهو رجل رباني... وقته كله لربه... وكتاب
ربه...

هذا الانموذج... هو أعلى نماذج الرجال...
وانما كان شرفه... مشتقا من شرف ما تخصص له...
فالرجال رجالان...
رجل غني... كريم ينفق ماله... دائما... في سبيل الله...

ورجل عالم عامل... ينفق ليله ونهاره... في تطبيق كتاب الله... على نفسه... ودعوة الغير اليه...

هذان هما الرجلان العظيمان... قمة العظمة...

غني كريم... وعالم عظيم...

فان شئت الحسد... فاحسد أحدهما... او كليهما...

او إن شئت التمني... فتمن أن تكون غنياً كريماً...

او عالماً عاملاً بالقرآن عظيماً...

أي أن محمداً... ﷺ... داوى الحسد... بتوجيه أمانتي البشر...

الى ما فيه النفع العام للبشر!!!

اي اقتلع احساس الأنانية... وأحل محلّه الاحساس بوجود نفع الغير

فالرجل الذي يحب ان يكون غنياً... لينفق ماله على الغير... على

المجتمع... رجل سليم القلب.. غير حسود..

والرجل الذي يحب... ويتمنى... ان يكون عالماً بالقرآن عاملاً به...

معلماً الغير إياه...

رجل في أعلى مستويات سلامة القلوب...

انه يريد ان يُخرج الناس من ظلماتهم... الى نور ربهم...

يريد ان ينجيهم من الضياع... ويدفعهم الى الفوز والفلاح...

مثل هذا ليس حسوداً...

انهما منطلقان... الى أعلى... الى ابتغاء مرضاة الله...

كأنه يقول للناس: ذلك سبيل التحاسد... سبيل التمني... سبيل

التنافس... استبقوا الخيرات...

ليكن سباقكم الى أعلى... الى ربكم...

إمّا أن تطلبوا الدنيا... لتنفقوها في سبيل الله...

وإمّا أن تطلبوا القرآن... لتملأوا القلوب بنوره...

وفي هذا ما فيه... من تفجير طاقات البشر... اقوى تفجير...
وانفجار...
الا أنه تفجير... واطلاق... الى أعلى... لا الى أسفل... وكم
للانسان... من طاقات...
وكم فيه من اشعاعات!!!

الشخصية...

من الاتجاه...

المضاد...!؟

ظفرت... بحديث... اثناء تجوالي... في رياض الجنة... جنة آثاره
الخالدة... من احاديثه... الشريفة...

فاذا به احد المفاتيح الغوالي... التي تفتح أمامنا... عجائب تلك
الشخصية العظيمة...

والحديث ترويه أحب الناس اليه... من النساء... عائشة... التي
نعمت... وسعدت... بالحياة معه... وكانت ادرى الناس باحواله
الخاصة...

وأقربهم اليه في شؤونه الخفية... التي لا يطلع عليها سواها...
وهذا ما يزيد ذلك الحديث خطورة... ويرفع من شأنه رفعا كبيرا...
وقد لا يرى فيه الكثير... شيئا يثير التفكير... ولكن بالغوص الى
اعماقه... تجد فيه شيئا عظيما... من العلم الغزير... والنور الوفير...
«عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَا كَانَ خُلُقٌ، أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِنْ
الْكَذِبِ...»

«وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ، عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، بِالْكَذِبَةِ...»
«فَمَا يَزَالُ فِي نَفْسِهِ...»
«حَتَّى يَعْلَمَ، أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا ثَوْبَةً...»

(أخرجه الترمذي)

ذلكم حديثها... التي شرفت بروايته عنه... تلك التي يحبها أكثر من غيرها... من نسائه...

وينبغي أن يتقرر في العقول... ثم في القلوب... قبل العقول... أن محمداً... ﷺ... إذا أحب عائشة أكثر من حبه لنسائه جميعاً...

إنما يحبها لأنها أكثرهن نوراً...

ومحمد... ﷺ... إذا أحب... فذلك مقياس حبه...

وإذا أبغض... فعكس ذلك... مقياس بغضه...

فابو بكر... أحب الناس إليه من الرجال... لانه أكثر أصحابه نورا...

وعائشة... أحب الناس إليه من النساء... لأنها أكثرهن نورا...

وهكذا... مقياس حبه...

وتطرد... عكسا... مقياس بغضه...

فأكثر الناس بغضاً إليه... أكثرهم ظلاماً...

بأنه نور... والنور لا ينجذب إلا إلى النور...

والعكس صحيح... لا ينفر النور إلا من الظلام...

هذه... الكريمة... بنت الكريم... عائشة... بنت أبي بكر... أم

المؤمنين...

هذه الـ «عائش» كما كان يداعبها...

هذه التي هذا شأنها... تتحدث عن شخصية زوجها... أكرم زوج...

واعظم زوج... شهدت أو تشهد... هذه الارض.. فماذا قالت في

حديثها؟!

«مَا كَانَ خُلُقٌ» ليس هناك صفة... او فعل يصدر عن انسان...

«أَبْغَضَ» يكرهه أشد الكره... وينفر منه نفورا...

«إلى رسول الله ﷺ» الى ذلك الذي أرسله... الله رحمة للعالمين...

«مِنَ الْكَذِبِ» من صدور الكذب... من انسان ما...

«وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُحَدِّثُ» يتكلم...

«عند النبي ﷺ» في محضر منه... وفي مجلسه... او على مسمع منه...

«بالكذبة» الواحدة... او الجملة الكاذبة...
«فما يزال في نفسه» أثر النفور منه... والبغض لما نطق به من الكذب...

«حتى يَعْلَمَ» حتى يصل الى علم رسول الله ﷺ...
«أنه» ان ذلك الذي تحدث بالكذبة...
«قد أحدث منها توبة» قد رجع عما قال... وتاب الى ربه من الكذب...

ذلك هو المفتاح... الذي اهدته الينا... ام المؤمنين...
مفتاح ثمين... مكنون فيه سر من أسرار الشخصية... كريم...
لماذا كانت الشخصية... تبغض الكذب... وتراه أبغض خُلُق اليها؟!
لان الكذب ظلام... يحدث في قلب الكاذب...
فما ان يرى محمد ﷺ... أثر الكذب... في قلب الكاذب...
ما ان يرى الظلام يدخل الى قلبه... حتى يبغض... فوراً... ذلك منه...

لانه يحب أن يرى أصحابه... تتلأأ قلوبهم... في مقامات النور... دائما

اما أن يهبط أحدهم عن مستواه... ويخرج من النور الى الظلمات... على إثر كذبة...

فذلك ما يبغضه أشد البغض...
وهذا مكنون فيه... إن شخصية محمد ﷺ... كانت ترى قلوب اصحابها... وقلوب من حولها...

وترى تقلب تلك القلوب... في نورها... وظلماتها...
فاذا رات منها نوراً... سرت... وقرت عيناً... وتهللت...

واذا رأيت منها ظلاما... أبغضت... وما زال أثر ذلك البغض في قلبها...

« حتى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ تَوْبَةً »... حتى يرى... إن قلب مَنْ كذب... قد خرج من ظلماته الى النور... مرة أخرى... وذلك هو مكنون التوبة...

هو عودة القلب مرة اخرى الى النور... هنالك يعود التجاذب... بين قلبه... صلى الله عليه وسلم... وقلب هذا الذي كذب...

هنالك يتلاشى البغض من قلبه الشريف... هنالك يرضى... محمد... صلى الله عليه وسلم... عن صاحبه... لأن صاحبه عاد نورا صافيا... كما كان... وكما يُحِبُّ ان يكون... ومن تلك المرأة... التي تنعكس فيها مشاعر الشخصية.. نحو الذي يكذب...

نرى الشخصية... من الاتجاه المضاد لأخلاقها... نراها أشد بُغضا لخلق الكذب... فنوقن انها على اعلى مستوى من الصدق... فلولا انها كذلك ما كرهت الكذب... الذي هو الاتجاه المضاد لصفاتها...

ونرى في تلك المرأة... انه يبغض مَنْ كذب... وما يزال يبغضه... حتى يتوب من كذبه...

فنوقن انه يحب الصادق... لانه اعلى الناس مقاما في الصدق... والا لما ابغض الرجل من اجل كذبة واحدة... وهكذا... تفتتح علينا ابواب عظمة... من تلك الشخصية.. العظمى...

اذا تأملنا... ما في هذا الحديث الذي قدمته... الينا... زوجه... وأحبهن اليه... واعلمهن بشؤونه الخاصة!!!

اَعْلَمُ اَبَا مَسْعُودٍ...
اَعْلَمُ اَبَا مَسْعُودٍ...؟!

اسلوب رسول الله ﷺ ...
في أمره كله... من أعجب اعاجيب التصرفات البشرية...
فهو انسان... الا انه اعلى من اي انسان...
يصدر عنه الفعل... فتأمل فيه... فتحس فوراً... أنه بشر... ولكن
ليس كمثله بشر...

وانما هو مثال خاص... صنعه الله... على عينه...
ثم قدّمه الى البشرية... ليكون لهم مثلاً كاملاً...
فيما ينبغي ان يسمو اليه الانسان المتطلع الى التكامل...
حركاته... غير حركات البشر... وان كانت صادرة عن بشر!!!
وسكناته... غير سكنات البشر... وان كانت صادرة عن بشر...
وأحاسيسه... أسمى من أحاسيسهم... وان كانت منطلقة... من قلب
بشر...

وآلامه... غير آلامهم... وان كانت منطلقة من قلب انسان...
وسروره... غير سرورهم... وان كان متحدراً... من شفّتي بشر...
وسرّ ذلك كله... أن النبي ﷺ... نور...
فجاءت افعاله كلها... انواراً... متخلّقة في أعمال!!!
ومن نماذج أعاجيب أفعاله... أنها شيء آخر... فوق افعال
البشر... تلك الأقصوصة:

« عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ:

« كُنْتُ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا لِي

« فَسَمِعْتُ قَائِلًا، مِنْ خَلْفِي، يَقُولُ:

« اَعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ

« اَعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ

« قَالَتْقْتُ، فَإِذَا أَنَا، بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ...

« فَقَالَ: اللَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ، مِنْكَ عَلَيْهِ

« قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَمَا ضَرَبْتُ مَمْلُوكًا لِي، بَعْدَ ذَلِكَ. »

(أخرجه الترمذي)

تلك هي الأقصوصة...

وهي نموذج بارع... من نماذج جمال... أفعال... الشخصية

المحمدية...

يحدثنا أبو مسعود الأنصاري... ويقص علينا قصته...

« كُنْتُ أَضْرِبُ مَمْلُوكًا لِي »... سيد من السادة... يضرب عبدا

مملوكا... من العبيد...

ولقد كان نظاما شائعا... في تلك العصور...

ولقد عمل الاسلام... بكل وسائل الترغيب... على الغاء الرق من

الارض...

كان ابو مسعود يضرب ذلك المملوك...

ثم ماذا؟... « فَسَمِعْتُ قَائِلًا مِنْ خَلْفِي » سمع صوتا من وراء ظهره...

لا يدري صوت من؟...

وكان ذلك الصوت... يردد « اَعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ... اَعْلَمْ أَبَا

مَسْعُودٍ... »

وكان الصوت يردد ما يقول... ليكيف أبو مسعود.. عن ضرب

المملوك...

ثم يترقرق ابو مسعود... ويروي لنا اجمل مفاجأة... فوجئ بها في حياته...

«فالتفتُ»... فأدار رأسه... ينظر... لمن ذلك الصوت؟
فوقعت عيناه... على صورة أجمل انسان... يمكن أن تراه العيون...
على صورة... محمد... ﷺ...
لقد كانت مفاجأة... أي مفاجأة!!
ما كان ابو مسعود يتوقع ذلك أبدا...
ما كان يحب أن يراه... رسول الله... ﷺ... وهو على هذه الحال
ابدا!!

وضبطه... نبي الرحمة...
وهو... في حال قسوة... على مملوك!!
وأي!.. كأن أبا مسعود... يوشك أن يهلك!!
يصور ذلك لنا ابو مسعود فيقول:
«فالتفتُ... فإذا أنا برسول الله ﷺ...»
وقوله «إذا أنا برسول الله»... يصور لنا المفاجأة... وانها كانت
اعنف مفاجأة لنفسه... آنذاك!!
ولقد كان القوم... خير قوم... يحبونه... ويوقرونه... حبا عظيما...
وتوقيرا كبيرا...
وعلى قدر حبهم لشخصيته... وتوقيرهم لعظمته... كان وقع المفاجأة
عليه عظيما...
وأكبر ظني... أن أبا مسعود... كف فوراً... بسجرد ان وقعت عيناه
على... رسول الله... ﷺ... عن ضرب ذلك المملوك... السعيد...
السعيد... برؤية محمد... ﷺ...
ولو لحظة من عمره كله!!!
السعيد... بدفاع... محمد... ﷺ... عنه... دفاعا مجيدا...

السعيد... بأن كان سببا... في موقف من مواقف... محمد...
ﷺ... الخالدة...

طوبى لذلك المملوك... ثم طوبى له!
ماذا تظن كان مقال رسول الله... ﷺ... في ذلك الموقف؟
كان أن قال : « **لله... أَقْدَرُ عَلَيْكَ... مِنْكَ عَلَيْهِ...** »
« **لله** » تأكيد... إثر تأكيد... أن الله تعالى...
« **أَقْدَرُ عَلَيْكَ** » أقدر على أبي مسعود الأنصاري. أقدر على كل
انسان...

« **مِنْكَ عَلَيْهِ** » من قدرتك يا أبا مسعود على هذا المملوك... من قدرة
اي انسان على انسان تحت يده...
فكان قولاً... الا انه ناموس... خالد... من النواميس الالهية... التي لا
تبدل... ولا تتغير...

والجمال المكنون... في هذا المقال... انه نموذج لتصرف من
تصرفات... شخصية محمد... ﷺ...
فلو ان رجلاً آخر كان مكانه... لصاح بالضارب... وسبّه.. وعنقه...
ومنعه ان استطاع من ضرب المملوك بالقوة...
هذا هو التصرف الطبيعي... للرجل الطبيعي... الذي يريد ان يمنع شراً
واقعا من قوّى على ضعيف...

ولكن محمدا... ﷺ... مستوى أعلى... وأعلى... وأعلى... من
مستوى الرجل الطبيعي...
رأى رسول الله... ﷺ... الحادثة...

فأقبل على صاحبه... وناداه من خلفه « **اعْلَمْ أبا مَسْعُودٍ اعْلَمْ أبا
مَسْعُودٍ...** »

فلما التفت صاحبه اليه... خاطب قلبه مباشرة: « **لله.. أَقْدَرُ عَلَيْكَ...**
مِنْكَ عَلَيْهِ... !!! »

فُرْعَبَ هنالك أبو مسعود!!
وكفَّ يديه فوراً... حين انطلق نور... من رسول الله ﷺ... الى
قلبه...

فطارد نور رسول الله ﷺ... الظلام العارض... الذي كان في
قلب أبي مسعود... فسَوَّلَ له ان يضرب مملوكه...
فأضاء قلب أبي مسعود...

وفَقَّهَ بواطن الناموس الذي أذاعه عليه... رسول الله ﷺ...
ولقد ظلت تلك الأنوار... التي القاها... اليه... تعمل عملها... في
سلوك أبي مسعود... طيلة حياته...
ويسجل ذلك ابو مسعود للتاريخ فيقول: «فَمَا ضَرَبْتُ مَمْلُوكًا لِي بَعْدَ
ذَلِكَ»!!

هذا هو الأثر... هذه هي المغناطيسية المنطلقة من نور رسول الله...
صَلَّى الله عليه وسلَّم...

هذه هي الفاعلية... التي انفل بها قلب أبي مسعود...
فانظر... عجائب تصرفات تلك الشخصية...
وكيف كانت تسلك سلوكاً... فوق التصور... في أمورها كلها...
ولقد أدى التصرف غاياته كلها... على أعلى ما يكون الاداء...
أدى الى منع ضرب المملوك فوراً... وتلك رحمة أهداها... رسول
الله ﷺ... الى المملوك...

وأدى الى عدم الخروج عن دائرة الحسنى... والتي هي أحسن... رغم
ان الموقف موقف يحتاج الى العنف... ولكنه... ﷺ... حقق بالرفق...
ما يتحقق بالعنف...

وأدى إلى تهذيب سلوك أبي مسعود... والتسامي بأخلاقه... الى
أعلى... من أقصر الطرق... وأسرعها نتيجة...
وأدى إلى الحيلولة بين أبي مسعود... وبين ضرب ممالিকে مستقبلاً...

وتلك رحمة تحققت لهم... وتأميننا سيق اليهم... من رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
وأدى... الى اذاعته... ناموسا محكما... لو تفكر فيه كل من حدثه
نفسه... أن يظلم... أو يبغى على غيره... لتراجع عن ظلمه فورا...
وفي ذلك ما فيه من الرحمة... الشاملة... التي تعم عموم البشرية...
وأدى... وأدى... وأدى...
كل ذلك كان منه... ﷺ... في بساطة... وإحكام... وفطرة...
الا أنها فطرة... كفطرة الشمس اذا أشرقت... فانطلقت اشعتها الى
جميع الجهات... بلا تكلف...
لأن طبيعتها أن تملأ الأرض نورا دائما وأبدا...
ذلكم مثال... من نماذج تصرفاته... ﷺ...
مثال واحد من آلاف... لنستيقن منه... أن رسول الله... ﷺ... ليس
كمثله أحد من البشر!!!

أَحِبِّ...
حَيِّكَ...
هَوْنًا مَّا...!؟

يغادر الكلام... فمه الشريف... كأنما هو... قطع من النور...
متابعات...

تعالى... وتعالى... وتعالى... متساميات...
كأنهن... حين غادرن... ثنياه... لآلئ... نورانية سابحات... في
بحار سرمدية!!!

بأنه محمد... رسول الله... ﷺ...
آتاه أحسن الحديث... كتابا متشابها... مثاني...
وآتاه أحسن التعبير... وفصل الخطاب...
فجاء حديثه عَجَبًا... ونُطِقه فكرا...
على أعلى ما يمكن أن يرقى اليه بشر... من الأفكار...
ولو كُنْتُ... ذا قلب... وقرأت حديثا من أحاديثه...
لأحسست... فوراً... أن هناك نبياً... ورسولاً... أكرم نبي.. وأكرم
رسول... يتكلم...

فاذا ما مررت... على كلماته... فكأنما مررت... على عوالم لا
نهائية... من جنات الخلد... الابدية...
إذا مررتم... برياض الجنة... فارتعوا...
إذا مرت قلوبكم... بأحاديثي... فكلوا منها واشربوا...

فانها طعام القلوب وشرابها...
فاحاديثه... حقا... وصدقا... وتجريبيا... رياض الجنة...
تجد فيها القلوب أنسها... وانشراحها... ونورها... وغذاءها
وشرابها... ولذاذاتها... وسرورها وانجذابها...
فهي رياض من رياض الجنة... حقا... وصدقا...
وانما هي مذاقات... يُحجَّب عنها مَنْ حُجِبَ !!!
فاذا شئت... في أحاديثه... الموسيقى... وجدتها... تتموج الى قلبك
تموجا...

واذا شئت... النعم... فلكلماته في القلوب... نعم... رطيب...
وان شئت... الشراب... وجدت فيها... عيونا تجري... وتسري...
سلسبيلا...

والذين أوتوا... مذاق... أحاديثه... يجدون فيها شمسا... لا تعرف
شروقا... ولا غروبا...

فاذا اشرفت على قلوبهم... اضاءوا...
واذا غُيِّت... عن قلوبهم... فإنما قلوبهم... هي التي غابت... لان
شمسه... لا تغيب!!

تجد ذلك مكنونا في قول ربه تبارك وتعالى... ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ
فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ الرَّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ
مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نَوْراً عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾

(النور ٣٥)

وقوله سبحانه ﴿... لَا شَرْقِيَّةٍ، وَلَا غَرْبِيَّةٍ...﴾ مكنون فيه ذلك
المعنى العجيب...

أَنَّ قلب رسول الله ﷺ نور...

لا شرقي... ولا غربي...

اي لا يشرق... ولا يغرب... كالشمس... والنجوم...
وانما هو ﴿كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾... شديد اللمعان... شديد التلألؤ... دائم الشروق...

كما وصفه... ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾
دائم النور... دائم الشروق... لا يغيب...
هنالك يفهم معنى ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾!!!
ومن نماذج احاديثه... التي تلمس فيها تلك المعاني كلها...
واضحات... بينات... جاريات... ساريات...

ذلك الحديث... الذي نعرضه... على العالم كله...
ليتحقق كل امرئ... من صدق الدعوى... التي ندعيها... في شأن
احاديث رسول الله... ﷺ...

حديثا... فيه الموسيقى... وفيه الانغام الحلوة... الشجية... وفيه رياح
الجنة... وفيه الشمس التي لا تغيب...
وفيه ما شئت... وزيادة...

«عن أبي هريرة — أَرَاهُ رَفَعَهُ
«قال: أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَّا
«عَسَى أَنْ يَكُونَ يَغِيضُكَ يَوْمًا مَّا.
«وَأَبْغَضُ يَغِيضُكَ هَوْنًا مَّا
«عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبِكَ يَوْمًا مَّا»

(أخرجه الترمذی)

تشعر وانت تقرأ الحديث... انك تستمع الى سيمفونية.. خالدة...
تتموج الى قلبك... بانغامها الحلوة...
فلا تعقيد... ولا غرابة في الالفاظ...
ولكن نغما... منبعثا... في انسجام... وترتيل...
فاذا ما قرأت المقال... انبعثت في قلبك الأحوال...

فقلت: ما شاء الله... كيف تأتي لبشر هذا؟

فاذا ما دخلت الجنة... جنة الحديث...

طاعتك بعجايبها... وغرائبها... وازهارها... واشجارها... وثمارها...
واذا بالحديث اصل عام من اصول علم النفس... وعلم التربية... وعلم
المعاملات... وعلم حقائق النفوس...

«أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا»... لا تسرف في حب حبيبك... ولكن كن
على اعتدال... معه في جميع الاحوال...
لماذا؟...

«عَسَى أَنْ يَكُونَ يَغِيضُكَ يَوْمًا مَّا»...

فلربما تبدل الحال بينك وبينه... لسبب من الأسباب... فانقلب هذا
الذي كنت تحب... الى بغض... الى انسان تبغضه... وتكرهه...
فتقع في الحرج آثم... وتجد نفسك تقول فيه... عكس ما كنت
تعتقد فيه من قبل...

وعندما يحدث الانقلاب بين الصديقين... او الحبيين...
يرى الانسان ما كان حلوا... صار مُرًا... وما كان منه مُرًا... صار
حُلوا...

لان القلب قد تغير... واتجاهه نحو الصديق... قد انعكس... والذين
يسرفون في حب احبائهم... تشتد حسراتهم... عندما ينقلب ذلك
الحب... لسبب ما بُغضا...

«وَأُبْغِضْ يَغِيضُكَ هَوْنًا مَّا»... لا تسرف في بغض... مَنْ تبغض...

فترميه بما ليس فيه... وتقع فيه بما هو بريء منه...
لماذا؟... «عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبُكَ يَوْمًا مَّا»... فلربما انقلب هذا الذي
كنت تبغض حبيبا لك يوما من الايام...

وهذا يحدث كثيرا... بين الناس...
فكثيرا ما يدفع الحب.. قوما... الى المغالاة... في مدح احبابهم...

وكثيرا ما يدفع البغض... قوما... الى الاسراف... في ذم اعدائهم...
ولو قد اعتدلوا في حبههم... وبغضهم... لجنبوا انفسهم كثيرا من
المزالق... التي يندمون عليها فيما بعد ندما عظيما...
وحين يُلقى رسول الله... ﷺ... بإشعاعه الكريم... في هذا
السبيل...

انما يفتح بابا من ابواب الرحمة... للناس جميعا...
ان تقوم العلاقات بينهم... على القصد في الرضا والغضب... فلا
تجاوز للحد... في الحب... او في الكره...
وانما إعطاء كل ذي حق حقه... ولو كان بغیضاً الى نفسك...
وهذا يتوازي... مع قوله سبحانه... الذي أنزله على رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ...﴾

(المائدة ٨)

اي: لا يدفعنكم بغض قوم... على ان تندفعوا نحو الاسراف... في
ذمهم... او الاتجاه نحو ظلمهم...

﴿اعْدِلُوا﴾ التزموا العدل... في أمركم كله...

ولقد قال الأقدمون... في ذلك الحديث... قولا جميلا...

قالوا: «أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَّا»... اي: حبا رفيقا لنا... ولا تبالغ...

وكذلك في البغض...

«والمعنى: أن القلوب بين أصبعين من أصابع الله، ولا يبعد بل قد قرب

ووجه... أن يكون الحبيب بغیضا يعود، والبغیض حبيبا...

«أنك اذا أمكنته من نفسك حالة الحب، ثم عاد بغیضا، كان بمعالم

مضارك أقصد، لما اطلع منك حال الحب، حين استوفيت معه مقتضاه،

فأفضيت اليه، بنيات صدرك، واطلعت على باطن أمرك»

وهذا وجه جميل...
أي: لا تُفَضِّ بِاسْرَارِكَ إِلَى حَبِييبِكَ... مَهْمَا كَانَتْ مَنَزَلَتُهُ مِنْكَ...
اِحْتِيَاطًا لِلْمُسْتَقْبَلِ... فَيَتَّخِذُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا... سَلَا حَا... يَشْهَرُهُ فِي
وَجْهِكَ!!

... $\frac{1}{24}$

من صفات ...

الشخصية ... ؟!

هناك أحاديث... بالذات... تعتبر مفاتيح للشخصية... أكثر من غيرها...

وان كانت كل احاديثه... مفاتيح لشخصيته... من قريب.. او من بعيد...

لأنها... جميعا... صادرة عنه... يتموج فيها نور شخصيته... ومن تلك الاحاديث... التي تعتبر — في رأيي — مفتاحا... عظيما... للشخصية...

ذلك الحديث...

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

«السَّمْتُ الْحَسَنُ، وَالتَّوَدُّ، وَالْاِقْتِصَادُ...

«جُزْءٌ، مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا...

«مِنَ النَّبَوَّةِ.»

(أخرجه الترمذی)

هذه صفات ثلاث... من صفات شخصيات الانبياء...

وبالتبعية... من صفات.. شخصية إمام الأنبياء... محمد... ﷺ...

ومعنى ذلك ان هناك اثنتين وسبعين صفة... للأنبياء...

أرى أنه على من اراد ان يرسم صورة لشخصية... رسول الله...

صلّى الله عليه وسلّم...

فعليه أن يأتي بالاثنتين وسبعين صفة...
ليستطيع أن يرسم من خلالها... مجتمعة... في شخص واحد...
صورة عامة للشخصية...
واكبر ظني أنه لو استطاع أحد... أن يحصي تلك الصفات الاثنتين
والسبعين...
لأمكن من تبويبها... وتجميعها... وتنسيقها... أن نتصور صورة
جامعة... لشخصية رسول الله... ﷺ...
وفي ظني أن لو استطاع أحد... أن يتتبع المأثورات عنه — ﷺ...
فلربما ظفر بتلك الصفات... الاثنتين والسبعين... فتكون فرصة نادرة...
تضع أمامنا صورة متكاملة... لصفات الشخصية... من جميع جوانبها...
وإن دل تعدد صفات النبي... الكريمة... إلى ما يزيد عن سبعين
صفة... شريفة...
فإنما يدل على اتساع الشخصية... اتساعا... يسمو بها... إلى أوسع
آفاق العظمة...
فاذا اضيف إلى ذلك... أن كل صفة من هاتيك الصفات... كافية
وحدها...
لو اتصف بها أحد الرجال... أن تصنع منه شخصية عظيمة...
أدركنا كيف كانت تلك الشخصية... التي اكتملت فيها تلك
الصفات... جيمعا... على أعلى صور الكمال؟!
وحسبنا في هذا الباب... أن نخط خطوطا ثلاثة... من ملامح صورة
الشخصية... العظمى...

* * *

الخط الاول... «السَّمْتُ الْحَسَنُ»... المظهر الجميل... بلغة العصر
الحديث...

لماذا كان المظهر الجميل... جزءا من النبوة؟

لان الانبياء... يعيشون تجربة القيادة... قيادة الأمم...
والشعوب... والجماهير...

والذين يوضعون موضع القيادة العليا... من الناس...
ينبغي أن يكونوا موضع احترام هؤلاء الناس...
واول دوافع ذلك الاحترام... هو مظهر الشخصية... الذي تقع عليه
العيون...

لان الدنيا تقوم على الزينة... ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾
(الكهف ٤٦)
وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَّهَا...﴾

(الكهف ٧)
ولذلك كان الامر الالهي الينا جميعا: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ...﴾
(الأعراف ٣١)
وكان غريبا جدا... في مفهوم السماء... ان يذهب قوم الى تحريم
الزينة... فهتفت: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ...﴾
(الأعراف ٣٢)

وانك لتلمس اثر المظهر الجميل... مبثوثا في كل شيء... اخرج رب
العالمين...

انظر الى الطواويس... في جمالها... وتيجانها... وزيفها...
ورفيفها...

أو انظر الى العنادل... والبلابل... والحمام... في تساوقها...
وتمايلها... وتهزازها...

أو انظر الى الفاكهة في أغصانها... وجمالها... وألوانها...
وتناسقها...

أو انظر الى الأطفال... حين يولدون... والجمال المتلألئ في
وجوههم الصبوحه...

أو انظر الى الأبنكار... حين يكتمل نضجهن... ويمتلئن أنوثه...
ونعومة...

أو انظر الى كثير من الشباب... الذين آتاهم الله... حُسن القوام...
وقوة الأبدان...

أو انظر الى البحار... في تموجها الرقيق... السحيق... الرشيق...
أو انظر الى السماء... في زرقتها... وامتدادها... وسُحُبها...
ونجومها...

أو انظر فوراً الى أي شيء... يمكن أن تنظر اليه...
تلمس فوراً.. جمالاً عاماً... ماثوفاً في كل شيء...
وذلك الناموس المطرد... برهان على ان الله تعالى... الذي خلق كل
هذا... يحب الجمال... ظاهراً... وباطناً...

وانما كان الجمال الظاهر... قريباً... منا... لانه محسوس...
وأعلى منه الجمال الباطن... جمال الصفات القلبية...
وانما كان عنا بعيداً... لاه غير محسوس بالحواس... والعيون...
هذا الجمال الظاهر... او حسن المظهر... او: السَّمت الحسن...
هو جزء من النبوة... من صفاتها... من أصولها العامة...
فما من نبي... الا كان جميل الصورة... جميل الوجه... جميل
القوام... جميل الجسم...

يجمع في صورته جمال الخَلقة... وجمال الباطن...
فهو احسن الناس صورة... وأحسنهم باطناً...
أحسنهم وجهاً... وأحسنهم قلباً...
وما من نبي كذلك... الا كان حسن المظهر... من حيث الملابس
ومن حيث الاخراج العام...

حُسنا... وجمالاً... في غير ما إسراف... ولا ترف...
وانما كانوا... يلبسون البسيط من الثياب... ولكنها نظيفة... جميلة
جمال البساطة...

حتى اذا ما وقعت العيون عليهم... قُرَّت الجماهير بهم عينا... سُرَّت
بهم سرورا...

والانبياء في هذا... اعلى سبيلا... واهدى اتجاها... من بعض
المتصوفة... الذين يأخذون أنفسهم بالشدة... ولبس المرقعات...
والاصرار على الظهور بمظهر منفرد...

ذلك بان الانبياء دائما... هم الصورة العليا... للتوازن البشري...
فسلوكلهم هو السلوك...

اما المتصوفة.. فمهما حققوا من التسامي... فقد يصاب بعضهم
بالتخلخل اثناء سيره... الى اعلى... فيصدر عنه... شيء من الشطح...
يبعده عن التوازن قليلا...

أما الانبياء... فهم دائما وأبدا... على الطريق المستقيم... دائما
وأبدا... في مقام التمكن... والتمكين...

دائما وأبدا... مستقرون... في توازنهم العام...
ولقد كانت شخصية... رسول الله ﷺ... دائما... صورة عليا...
للمظهر الحسن... «السَّمَتُ الْحَسَنُ»...

فتحقق لها جمال الظاهر... كما تحقق لها جمال الباطن...
ليكون دائما الأسوة الحسنة... للخلق جميعا... في ظاهره...
وباطنه...

وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ...
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...﴾

(الأحزاب ٢١)

قدوة جميلة... مثال جميل... للانسان الجميل... ظاهرا وباطنا.

وما ظنك بنبي... اختاره الله تعالى... وصنعه على عينه... وتولى
تربيته... وتولى خلقه...

ليقدمه سبحانه... الى جميع الناس... مثلاً أعلى... يتابعون خطاه...
في امره كله؟!؟

كان حتما ان يكون ذلك النبي... أحسن الناس صورة... وأحسنهم
ظاهراً... وأحسنهم باطناً... وأحسنهم خلقاً... وأحسنهم خلقاً...
وقد كان...

فكان محمد... ﷺ ... هو ذلك كله!!!

° ° °

أما الخط الثاني... من تلك الخطوط الثلاثة... التي ترسم الصورة
العامية للشخصية العظمى...

فقوله: «التَّوَدُّة»...

وتلك الكلمة بحر وحدها... من النور... الذي يتموج الى بعيد...
بعيد...

ما التَّوَدُّة؟!

هي جزء من النبوة...

هي عكس العجلة... ﴿... وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا...﴾

(الإسراء ١١)

كل إنسان هذا شأنه... الا الانبياء... ليسوا كذلك...

انهم يتشدون... يترفقون... لا يعجلون... لماذا كانوا كذلك؟!؟

بما أوتوا من العلوم المدنية... التي تكشف لهم حقائق الوجود...
ونواميس الخنود...

وكلمة كان الإنسان أرفع ثقافة... وأعظم علماً... كلما كان تصرفه
أدق... وأحكم... ممن هو دونه ثقافة وعلماً...

فالطفل تراه عجولا جدا... ما تقوم به رغبة الا ويريد تحقيقها فورا...
لان عقله قاصر...

حتى اذا صار رجلا... كان أقل عجلة... في الرغبة في تحقيق ما
يريد...

لماذا؟... لانه بدأ يدرك ان الامور مرهونة بظروفها... وان ليس كل ما
يتمنى المرء يدركه...

فالانبياء... يعلمون ارتباط الامور بمقاديرها...
ويعلمون ان ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن...
ويعلمون ان كل شيء خلقه الله بقدر...
ويعلمون ان الحياة محكومة بنواميس عليا... لا فكاك منها...
ويعلمون ان الله تعالى سُننا... ونواميس لا تبديل لها ولا تحويل...
ويعلمون... ويعلمون... ويعلمون... فأورثهم ذلك العلم... ذلك
النور... المكنون في قلوبهم... القدسية... هدوءا... وسكينة...
وطمأنينة...

فاستقبلوا الحوادث في تودة... وتوازنوا مع المقادير...
فلم يسبقوها... ولم يستعجلوها...
وانما تركوها تمضي...

ومضوا هم الى أمرهم الذي أمروا به...
تجد ذلك مكنونا في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ
آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾.

(الأنبياء ٣٧)

وقوله: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾.

(مريم ٨٤)

اي لا تتعجل حسابهم... انما نعد انفسهم عدا... فإذا ما انتهت
انفسهم المعدودة... ماتوا... وقدموا علينا... فحاسبناهم حسابا...

أي ان كل شيء محكوم بنواميسه... ولا فائدة من تعجل الانسان
للأمور...

ومن هنا كان الانبياء جميعا أهل تودة... أهل توازن مع المقادير...
فكانت تصرفاتهم حكمة... أورثوها... بما كانوا يعلمون!!!

• • •

وأما الخط الثالث... من الخطوط الثلاثة... فقوله: «الاقتصاد»...
فما هو الاقتصاد... ولماذا كان جزءا من النبوة؟
الاقتصاد... هو التوازن...

وليس المراد بالاقتصاد... قطعا... معناه الحديث... وهو الادخار او
الاقتصاد السياسي... أو هذه المفاهيم المنتشرة في الحياة المعاصرة...
وانما المراد بالاقتصاد... هو القصد... في كل أمر... بحيث لا يطفى
أمر على أمر... في بيان الشخصية النبوية...
وهذا هو السر... في تكامل الشخصية النبوية... فحيثما التمسها
وجدتها...

فلا تطفى صفة على صفة... ولا سلوك على سلوك...
ولا يغلب اتجاه على اتجاه...
وانما جميع الصفات... تتحقق على مستوى واحد... في شخصية
واحدة...

وهذا لا يتأتى الا بالاقتصاد من صفة... لاعطاء الفرصة لصفة
أخرى... للبروز... والظهور...
وهذا هو التوازن... أو هذا هو الاقتصاد...

فالنبي انسان... متوازن الشخصية...
لا تطفى صفة من صفاته على الأخرى...
وهذا هو أعلى نماذج الكمال الانساني على الإطلاق...
فصفة العلم تتحقق... بظهور آثارها... تعلمها... وتعليمها...

وصفة الرحمة تتحقق... بظهورها... في كل تصرف من تصرفاته...
وصفة الرأفة تتحقق... بفيضها... على الناس جميعا... وصفة
الشجاعة... تظهر... في كل عمل من أعماله...
وصفة الكرم... تظهر... في كل أمر من أموره...
وهكذا... جميع الصفات تعمل عملها... في كيان الشخصية... لا
تعطل واحدة الاخرى...

ومن هنا... كان العتاب... على داود عليه السلام — حين تخلى لربه
في المحراب، وآثر عبادة ربه... على النظر في شؤون الجماهير...
فتفهم عليه ملكان... وفاجأه في خلوته... وعرضا عليه قضيتيها...
فقصص فيها...

ونودي من قبل رب العزة تبارك وتعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً
فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.

(ص ٢٦)

أي: ما اردناك يا داود كائن تسيح... وانما اردناك خليفة...
أردناك نائبا عنا... في الأرض... تفصل بين الناس في خصوماتهم...
وتأخذ الحق من الظالم للمظلوم...
تلك هي رسالتك... وليست رسالتك أن تتفرغ للعبادة وحدها...
وهذا رد لداود... الى سلوك التوازن... بحيث لا تطغى صفة العبادة
على صفة الخلافة... والقضاء... والحكم...
ولكن كن يا دود بين بين... بين العبادة وبين شؤون الناس...
وتجد هذا مكنونا في قوله سبحانه: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ، وَلَا
تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ، فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ...﴾.
أي: انزل الى الجماهير... واحكم بينهم بالحق... وأقم العدل في
الأرض...

«ولا تَتَّبِعِ الْهَوَىَّ» ولا تتبع هواك ... لا تتبع ما تحب من العبادة...
وتؤثره على القضاء...

«فِيضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» فيخلخل ذلك سلوكك كنبى... وتعطل
صفة العبادة... صفة الخلافة... وهذا بُعد... عن سبيل الله!!!
عجائب... والله عجائب... مكنونة في ذلك الكتاب... كتاب ربي!!!
وملخص الاقصوصة... سجله أعظم... وأكرم... وأصدق...
وأحكم... كتاب... نزل من السماء... الى هذه الارض... المسمى
بالقرآن...

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ، قَالُوا: لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى
بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاخْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ. وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ
الصِّرَاطِ﴾

﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ
أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾
﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعِجَتِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ
الْخُلَطَاءِ لِيَنبَغِي لَهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَانَهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ
رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾

(ص ٢١-٢٤)

تلك هي الاقصوصة... كما قصها الكتاب... أعظم وأحكم وأرقى
وأصدق... كتاب...

وانها لبحر من النور يتلأل... ظاهرا لباطن... وباطنا لظاهر...
ولولا ان المقام مقام اشارة... لأفضنا في مراميها... ولكن حسبنا
لآليها... تتراقص من بعيد...

والذي يهمننا منها... هاهنا... ان داود عوتب على تفرغه للعبادة...

وَدُفِعَ دفعاً الى التفرغ للفصل في منازعات العباد...
ليحقق بذلك الاقتصاد... التوازن بين حق الله... وحق النفس... وحق
الخلق...

وهذا نموذج رائع... من نماذج الاقتصاد... في سلوك الانبياء...
ونموذج آخر... من نماذج الدعوة... دعوة الانبياء الى التوازن... الى
الاقتصاد...

حين كان رسول الله... ﷺ يقوم الليل... حتى تورمت قدماه...
فنودي... من قبل الله عز وجل: ﴿طه﴾ «مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى»
إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى» «تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى»
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى».

(طه ١-٥)

تجد الدعوة الى التوازن... تتموج في أنوار الآيات تموجاً...
﴿طه﴾... نداء للنبي ﷺ... على قول من قال:
«طه» اسم من أسمائه... ﷺ...
﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾... ليس الهدف أن تشقى بهذا
القرآن... فتقوم الليل كله... حتى تتورم قدماك...
إذن ما هو الهدف؟

﴿إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى﴾... انما الهدف أن يكون تذكُّر لمن أراد
أن يخشى عذاب الله... لمن يستجيب من الناس للدعوة...
الهدف الرئيسي أن يكون ذلك القرآن... دعوة عامة للناس...
الهدف أن تقوم بمهمة الرسالة... والتبليغ...
لا ان تخصص للعبادة... وتستهلك كل طاقتك فيها...
﴿تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ أنزلناه اليك تنزيلاً...
من عندنا... لتؤديه الى الناس...
﴿الرَّحْمَنُ﴾ لأن الله رحمن... يريد أن يدخل الناس في رحمته...

﴿على العرشِ استوى﴾ تعالى... علوا كبيرا...
فلزم أن نختارك... من بينهم... لتؤدي ما نريد الى الناس..
انها دعوة الى التوازن... بين العبادة... والتبليغ... كأنه يراد أن يقال:
احتفظ بشيء من طاقاتك للمهمة الاخرى... مهمة البلاغ... وكم تحتاج
من طاقات...

انها دعوة الى التوازن... بين الصفات... دعوة الى الاقتصاد..
قلو أن رسول الله... ﷺ... استمر على ما كان عليه.. من قيام
الليل... حتى تتورم قدماه...

ولم يخفف عن نفسه شيئا ما... لشق عليه... عليه الصلاة والسلام...
أداء أعباء الرسالة...

ولكن المطلوب... أن يخصص وقتا للتهجد... ووقتا للنوم... ليكتنز
طاقات... تتفق في دعوة الناس الى الله...

وحين قال... ﷺ...

« شيتي هود... » كان أشقهن عليه... وأشدهن تبعة...
قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ... وَمَنْ ثَابَ مَعَكَ... وَلَا
تَطْغَوْا...﴾

(هود ١١٢)

هذه هي أشدها وقعا... وأثقلها تبعة...
لماذا؟

لأنها تدعوه أن يستقيم...
ولقد كان رسول الله... ﷺ... على أعلى صور الاستقامة...
فما هو الجديد فيها؟

الجديد... ﴿كَمَا أَمَرْتُ﴾...
المطلوب أن تكون الاستقامة... على الاسلوب الذي أمر به...

اسلوب التوازن... بين القربات جميعا... بحيث لا تغطي قربة على قربة... ولذلك قال بعدها مباشرة:

﴿وَلَا تَطْغَوْا...!!!﴾

(هود ١١٢)

وذلك التوازن شيء شاق جدا جدا...
يطالبه... ﷺ... أن يتوازن بين جميع الاوامر التي أمر بها...
ليكون الصورة الرائعة... الخالدة... العليا... للانسان العظيم... ولا
يتصور في الوجود ما هو أشق من ذلك التوازن... ذلك الاقتصاد...
فلا يقبل من نبي أن يعلو جداً في العبادة... ويقصر في التبليغ... أو
يعلو في التبليغ... ويقصر في العبادة...
وانما جميع الاوامر التي أمر... ينبغي أن تتوازن... وتتساوى...
وتتساوق... وتتماوج... الى ربها...
في مستوى واحد... من الاخلاص... والالتجاء... والانكسار...
والتوجه...

لنتنتهي اليه تعالى... في النهاية... شعلة من النور المقدس..
وهذا التوازن... في أعلى مستوياته... يتحقق في الانبياء التحقق
الحق...

والخلق من ورائهم فيه درجات... ومقامات...
وذلك مكنون في قوله: ﴿وَمَنْ ثَابَ مَعَكَ﴾...
اي من رجع الينا من ظلماته... الى نورنا...
من أصحابك... وممن آمن بك من بعد...
فعليه أن يستقيم... على نفس الاسلوب... اسلوب التوازن...
وهذا هو الانسان الذي يحبه الله تعالى... الشخصية المتوازنة... بين
القربات جميعا...

وأحيانا يصاب بعض السالكين... بالتخلخل في استقامتهم الى ربهم...

فتراهم يمتازون في عبادة... ويقصرون في أخرى...
وهذا يحدث لانهم لم يصلوا بعد الى مقام التمكين... حيث يستقرون
على التوازن التام بين القربات...
ولقد كان ابو بكر... نموذجا فذا في ذلك التوازن...
وذلك مكنون في قوله صلى الله عليه وسلم... الذي أشار فيه الى أن أبا بكر يدعى
من جميع أبواب الجنة...
أي انه كان محققا لجميع القربات... على توازن عام في شخصيته...
فمن أجل ذلك يدعى من جميع أبواب الجنة!!!
تلك اشارات... في الاقتصاد... الذي هو جزء من النبوة..
يُطلب من العبد لكي يعتبر فائزا عند الله... ناجيا في الآخرة... الا
ينخفض عن النهاية الصغرى للفوز... وهي الفروض... وهي الشهادة...
والصلاة... والزكاة... والصيام... والحج...
لأن هذه الفروض هي الحد الأدنى للنجاح...
فمن أراد زيادة درجاته... فعليه بالفروض الأخرى...
كالجهاد... والامر بالمعروف والنهي عن المنكر...
ومن أراد الاستزادة من الدرجات... فعليه بالسُنن...
ومن اراد الزيادة... فعليه... بالتطوع... الى ما شاء... وما استطاع...
وهكذا... باب التكامل... مفتوح... الى ما لا نهاية...
ولكن لا يجوز له أن ينخفض عن مستوى الفروض الخمسة... لانها
هي الحد الأدنى للنجاح...
ولقد فرض على الانبياء... أن يسجلوا أعلى الدرجات... في قُرباتهم
كلها...
وان يمتازوا في جميع عباداتهم... ما استطاعوا... الى ذلك سبيلا...
تلك هي الخطوط الثلاثة... التي أشير اليها في ذلك الحديث...
العجيب...

واعتبرت جزءاً من أربعة وعشرين جزءاً... من النبوة...
السَّمَت الحسن... والتَّؤَدَة... والاقتصاد...
المظهر الجميل... والرفق... والتوازن...
والواحدة منهن تكفي لبناء الشخصية الكاملة...
فكيف بمن اجتمعن فيه... على أعلى صور الكمال...؟!
ثم كيف بمن كانت... هذه كلها جزءاً... من أربعة وعشرين جزءاً...
من صفاته...؟!!

لا تكونوا...
إمعة...!؟

الحياة... بحر زاخر...
يموج بالفتن موجا...
والانسان ذرة... قلبها الفتن... ذات اليمين... وذات الشمال...
ولو لم يكن للانسان فيها سفينة... متينة التصميم...
لأغرقتة احدى موجاتها... التي تتلاطم كالجبال...
وتجد ذلك مكنونا... في: «... جَدَدِ السفينة... فَإِنَّ البحر
عميق!!»

والأصل العام... في الناس... أن أكثرهم... أهل ظلام...
والقلة القليلة من أهل النور...
ولقد سجل... أعظم كتاب... وأصدق كتاب... ذلك على الناس...
ففي القرآن... العظيم... أن أكثر الناس لا يؤمنون...
وأن أكثرهم لا يشكرون...
وأن أكثرهم لا يعقلون...
وأن أكثرهم لا يفقهون...
وبالنسبة الى نُدرة أهل النور...
يسجل... أن قليلا من عبادي الشكور...
وقليلا ما تذكرون...

وقليل ما هم... الى آخر... هذه النواميس العلى...
فاذا ما نادى المنادي: لا شأن لنا بالقرآن... ايتونا ببرهان من الواقع...
قلنا: اذهب حيث شئت من الارض... ثم انظر... كم من الناس يؤمن
بالله... وكم فيمن يؤمن بالله... لا يخلط إيمانه بظلم... او ظلام؟
وسوف يجد الواقع... هو هو ما نطق به كتاب الله...
لان الذي أنزل الكتاب... هو الذي خلق الناس... ومن أصدق من الله
قيلا؟!

حتى اذا ما فرغنا من تلك النواميس...
ووجهنا بسؤال خطير: اذا كان هذا شأن الحياة... وهذا شأن أغلب
الناس... فكيف ينجو الانسان بنفسه من هذه المهالك؟!
هنالك... يتقدم... أكبر الخلق علما... وأعظمهم نورا... يتقدم...
رسول الله... ﷺ...

ليرشدك الى سبيل النجاة... ويصنع لك سفينة النجاة...

«قال رسول الله، ﷺ:

«لَا تَكُونُوا إِمْعَةً

«تقولون: ان أحسن الناس أحسنًا

«وإن ظلموا ظلمنا

«ولكن، وطمّوا أنفسكم

«ان أحسن الناس، أن تحسّنوا

«وان أسأؤوا، فلا تظلموا.»

(أخرجه الترمذی)

هذا الحديث... كوكب دري... يكاذ زيته... يضيء... ولو لم

تمسسه نار!!

لو تطلعت اليه... قلوب أهل الارض جميعا... لأضاءها... فورا...

بشعاع واحد... من اشعاعاته...

ولكن... قليلا... من القلوب... التي تتطلع اليه!!!
واخطر ما في ذلك الحديث... انه ناموس... او قانون طبيعي...
اذاعه... رسول الله... ﷺ...
على مستوى البشرية كلها...
ويستطيع كل انسان... رجلا... او امرأة... أن يجد فيه طريقه
الأوحد... لبناء شخصيته... وتكوينها... التكوين الصحيح!!
وفيه كذلك مفتاح... من مفاتيح شخصية محمد... ﷺ... تلك
المفاتيح العلى...
فبينما هو مصباح منير... ينير السبيل... لمن أراد أن يشيد بنيان
شخصيته...
إذا به... شمس ساطعة... تتكشف تحت شعاعها... أسرار... بناء
تلك الشخصية العظمى... شخصية رسول الله... ﷺ...
ففيه من البركات... والخيرات... ما لا ينتهى الى قرار!!!
يقول... أكرم ما خَلَقَ الرحمن...
« لا تكونوا إِمَّةً »... نهى عام...
مُوجَّه الى كل انسان...
لا ينبغي لك يا أيها الانسان أن تكون إِمَّةً...
فمن هو الإِمَّة؟!
قالوا: هو الذي لا رأي له...
قلت: بل هو الذي لا ارادة له...
لأن الارادة هي باطن الامر كله...
ينبغي أن يكون لك ارادة... حرة... تتجه حيث شئت لها الاتجاه...
لأن الله تعالى... خلقك... ومنحك تلك الارادة الحرة... التي لها ان
تتيا من... او تتياسر...
ان تتجه الى اعلى... او الى اسفل...

ومن هنا كلّفك... وافترض عليك فروضا... فان اتجهت الى اعلى...
فإلى الجنة... وان اتجهت الى اسفل... فإلى النار... وارادتك هنا... في
هذه التجربة... تجربة الحياة... هي كل شيء...
فان فقدت الارادة... او عطلتها... ضعت... وضاع منك الامر
كله...

وان وجهت ارادتك... الى أعلى... الى الله... فأنت أنت.. لك عنده
ما شئت وزيادة...

وان وجهتها الى أسفل... الى الشيطان... فعليك ما عليك... ليس
عنده الا النار!!

تلك هي القضية... أخطر قضية... وذلك هو النبأ... أعظم نبأ!!
ومدارها كله... على الارادة... الارادة الحرة... التي لها أن تفعل ما
تشاء!!

فاذا قال رسول الله... ﷺ « لا تكونوا إمّعة... »
فإنما شعاعها... كونوا... أولي ارادة حرة...
أقيموا ارادتكم... واتجهوا بها حيث ينبغي أن يكون الاتجاه...
لان كينونتكم مكنونة في اقامة ارادتكم... فان ضيعتموها... ضعتم
الى الابد!!

ومتى كان الانسان ذا ارادة حرة... قائمة... نافذة...
كان ذا رأي... وذا فكرة... وذا علم... وذا تجربة... وذا كيان
مستقل...
وقامت وقتئذ شخصيته... وتحددت معالمها... وأثمرت شجرته
ثمارها...

اما اذا عاش إمّعة... لا ارادة حرة له...
لم تتميز له شخصية... ولم يقيم له بناء... ولم تنضج له ثمرة...
وانما عاش غثاء.. او هباء منشورا...

كانت أعماله بالتالي لا وزن لها.. ولا اعتبار لها... لأنها لم تصدر عن
ارادة قائمة... او نية معتبرة...

وذلك مكنون في قوله: ﴿وَقَدِّمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ
هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾...

(الفرقان ٢٣)

لأنها أعمال لم تصدر عن ارادة... متجهة الى ربها... وانما هي أعمال
لا يراد بها وجه الله...

وأقوى ما تكون الارادة... اذا اتجهت بها الى الله...
ذلك هو الصاروخ الذي ينطلق بها... الى أعلى عليين...
وكلما كان الاخلاص أكبر... كان الانطلاق أسرع... وكان الاجر
عنده تعالى أعظم...

ومن هنا ثقلت أعمال عند الله... وخفت أعمال...
وانما كان ذلك كذلك... على قدر الاخلاص... اخلاص النية لله...
ومتى تمركزت كينونتك على ذلك الاتجاه... كنت ذا ارادة خارقة...
لا تقهر... الا أن يشاء الله...

وذلك هو الانسان العظيم... عند الله...
والناس في ذلك استعدادات... ودرجات... ومقامات...
فالانبياء قوم أولو ارادة خارقة... فوق ما يطيق البشر...
لأنهم أوتوا... في قلوبهم... أنوارا... عظمى...
فاذا باراداتهم... قوة خارقة... وراء القوى الصاروخية...
تنطلق الى ربها... أسرع من الصوت... وأسرع من الضوء... وأسرع
من سرعة الملائكة...

ما ان يتجهوا اليه تعالى... بقلوبهم... حتى يكونوا عنده تعالى...
فوراً... فلا زمان... ولا مكان!!!
فاذا ما هبطنا من تلك المستويات... الى مستويات... اهل النور...

وجدنا المؤمنين... على تفاوت... في قوة الارادة... ودرجة الاخلاص...

ولقد اعتبر الخمسة... المشهورون... نوح... ابراهيم... موسى... عيسى... محمد... ﷺ... أنهم أولو العزم...
أي: اولو الارادة القوية... التي لا تلين في الحق أبدا...
ولذلك كانت شخصياتهم أقوى شخصيات الأنبياء...
لان ارادتهم اقوى الارادات... ولذلك سُموا أولي العزم من الرسل...
وعلى قدر قوة الارادة... ودرجة الاخلاص... تكون قوة الشخصية المؤمنة...

فايو بكر... مثلا... كان أفضل أصحاب... محمد ﷺ...
لانه كان أعظمهم ارادة... وأعلامهم درجة اخلاص...
وتتمثل عظمة ارادته... في موقفه من الذين منعوا الزكاة...
فقرر فوراً أن يقاتلهم... وانه خارج اليهم ولو وحده...
انظر تالأؤ شخصية أيي بكر... تالأؤ الارادة...
رجل يخالف الصحابة رأيه...

ثم يقرر انه لو اقتضى الامر... لخرج اليهم وحده!!!
هذه ارادة أيي بكر...

أقوى ارادة بعد رسول الله... ﷺ...
وهذه قوة الاخلاص... السارية فيها...

انه يريد الله... يريد ان ينطلق اليه تعالى...

ومتى قام ذلك بقلبه... انطلقت من فؤاده... انفجارات... لا تقف دونها الجبال!!

ولقد كان... فانصاع الجميع... لرأيه...

وقتل أهل الردة... أهل الظلام... وكانت وقفة... لولاها... لتغير وجه تاريخ الاسلام!!

الارادة اذن هي كل شيء...
وتحققها من الانسان هي أساس شخصيته...
ونوع اتجاهها... ونوع هدفها... أساس... الأمر عند الله تعالى...
ولذلك يتقدم... رسول الله... ﷺ... الى البشرية... فيكشف عن
مكونات النفوس...

فيقول: «تَقُولُونَ: اِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا...»
هذه هي الهاوية... التي ابتلعت أكثر الناس... فضاغوا... وضاعت
حياتهم هباء...

«تَقُولُونَ»... دائما يقول الانسان هذا!!
وتلك هي النبوة... حين تتلأأ بحقائق النفوس... كأنما هي تتحدث
عن نفسها!!
«اِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا»... اِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَعْمَالَهُمْ أَحْسَنًا
أَعْمَالَنَا...
«وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا»... وان اتجهوا الى الظلم... وان انحرفوا
انحرفنا...

انظر... شخصية ضائعة... لا رأي لها... ولا ارادة حرة لها...
وانما هي مسلوقة الارادة... اذا رأت احسانا من غيرها قلده... واذا
رأت اعوجاجا... تابعت على اعوجاجها!!
شخصية هابطة... لا كيان لها...
ثم يتلأأ... البدر المنير... في سماء الحياة كلها...
ويُوجِّه كل انسان... الى الطريق الصحيح... لبناء الشخصية
الصاعدة... الشخصية القوية... الصامدة... العالية... السامية... الفائزة
في الحياة الدنيا... وفي الحياة الآخرة...
فيقول: «وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ»... ركزوا ارادتكم دائما... اعزموا
دائما عزيمة لا تلين...

«إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تُظْلِمُوا»!!!

اي: اتجهوا دائما الى أعلى... الى الله...
ولا شأن لكم بالغير... فان أحسنوا فأحسنوا... وان أساءوا فلا
تظلموا... كما ظلّموا... فلا تنحرفوا كما انحرفوا...
وانما خط مستقيم... واردة حرة... منطلقة... الى أعلى... الى ربها
دائما...

ولا تلتفتوا الى الناس... أساء الناس أم أحسنوا...
وانما أحسنوا انتم دائما...
كونوا نورا... يرقى سريعا... في مقامات النور...
وكذلك اعطاك... رسول الله ﷺ... مفتاح شخصيتك..
فأنت تستطيع بهذا المفتاح... ان تنجو... وإن غرق كل الناس...
انت ارادة حرة... عليها ان تنطلق الى ربها... في أمرها كله...
اما الناس... أساءوا... أم أحسنوا... فلا شأن لك بهم...
وذلك هو سر الأسرار... ومطلع الأنوار... لكل من أراد بناء
شخصيته... بناء صحيحا... سليما... مباركا...
فكان خيرا... وبركة... ونعمة... أي نعمة... ذلك الحديث...
وحسبه خيرا... انه مفتاح كل شخصية...
وطريق الى بناء كل شخصية...
فوق ما هو مفتاح... الى شخصيته... ﷺ... أقوى... وأعظم...
شخصية!!!

سؤالان...
خطيران...!؟

سألوه... سؤالين...
فأجابهم... اجابتين...
فكانتا... بحرّين...
أولهما... بحر... الطريق الى عليين...
وثانيهما... بحر... التحذير... من الهبوط... الى اسفل سافلين...
وتلألأ البحران... وأشرقت الشمسسان... بعد ذلك... باشعاعات... لو
جلست البشرية أمامها... صفا صفا... ما فرغت من ادراك ما فيها من
علوم...

وليس ذاك الذي أقول... من باب التهويل... او التشويق...
وانما هو أقل... مما ينبغي أن يقال... في هذا المقام...
والى جميع... مستويات البشر...
الى الحائزين على أعلى الثقافات... والى من هم دون ذلك... تقدم
اعجب... واغرب... ما يمكن ان يصل اليه انسان... من العلوم...

«سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
«عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟
«فَقَالَ: تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ
«وَسُئِلَ: عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

«فَقَالَ: الْقَمُّ، وَالْفَرْجُ»

(أخرجه الترمذی)

والمعجز... في الاجابتين... انهما من جوامع الكلم... التي تتركز
فيهما الحقائق وتزدحم خلالهما الأمور...

ومع ذلك الازدحام... والتزاحم... تجد... نفسك فجأة أمام قطع من
النور المصفى... تتلأأ في سناء... وبهاء... وصفاء!!!

السؤال الاول: ما أكثر ما يُدخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟

الجواب فورا: ثَقَوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ!!!

السؤال الثاني: ما أكثر ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟

الجواب فورا: الْقَمُّ، وَالْفَرْجُ!!!

كَأَنَّ الْحَقِيقَةَ بَحْرٌ انطوى في قلبه... وهو يَعْرِفُ منه... متى شاء...
ويُلْقِي الى الناس!!!

ويستحيل... ثم يستحيل... أن يتأتى ذلك الا... لمحمد... رسول
الله صَلَّى الله عليه وسلّم...

ان الذي سألَه هذين السؤالين... قد أدى الى البشرية كلها.. خدمة
جليلة...

فليست الآخرة... الا احدى اثنتين... إما جنة ابداء... وإما نار ابداء...
إما سعادة ابداء... وإما شقاوة ابداء...

فكأن السائل سألَه: ما أكثر ما يُسعد الناس... وما أكثر ما يُشقى
الناس؟

واذا عَلِمَ أَنَّ بحث الانسان كله... يدور حول: كيف يسعد.. وكيف
لا يَشْقَى؟

... ادركنا الى اي مدى تبلغ خطورة هذين السؤالين...
فهما في رأيي... من اخطر الاسئلة التي القتها البشرية... على
الانبياء...

وجوابه عليهما... من أخطر الاجابات... التي أجاب الأنبياء...
فاذا تذكرنا ان المجيب... هو رسول الله... ﷺ...
وانه على ما هو... عليه... من المقام العظيم...
ادركنا اننا جميعا... سوف... نفيد كثيرا... من اجاباته... ﷺ...
السؤال مرة اخرى: ما اكثر ما يُدْخِلُ الناسَ الجنةَ ؟
الجواب: تَقْوَى الله...
فما هي « تَقْوَى الله » هذه... التي تُدْخِلُ الناسَ الجنةَ... أكثر من أي
سلوك آخر؟

وقبل ان نجيب على هذا السؤال... نحب إن نلفت الانظار... الى ان
هذه الكلمة ابتذلت... حتى مجتها الأسماع... من طول ما رُدَّدها
الناصحون... والواعظون... والكتابون... حتى فقدت مدلولها...
فما ان يسمعها السامعون... حتى تتبلد لسماعها المشاعر... وتتحجر
العقول...

ولقد رُدَّدها القرآن المجيد... كثيرا...
وردها رسول الله... ﷺ... كثيرا...
ثم جاء المسلمون... فأكثروا من ترديدها... حتى فقدوا...
مدلولها... وذهب تأثيرها في عقولهم وقلوبهم...
وشأن هذه الكلمة « تَقْوَى الله »... شأن كثير من آيات الله
المألوفة... كالشمس... والسماء... والارض...
فقد الناس مشاعرهم نحوها... لانها شيء مألوف... رأوه كثيرا...
وَالْفُؤُةُ دائماً... فلا قيمة له في انفسهم !!!

كذلك كلمة « التَّقْوَى » هذه... ابتليت بنفس الداء...
يردها الواعظ... فلا تحرك من الناس ساكنا... ولا تثير منهم
احساسا!!

الا اننا لا بد لنا من العود الى حقيقتها... لانها قانون طبيعي.. لكل من
أراد أن يحقق السعادة لنفسه... في هذه الحياة...
ولا بد كي نعيد الحياة الى الكلمة... من نبذ المصطلحات اللغوية...
التي قيلت في تعريفها...
كأن قالوا: التقوى، هي ان يجعل المرء بينه وبين عذاب الله وقاية...
فتلك قشور... لا تصل الى قلوب الناس... لا بد اذا من الغوص الى
اعماقها...

ولا بد من التماس مكنوناتها...
والمفتاح الى ذلك كله... قوله... صلى الله عليه وسلم: التقوى ها هنا... التقوى ها
هنا... التقوى ها هنا...

وهو يشير الى صدره...
هذه هي أعماق القضية...
التقوى في القلب...
ولكن ما هو مكنون ذلك التوجيه؟
مكنونه عجيب جدا...
إن قلب الانسان... يتقلب بين اتجاهين اثنين...
إما أن يكون اتجاهه الى الله... الى النور... الى أعلى...
وإما أن يكون اتجاهه الى ما سوى الله... الى الظلمات... الى
أسفل...

وهذا مكنون في «القلوب بين أصبعين، من أصابع الرحمن، يقلبها كيف
يشاء !!»

ولذلك كان الدعاء «يا مُقَلِّبَ القلوب... ثَبِّتْ قلبي على دينك...»
اي: ثَبِّتْ اتجاه قلبي نحوك!!!
اذا علم ذلك الناموس... ادركنا سر تسمية القلب بالقلب... لانه
يتقلب بين أعلى وأسفل... بين النور... والظلمات...

فاذا ما كان القلب متجهاً إلى الله... إلى أعلى... فهو في مقام
 النور... وإذا كان العكس... متجهاً إلى أسفل... فهو في الظلمات...
 فاذا ما تلاؤمت تلك الحقائق... فالقلب المتجه إلى الله... هو القلب
 التقى... والقلب المتجه إلى الظلمات... هو القلب الغير تقى...
 ويتفرع على ذلك ان حقيقة التقوى ان يكون القلب متجهاً إلى ربه...
 وان عكس التقوى... أن يكون متجهاً إلى غير الله...
 فاذا ما قال... ﷺ: تَقْوَى اللَّهِ... انطلق منها بحر... متلاطم... من
 اشعاعات الحقائق...
 فمن اتجه بقلبه إلى ربه... استتبع حتما... ان يهجر المعاصي... ما
 ظهر منها وما بطن...
 واستتبع ذلك اجلال وتعظيم لربه... فهو يخشاه... ويخشى أن
 يعصيه...
 واستتبع أيضاً... مسارعته إلى امثال أوامره... واجتناب نواهيه...
 واستتبع استبابة الخيرات... تقرباً... ورُقياً بنفسه إلى أعلى...
 واتجاه القلب إلى الله... لا يتيسر خالصاً... لأحد... إلا بانسلاخه من
 معاصيه... من ظلماته...
 ومتى هجر الانسان المعاصي... دخل فوراً إلى أول مقامات النور...
 وخرج فوراً من ظلماته...
 ومتى كان الانسان كذلك... فهو في مقامات النور... وهو في
 الدنيا... أي في الجنة... وهو في الحياة الدنيا...
 فاذا ما مات... وكانت الساعة... كان مؤهلاً لدخول الجنة..
 انها نواميس أوتوماتيكية... يحمل كل ناموس... مقدماته ونتائجه
 الحتمية... نواميس أحكامها الحكيم سبحانه وتعالى...
 فإذا ما سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة...
 فقال: « تَقْوَى اللَّهِ »...

واذا ما نظرنا الى ذلك الجواب المحكم... من خلال تلك العدسات... استطعنا أن ندرك ان الجواب حقا... جاء معجزا... لا يستطيعه الا... خير نبي!!!

أما الشطر الثاني... من الجواب... وهو قوله: وَحُسْنُ الْخُلُقِ... فأعجب... وأعجب!!

فقد يكون الانسان تقيا... يحجز نفسه عن المعاصي... وعما لا يرضي الله... ولكنه يقف عند هذا الحد... لا يتعداه الى غيره من الناس... أي انه انسان سلبى... لا يضر الناس... ولا يرتكب معصية... هذا وحده... لا يؤهله لدخول الجنة... وانما ينبغي أن يكون ايجابيا... مع المجتمع...

ينبغي أن يفعل الخير للناس... وأن يؤدي اليهم ما ينفعهم... وهذا هو المراد بحُسْنِ الْخُلُقِ... هو أن يتعامل... ويتفاعل.. مع الناس... بخُلُقٍ حَسَنٍ...

بأحسن أساليب المعاملة... وأرقى الأخلاق... يومئذ يجمع بين الكف عن الشر... وعمل الخير... فهو الانسان المتكامل... المؤهل في دنياه... لدخول مقامات النور التي تؤهله... لدخول الجنة في أخرها...

وأرقى أنواع الاخلاق... هي ما أمر به الله تعالى عباده... لذلك كان أعظم الناس خُلُقًا... هو أعظمهم امتثالا لتلك الأوامر... وهو محمد... ﷺ...

فنودي: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

(القلم ٤)

ومعنى هذا ان الاخلاق المعتبرة عند الله... هي ما أمر به عباده... وأعظم الناس حظا منها... أعظمهم امتثالا لها... ويمكنون ذلك ان الذي يتخلق تنفيذا لامر الله... انما يتعبد بذلك

التخلق... أي ان قلبه يتجه الى الله اثناء ادائه لذلك التخلق...
فقلبه في مقامات النور... فهو مؤهل للجنة...
وهذا هو السر في ان الذي يتخلق لمجرد الاخلاق الفاضلة... قد لا
يكون لتخلقه هذا اثر عند الله...
لانه لم يرد بأخلاقه الحسنة التوجه الى الله...
وانما مجرد التعامل الحسن...
فالمدار كله على القلوب...
وهذا هو لإحكام الجواب... على أخطر سؤال...
فكأنه يراد أن يقال: إن أكثر ما يدخلك الجنة، أن تكون تقيا... وذا
تُحَلَّقُ حَسَنَ...
وان ذلك كله لا يتأتى لك... الا اذا توجهت بقلبك الى الله دائما...
وهكذا ربط بين ظاهر السلوك... وباطن السلوك...
وهذا هو الإعجاز... الذي لا يتأتى الا له وحده!!!

السؤال الثاني: ما أكثر ما يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟
أو: ما أكثر ما يُشْقِي النَّاسَ؟
لان دخول النار... ذروة الشقاء... والحد الاقصى للخسران... في
هذه الحياة...

الجواب: الفَمُّ، وَالْفَرْجُ!!
هاتان هما البالوعتان... اللتان... يتهاوى فيهما... أكثر الناس...
فيجدون في قاعهما... ظلما... ونارا وقودها الناس والحجارة!!
والإعجاز في هذه الاجابة... انها مكونة من كلمتين اثنتين... لا ثلاثة
لهما...

ومع هذا... كانتا فصل الخطاب... في أخطر جواب!!
فهل الفم، والفرج... شر مطلق... يؤدي الى النار؟

أو ما هي أعماق تلك القضية الكبرى؟
الحق أن الفم... نعمة من نعم الله تعالى على كل انسان...
قال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۚ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.
(البلد ٨ و ٩)

واللسان... والشفتان... تعبير عن نعمة الفم...
والامتنان... على الانسان... بهما امتنان بنعمة الفم...
كما ان الفرج... نعمة من نعم الله على الانسان... ذكرا كان أم
أنثى...

فالعضو التناسلي... نعمة على الرجل... ونعمة على المرأة...
لانه مدار التناسل... ومدار المتعة الجنسية... وقرارها...
فلماذا اذن كانت هاتان النعمتان... أكثر ما يدخل الناس النار؟
المراد ما فيهما من شهوات... من غرائز بهيمية...
فالفم ظاهر... باطنه... شهوة الطعام والشراب... شهوة حفظ
النوع... غريزة حفظ النوع...
وهي أقوى الغرائز في البشر على الإطلاق...
تلازمه من مولده الى مماته...
فلا يوجد انسان على الأرض... يستطيع أن يعيش لحظة... بدون
امداد من طعام أو شراب...
هذه التغذية... طريقها الفم...
فالفم يراد به تلك الغريزة...
وهذه الغريزة... جعلها الله في الانسان... لحفظ نوعه... فلولها ما
تسلسل الجنس البشري... ولانقرض... وذهب...
فالغريزة في حد ذاتها خير... ونعمة على الانسان...
كما ان الفرج ظاهر يراد به... الشهوة الجنسية... الغريزة الجنسية...

وهذه الغريزة... جعلها الله تعالى... في الذكر والأنثى... حفظا
لا استمرار الجنس كذلك...

فهي سبب التوالد... والتناسل... وهذه السلسلة المباركة... من
الآدميين...

فهي في حد ذاتها خير... وبركة... للذكور والإناث على السواء...
وهاتان الغريزتان... هما اللتان تحركان... الحياة البشرية بأكملها...
فما من انسان الا وتحركه الغريزة النوعية... والغريزة الجنسية...
فلا بد لكل انسان... أن يأكل ويشرب...
كما لا بد لكل انسان بالغ... أن يشبع غريزة الجنس من نفسه...
ولقد بالغ بعض علماء النفس... حتى نسبوا جميع تصرفات الانسان
الى غريزة الجنس...

فجاؤوا بشطط بعيد... وتجاوزوا الصواب من الأمر...
ولكن الحق ما جاء به رسول الله ﷺ...
أن هاتين الغريزتين نعمة وخير... مكنونتان في كل انسان...
وإذا ما قضى الإنسان شهوته... فيما أحل الله له... فلا جناح عليه...
بل هو يثاب على ذلك... ويسجل عند الله أجرا!!!
وحسبنا في هذا المقام... ان رسول الله ﷺ... اعتبر السعي على
النفس... أو الابوين... أو العيال... جهادا في سبيل الله!!
كما اعتبر قضاء الحاجة من الزوجة... في حلال... طريقا الى ثواب
الله!!

فلماذا اذن كان الفم والفرج أكثر ما يدخل الناس النار؟!
الجواب: اذا كانا سببا في وقوع الانسان فيما حرم الله عليه...
وها هنا العقدة الخطيرة!!
إذا أشبعهما الإنسان في حدود ما أحل الله تعالى...
فإذا ما أكل الإنسان طيباً... وشرب طيباً... فلا جناح عليه...

فالشهوات... أو الغرائز... هي أكبر دافع يدفع الانسان الى الانهيار...
والهبوط.. الى أسفل...

وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ
تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾.

(التين ٤ و ٥)

واحسن تقويم... هو استعداداه للترقي الى أعلى...
ورده الى أسفل سافلين... هو استعداداه للهبوط الى أبعد مهابط
التسافل... باتباع الشهوات... حتى ينحدر الى مستوى أقل من البهائم...
الى أسفل سافلين...

والشهوات اذا سيطرت على الانسان... قد تدفعه الى ارتكاب ما لا
ينحدر اليه الحيوان!!!

فالقم، والفرج، خير ونعمة، ما داما في حدود ما أحل الله تعالى
ولكنهما طريق النار... اذا دفعا الانسان الى الخروج عن حدود الله... الى
الانحراف... بلغة العصر الحديث...

والتجربة... والواقع... تؤكدان ان أخطر المزالق... منزلق
الشهوات...

فكم من الرجال... وكم من النساء... انصرفوا عن الخط المستقيم...
اندفاعا وراء الحصول على المال... مهما كانت الوسيلة... ومهما
كان الاسلوب...

وما المال الا وسيلة لتحقيق مآرب الغريزتين... حفظ النوع...
والجنس... القم... والفرج...

ولهايتين الشهوتين... سلطان عجيب... على النفوس..
فكم من الأشرار... تهاوت... تحت تأثيرهما...
وتجد ذلك مكنونا في فلسفة فريضة الصيام...

تلك الفريضة... التي جاءت لتكسر من حدة هاتين الشهوتين في
الانسان...

فحرمت عليه الطعام... والجماع طيلة يوم رمضان...
لتهذب من سلوك الانسان... وتعوده السيطرة عليهما...
ولست أفيض في وسائل الشريعة... في تحديد حدود الحلال
والحرام... في هاتين الغريزتين...
فذلك أمر منتشر في ثنايا الشريعة... انتشارا صريحا...
وانما الذي يلزمنا هنا... هو العلم بان الانحراف... في تحقيق مآربهما
هو الذي يهبط بالانسان... الى الظلمات... ويخرجه من النور... من
أحسن تقويم...

ومتى خرج الانسان من النور... الى الظلمات... فقد هوى...
هوى الى النار... وهو في الحياة الدنيا...
ولم يبق على دخوله اياها... الا مفارقة هذه الحياة!!
هذان هما السؤالان... الخطيران...
وهذان هما الجوابان... الخطيران...
نطق بهما رسول الله... ﷺ... فأجرى بنُطْقِه بحرين من بحار
الحقيقة...

البحر الاول... بحر من نور... تجري فيه سفيتان... سفينة تقوى
الله... وسفينة حُسنِ الخُلُق...
فمن أراد... الجنة... فعليه أن يركبهما...
والبحر الثاني... بحر من نور... كذلك...
فيه تحذير... لكل نفس... أن تدخل بحر الظلمات... وتركب
مراكبه... مراكب الشهوات...
والا سقطت في النهاية... الى الجحيم!!
فتأمل... كيف فصل... في القضية... وكيف حَكَمَ؟

ثم تفكّر... بعد ذلك... كيف كانت تلك الشخصية... وكيف أوتيت
من كل شيء ١١٩

إِنَّ اللَّهَ...
يُحِبُّ الْجَمَالَ...؟!

لم يُعْرَدَ بَشَرٌ...
ولم يترنم انسان...
ولم تصدح... بلابل... فؤاد...
بجمال... وجلال... الباري...
بمثل ما غرّد... وترنم... وصدح... قلب محمد... ﷺ...
وأجمل... وأرقى... وأحلى... وأغلى ما تكون أغاريد... وترانيمه...
حين تتموج من قلبه الشريف... موجات الثناء على ربه... والتحدث عن
الهـ... الذي أبدعه... وصوّره... وبعثه... هدية... للعالمين!!
وأغاريد... ليست من نوع أغاريد البلابل... وان كان فيها من نور
فطرتها... وجمال استسلامها لربها... الذي يرزقها...
وانما هي أغاريد... من رأى بعيني قلبه... وشهد ما لم يشهده أحد
سواه
فجاءت أعلى... أغاريد... في الوجود... تموجت الى بارئ
الوجود...
فسبحان الذي أبدع... عبداً... بشراً... وأراه من ذاته... وصفاته...
وأسمائه... تبارك وتعالى...
ما جعله أهلاً... لأن يتحدث الى الناس... عن ربهم... سبحانه...

وَيُعَرِّدُ بِاسْمِ رَبِّهِ... فَيَكُونُ تَغْرِيدَهُ... نَمَازِجَ تَحْتَذِي... مِنَ الْعَارِفِينَ...
وَتَتَّبِعُ مِنَ الْوَاصِلِينَ...

ويجد كل مشرب فيها... بَحْرَهُ... الذي يسبح فؤاده... فيه...!!
ومن تلك الأغاريد... تلك الأغرودة... التي أطلقها رسول الله...
ﷺ... فجاءت ناموسا فذا... كشف للناس عن سر من أسرار
الالوهية...

«عن النبي ﷺ قَالَ:

«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، مِنْ كِبَرٍ...
«وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ — يَعْنِي — مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ، مِنْ إِيْمَانٍ...»
«فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنَةً؟
«قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ.
«وَلَكِنَّ الْكِبْرَ، مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَصَ النَّاسَ».

(أخرجه الترمذي)

قال بعض أهل العلم، في تفسير هذا الحديث: لا يدخل النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من إيمان، إنما معناه لا يُخَلَّدُ في النار، وهكذا...
والأغرودة كامنة في قوله: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ»
والناموس كامن في قوله: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ
ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ»
والناموس الثاني... والخطر... كامن في قوله: «وَلَكِنَّ الْكِبْرَ، مَنْ
بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَصَ النَّاسَ».

في الأغرودة... بحر... من بحر... الموسيقى... القدسية... ومفتاح
إلى شخصية محمد... ﷺ...

وَأَنَّ النَّبِيَّ... كَانَ أَعْظَمَ إِنْسَانٍ... وَأَكْمَلَ إِنْسَانٍ... وَأَرْقَى إِنْسَانٍ...
يَنْبِئُهُ الْخَلْقُ... إِلَى جَمَالِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ...
وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ جَمِيلٌ... وَيُحِبُّ الْجَمَالَ...

وجمال الله... سبحانه وتعالى... هو الجمال الذي لا تدركه
الآبصار... ولا تبلغه العقول...

لان ذاته سبحانه... فوق التصور... وفوق الادراك... وفوق
الاحاطة...

ولو قد أدرك الخلق شيئا... عن جماله سبحانه وتعالى... لطاشت
منهم العقول... وتلاشت منهم القلوب... تسيبها وتنزيها... وتعظيما...
وأنسا... ومحبة... وطربا...

وشأن الذات... يستحيل التحليق الى حقائقها...
وكذلك الصفات والأسماء... فإنها كذلك فوق العقول...
فصفه الخلاق... أو اسم الخلاق... ماذا يدري عنها الانسان.. أكثر
من انه تعالى يخلق دائما... بلا توقف...

لا يدري شيئا!!!
والا فليحدثنا أعلم علماء البيولوجيا: كيف يَخْلُقُ الله.. وكيف يُتَمُّ بناء
الكائنات؟

لا شيء... عندهم... انه سر مكنون...
تعلم ظواهره... ولا تدرك بواطنه!!!
بقيت أفعال الله تعالى... وهذه قد يكون ممكنا... أن يدرك الانسان
عنها شيئا... جزئيا... ولكنه يقف أمام كليات الافعال عاجزا... لانه لا
يحيط بها علما... في عمومها...

فالله تعالى جميل الذات... جميل الصفات... جميل الأفعال
وكل اولئك... يعجز العقل...
عن ادراك شيء منها...
قال الأقدمون: قال النبي ﷺ: قال الله: (الكبرياء ردائي، والعظمة
إزاري، من نازعني واحدا منهما قصمته).
وقالوا في شرحه:

«ما يلبسه الانسان، إما أن يكون للامتهان والبذلة كالنعل
 «او للتجميل كالرداء
 «ولما كانت الكبرياء مما لا يليق الا به منع منها
 «وتحقيق القول أن الباري جميل، محتجب
 «أما جماله، فبأنه لا مثل له
 «وأما حجابيه، فلأنه لا يحاط به
 «فضرب لذلك مثلاً، الرداء للجمال، والإزار للستر، وحجب ما وراءه
 من الباطن.
 « والباري عالم، وأذن في ذلك لأن العلم نافع، والكبر ضار، فمنع من
 الضرر لنفسه أو لغيره...
 وحين قال رسول الله... ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ
 انما يُوجِّه البشرية... كلها... أن تتجه بقلوبها... الى الجمال
 الالهي... الذي ليس كمثله جمال...
 وحين تكون قبلة القلوب... الجمال... يورثها ذلك حبا للجمال...
 وحبا لفعل الأعمال الجميلة...
 فبينما هي أغرودة... اذا هي اشعاع... يضيء للعالمين... أوسع
 سبيل... تسلكه الى ربها... الجميل... سبحانه... ويفتح لنا ذلك
 التفريد... أبوابا الى الشخصية...
 انها كانت جميلة... لأن الجميل... لا يبعث الا الجميل... رسولا...
 وانها كانت كذلك تُحِبُّ الجمال... لأن الله الذي بعثها... يُحِبُّ
 الجمال...
 وانها كانت تعرف من الجمال... أعلى مقامات الجمال...
 فالجمال عندها... هو الجمال المطلق... الدائم... الباقي... الذي لا
 يزول... ولا يحول... ولا يضمحل...

وان الشخصية التي هذا هو ذوقها... يستحيل أن تركز الى جمال...
مستواه أقل من ذلك الجمال...

أعني ان رسول الله... ﷺ الذي عرف جمال الله... وعاش مفردا
به... يستحيل أن يقف ذوقه عند جمال حسي محدود... مهما كان
الجمال الحسي... ومهما كانت أفانيته... وأنواعه...

وهذا يفسر... أن رسول الله... ﷺ...

لم يك قلبه يركز الى شيء من الدنيا...

لا الى جمال امرأة... ولا الى جمال سلطة... ولا الى جمال قيادة...
ولا الى جمال الدنيا بما فيها...

يستحيل أن يركز قلبه الى شيء من ذلك...

لان ذلك كله جمال محدود... حسي... ينتهي... ويفنى...

وقلبه قد تذوق... الجمال اللانهائي... الغير محدود... الذي لا
يفنى... ولا يزول...

ومن ذاق ما هو أعلى... استحال عليه أن يركز الى ما هو أدنى...

وهذا مفتاح... خطير... من مفاتيح تلك الشخصية... العظمى...

فالذين يعجبون كيف يعيش محمد... ﷺ في الدنيا... وليس في
قلبه شيء منها...

يزول عجبهم... وينقضي... حين يعلمون تلك الحقيقة...

أن النبي... أعظم نبي... قد تعود على مستوى آخر...

مستوى الجمال الالهي... الذي يتلاشى... من دونه كل جمال...

حتى الجنة... بما فيها من مقامات الجمال الأبدي...

لانه أحب جمال الحق... سبحانه... وعرفه... فاستحال عليه... أن

يركن... الى شيء دون ذلك المستوى!..

وحين يُعَرِّدُ محمد... ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ...

انما يهتف بالبشرية... أن ترتفع بأحاسيسها... وذوقها... الى ما هو
أعلى... وأعلى... وأعلى...
انما ينبهها أن هناك جمالا... فوق ما يالفون... وما يُجِبُّون... وما
يفتتنون...

هناك جمال الله... الذي ينبغي أن يتوجهوا جميعا اليه...
ومتى ذقت القلوب... ذلك المذاق...
تاقت الى ذلك الجمال...
وارتقت صُعُدا في مقامات النور...
وخرجت من ظلمات الشهوات... التي سَوَّلَتْ لها حُبَّ الجمال
الفاني...
فزكت بذلك النفوس... وارتقت وما زالت ترقى... على قدر
استعدادها...

فليتأمل... كل انسان... كيف يَنْطِقُ ذلك النبي الأعظم؟
وكيف يكون نُطقه... وحيًا يُوحى؟
وكيف يكمن... فيما نطق... من المكنونات... ما إنَّ تفجَّرت...
ذَرَّات أنواره... لانطلقت منها طاقات رهيبه... عجيبة... تملأ الوجود
نورا... وضياء؟!
وأنَّ ذلك كله... أمكن له أن يخرج في كلمات معدودات: إِنَّ الله
يُحِبُّ الجمال!!!

ذلك شيء... عن الأغرودة... فماذا عن الناموس؟
أعجب... وأغرب... وأعمق...
قول: «لا يَدْخُلُ الجنةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ».
وقوله: «ولا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ».
ولقد اختلفوا في فهم ذلك الناموس... لانه خطير... يهدد كل انسان
في كيانه... ومستقبله...

فكون النار محرمة على المؤمن... والجنة محرمة على المتكبر... أمر خطير جدا...

وعندي انه بالغوص الى الاعماق... نستطيع باذن الله... أن نستخرج اللؤلؤة... التي هي الاصل العام... لذلك الناموس كله... لا يدخل الجنة، مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ... لماذا؟

وهل ذرّة من كبر... في القلب... تحرم على الانسان دخول الجنة؟ لماذا؟!!

لأنّ الكبر... في أعماقه... هو التكبر على الله... والتكبر على الله... هو رفض الايمان به... رفض التصديق بوجوده... رفض تنزيهه... رفض السجود له... رفض الايمان بمقاديره... رفض الانصياع لأوامره... رفض الانتهاء عن نواهيه... كل ذلك مصدره الكبر... وهو أخطر مرض يصيب القلب...

فالتكبر... قلب منكوس... وجهه الى الشيطان... لان الشيطان أصل التكبر...

فهو قلب في الظلمات... ومتى كان القلب في الظلمات... فهو خارج مناطق النور...

فهو في دركات جهنم وهو في الدنيا... وليس بينه وبينها الا الانتقال الى الآخرة...

فهناك استحالة أن يدخل ذلك القلب الجنة... لانه متجه الى أسفل... الى الظلام... الى الشيطان... فهو قلب مظلّم... ومستحيل أن يدخل الجنة... الا أن يحدث به انقلاب...

فينقلب من الاتجاه الى أسفل... الى الاتجاه الى الله...
وهو ما يسمى بالتوبة...
ولو قد فعل... لخرج من ظلماته فوراً... ودخل مقام النور فوراً...
يومئذ... يصبح مؤهلاً لدخول الجنة!!!
ولا يهم أن يكون القلب فيه قليل من الكبر... أو كثير...
فيكفي أن يكون فيه ذرة من كبر...
فان وجود ذرة من الكبر... معناه ان القلب متجه الى الشيطان... لا
الى الله...

وان كان في بداية الظلمات...
وكلما زاد الكبر... زاد هبوطه في الظلمات... وبُعدّه عن الله...
وذلك كله مكنون في قوله... في نفس الحديث: «الكِبَرُ مَنْ بَطَرَ
الحَقُّ»...

أي: رفض الحق... رفض قلبه الحق المنزل من الله...
لان قلبه منكر لله... منكر لأوامره...
ويبدو الإعجاز في الناموس في قوله: «مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ...»
لان القلب هو مصدر الأمر كله...
لم يقل في نفسه... وانما في «قَلْبِهِ»...
وتتلاً أنوار الناموس... صافية... عالية... بعد وضوح تلك
الحقائق...

أنّ مثقال ذرة من كبر في القلب... يُحرّم دخول الجنة...
أقل ما يتصور من الكبر... مجرد تحول القلب عن الله...
مجرد انعكاس... وانعكاس اتجاه القلب!!!
ما أعظم رسول الله... ثم ما أعظم رسول الله... ﷺ!!!
والشطر الثاني من الناموس: «لا يدخُل النار مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مثقالُ
ذرةٍ مِنْ إيمانٍ»...

لماذا؟

أمن أجل ذرة من إيمان في القلب... تحرم النار على الانسان... وتفتح له أبواب الجنة!!

ما أيسر هذا وأهونه... فما من انسان الا وفي قلبه ذرة من إيمان!!!
وهنا... تنادي أنوار رسول الله ﷺ بأعلى مسوتها: مكانكم...
أيها الجاهلون... ان الامر... وراء ما تظنون!!!
وأعماق القضية... لها سر... وسرها... أن الإيمان هو توجه القلب الى الله...

أن يكون وجهة القلب... الله... سبحانه...
ومتى كان القلب متجها الى الله... دخل الى مقامات النور فوراً...
بمجرد اتجاؤه هذا... وخرج اوتوماتيكيا من الظلمات...
وهذا يفسر قوله: « مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ... »
أقل ما يتصور من إيمان... لانه بمجرد توجه القلب الى الله... وهو ما يسمى بالايمان...

بمجرد حدوث هذا... انتقل القلب فوراً من الظلمات الى النور...
ومتى دخل القلب الى مقامات النور... ولو كان في أول درجاتها...
فهو مؤهل لدخول الجنة... وليس بينه وبينها الا الانتقال الى الآخرة...
واليك أسرار الناموس... مركزة تركيزاً عظيماً...
أَنْ مَنْ مَاتَ وَقَلْبُهُ مُتَّجِهُ إِلَى اللَّهِ لَا يَدْخُلُ النَّارَ...
أَنْ مَنْ مَاتَ وَقَلْبُهُ مُتَّجِهُ إِلَى الشَّيْطَانِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ...
أي من مات مؤمناً دخل الجنة...
ومن مات كافراً دخل النار...
فهل يمكن لشخصية غير شخصية محمد ﷺ أن تطلق تلك
النواميس العُلى؟!

كلا ثم كلا... ان ذلك لهو المقام العظيم... مقام محمد... ﷺ...
العظيم!!!

هذا ناموس... فماذا عن الناموس الثاني؟
لعله أخطر... وأخطر... من أخيه... الناموس الأول...
لأنه ناموس... فيه أصول عامة... في علم النفس...
واشعاعات... نفاذة... الى أعماق القلوب... وخفاياها...
يقول: «وَلَكِنَّ الْكَبِيرُ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ، وَغَمَصَ النَّاسَ»...
هذا هو تشخيص... رسول الله... ﷺ... لذلك المرض القلبي...
الخطير... مرض الكبير... الذي يُحَرِّم وجود ذرة منه في القلب... دخول
الجنة؟!

مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ؟!...
المتكبر من رفض الحق...
فهو يرفض قبول فكرة «الله»... الذي هو الحق المبين...
ويراها عبثا... وأساطير الأقدمين!!
ويرفض قبول فكرة «الرُّسُل»... الذين هم الحق من ربهم... يبلغون
رسالات الحق... الى الناس...
ويراها خرافة... لا يليق بعاقل أن يعتقدوها!!!
ويرفض قبول الأوامر والنواهي الإلهية... التي هي أوامر حق... ونواهي
حق...

ويرى التقيد بها... تحجيرا للعقول... وتدخل في حرية الانسان!!!
ويرفض أن يرى لأحد من الناس حقا... قَبْلَ حقه...
فهو لا يؤدي اليهم حقوقهم... وعلى استعداد دائما لأن يتلعب ما لهم
لديه ابتلاعا!!

«وَعَمَصَ النَّاسَ» أنكر قَدْرَهُم... وحقوقهم... وذهب ينتقصهم...
ويعيبهم... الا نفسه... فهي في نظره أحسن الناس... وخير الناس!!!

وذلك كله مصدره... ان قلبه... متجه الى أسفل... الى الشيطان...
فهو يعبد الشيطان... والشيطان ينفث في قلبه... من خبائثه...
وأخبت خبائث الشيطان... هو الكبر...
كان الكبر معصية الشيطان الكبرى... حين صاح... في صوب
ملعون... ﴿... أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾...
(ص ٧٦)

أنا؟!!

هذه الأنا... انه يعبد نفسه... يدور في فلك نفسه...
هذه الأنا المدمرة... التي هي مصدر الكبر كله...
﴿خَيْرٌ مِنْهُ﴾ خير من آدم... خير من غيري...
وهذا هو معنى « غَمَصَ النَّاسَ »... يرى غيره دائما أقل منه... ويرى
نفسه دائما خيرا منهم...
والمتكبر... قلب مظلم... في دركات الظلام... يهوي فيها بعيدا...
والشيطان ينفث، وينفخ... في قلبه تلك السموم...
مثل هذا الانسان... مستحيل أن يدخل الجنة، ولو كان ما في قلبه من
الكبر، مثقال ذرة!!!

ان مجرد انقلاب قلبه... واتجاهه الى أسفل...
معناه دخوله أوتوماتيكيا... الى الظلمات...
والظلمات... طريق النار... ونهايتها جهنم!!!
فانظر كيف جمع رسول الله... ﷺ... في كلمات معدودات صفة
ربه تبارك وتعالى... حين قال: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ»...
وأذاع ناموسا خالدا... حين قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ
مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ...»
وناموسا ثانيا: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ
إِيمَانٍ»...

فاستفهم أحد أصحابه: « إِنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا... وَنَعْلِي حَسَنَةً ۚ؟ »...

فأفهمه ان الامر أعمق من المظاهر... فإن المظهر الحسن، مما يُحِبُّ الله تعالى...

فأجابه: « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْجَمَالَ »...

ثم تلاً بأعظم ناموس من نواميس علم النفس...
والقى بنوره الى أعماق النفوس وقال: « وَلَكِنَّ الْكِبْرَ مَنْ بَطَرَ الْحَقَّ وَغَمَصَ النَّاسَ !!! »

فكانت قصة... خاطفة... شعت اشعاعاتها... في الوجود...
خاطفة...

كل ذلك منه... كأنما هو بحر من النور... كلما سأل سائل... ألقى اليه... بالشراب الذي يناسبه... من ذلك البحر...

والكل يشرب... والبحر لا ينفد!!!
كالشمس تشرق... فيأخذ من على الارض... من شعاعها... وهي هي... لا ينقص من نورها شيئاً!!!
فكيف بشمس القلوب...

أم كيف بالكوكب الدُرِّي... الذي يوقد من شجرة مباركة... زيتونة... لا شرقية... ولا غربية...

الكوكب الذي لا يغيب... وانما هو في شروق دائم!!
ويوم تقوم الساعة... تزول الشمس... ويذهب نورها... وتبدد...
وتفنى... مع فناء السماوات والارض...

ولكن محمداً... ﷺ... يومئذ... يشرق اشراقه الكامل... وتتلأأ حقيقته العليا...

ويتطلع اليه الخلق جميعاً...

ويتهامون جميعاً: ذاك محمد... ذاك محمد... ذاك محمد!!!

ليس بينها...

وبين الله...

حجاب... ؟

ما هو هذا الحجاب... الذي يتحدث عنه... ﷺ...؟
يقولون: هو السد... او الساتر... الذي يستر الشيء... او المانع الذي
يمنع وصول الشيء...
ولكن هذه تعبيرات ظاهرة... لها حقيقة... فما هي حقيقة الحجاب؟
هو عدم وصول الموجه الصادرة من قلب الانسان... الى الله سبحانه
وتعالى...

والقلب اذا اتجه الى الله... مؤمنا بالله...
ثم سأل الله تعالى... طار الدعاء الى ربه... ورفع اليه سبحانه...
فما معنى ذلك بلغة العصر الحديث؟
القلب المؤمن... تصدر عنه موجات من النور... موجات عالية...
والقلب الكافر... تصدر عنه موجات من الظلام... موجات
منخفضة... لا ترتفع عن الارض...
وتجد ذلك مكنونا في قوله تعالى: ﴿...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ،
وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾.

(فاطر ١٠)

وقوله ﴿... وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾

(الرعد ١٤)

أي لا يجاوز اشخاصهم... ويهبط الى الارض... ولا يرتفع الى السماء...

اما الكلم الطيب... الصادر عن قلوب مؤمنة... فيرتفع اليه... ويشق طريقه صاعدا...

وانما يقرب ذلك الى افهامنا...

موجات الراديو... فهناك موجات طويلة... وموجات متوسطة... وموجات قصيرة...

وهناك ذبذبات معينة... لكل موجة...

وجهاز الراديو... ينقل اليك الموجة التي تريدها... اذا أدت المفتاح عليها...

فلو أدركته على الموجة المتوسطة... حُجِبَتْ غيرها من الموجات... أي منعت وصولها الى سمعك...

والدعاء... في حقيقته... هو توجه القلب الى الله... القلب المؤمن بالله...

ففي حالة الدعاء... يدار القلب... الجهاز... ليذيع موجة معينة...

وعلى قدر الاخلاص... والايمان... تكون هذه الموجة...

وموجات القلب... المؤمن... نور... عالي الشفافية... جدا... جدا...

فاذا دعا الانسان... معنى هذا ان هناك موجة ما... من النور... ارسلت في الوجود...

فاذا كانت عالية الشفافية... شقت طريقها... في أقل من لمح البصر... الى الله...

واذا كانت الموجة غير خالصة لله... اي يشوبها ظلام... بطلت... ولم تستطع الصعود... وهبطت الى الارض...

وذلك مكنون في قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ﴾...

يخلق الى أعلى سريعا...
فحقيقة الحجاب... هو المانع الذي يمنع صعود موجة النور الصادرة
من القلب...

ولقد جاء في نصوص صريحة... ما يشير الى تلك الحقيقة...
كذلك النص الذي فيه: «يقول أحدكم يا رب، يارب... ومطعمه
حرام... ومشربه حرام، وملبسه حرام، وقد غذي بالحرام، أنى يستجاب
له؟! — أو كما قال —

هناك استحالة أن يستجاب لذلك الانسان...
لماذا؟!... لانه يأكل حراما، ويشرب حراما، ويلبس حراما، وتكون
خلاياه من حرام...

ولكن ما دخل ذلك في الدعاء؟
لذلك حقيقة... هو أن الذي هذا شأنه... قلبه منكوس... منقلب الى
أسفل...

قلبه في الظلمات... قلبه يتجه الى الشيطان... وليس الى الله...
فاذا ما دعا وسأل... صدرت موجاته من ظلام... ليس فيها نور... فلا
تصعد الى أعلى... وانما تهبط الى أسفل...

وهذا مكنون قوله: « أنى يُستجاب له »؟!
ومكنون قوله تعالى: ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾
أي: وما موجات قلوب الكافرين... المنقلبة الى أسفل... الا في
ضلال... في اتجاه خاطئ، لا تصل الى الله... لانها غير متجهة اليه
أصلا...

وهذه نواميس الهية... تسري اوتوماتيكيا... لا تتخلف... وتحقق
العدل الالهي... في أعجب تحقق... وأحكمه...
قلب... متجه الى الله... وهو ما يسمى بالمؤمن... تصعد موجاته الى
أعلى... الى الله...

قلب... متجه الى غيره سبحانه... وهو ما يسمى بالكافر... تضل
موجاته... أي تتجه في اتجاه عكسي... الى اسفل... وتنتهي الى لا شيء!
سبحانك... سبحانك... سبحانك... ان الله لا يظلم مثقال ذرة في
الارض ولا في السماء!!!

والذين يظنون انهم يستطيعون مخادعة الله... قوم مجانيين...
فان الناس... تحكمهم نواميس الهية... تحمل في ثناياها عقوبة كل
انسان... يخرج عليها...
فمن آمن... اتجه قلبه الى الله فوراً... فدخل النور فوراً... وخرج من
الظلمات...

ومن كفر... انقلب قلبه الى أسفل فوراً... فخرج من النور فوراً...
ودخل الى الظلمات فوراً...
فاذا ما دعا القلب المؤمن... شعت عنه اشعاعات... موجات... من
النور العالي جداً... وانطلقت فوراً الى ربها...
واذا ما دعا القلب الكافر... صدرت عنه موجات من الظلمات هبطت
الى أسفل فوراً... فهي في ضلال عن طريق ربها...
من خلال تلك الاشارة... ندخل الى ذلك النص الخالد... المأثور...
عنه... ﷺ

«عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَعَثَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، إِلَى
الْيَمَنِ...

«فَقَالَ: اتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ
فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

(أخرجه الترمذی)

هذا هو توجيه رسول الله... ﷺ... لمعاذ بن جبل، وهو يبعثه، نائباً
عنه، الى اليمن...

«اتَّقِ» اجعل بينك وبينها وقاية... تصيبك فتهلكك...

«دَعْوَةٌ» تَوَجُّهُ قَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ...
«المظلوم» الذي وقع عليه ظلم... ولم يستطع ان يزيله بالاسباب...
فجأراً الى الله... واستصرخه ان يرفع عنه ظلمه... وينتقم له من الظالم...
«فأئها» فان دعوة المظلوم...
«لَيْسَ يَبْنَاهَا وَيُنْزِلُهَا حِجَابٌ»... مانع يمنع وصولها الى الله...
وانما تشق طريقها فوراً الىه تعالى...
لماذا بلغت دعوة المظلوم ذلك المبلغ من الخطورة... حتى انها
اسقطت الحجب... وارتفعت الىه تعالى فوراً؟؟...
لان المظلوم... حين يتجه الى الله... يكون قلبه... في حالة اصدار
اشعاع قوي جداً... عال جداً...
فيتموج الى الله مباشرة...
لانه موجه الىه وحده... ليس فيه ظلمات نفس... ولا ظلمات
اهواء...
ولا ظلمات شرك... ناشئة من التوجه الى غير الله...
وأعلى ما يكون دعاء المظلوم... واشده نورا... اذا كان المظلوم من
أهل النور... أهل الحق...
انه يهز الوجود... ويشق الحجب... ليشر في ساحة الجلال
والجمال... هنالك يستجيب الله... الى ذلك الدعاء الرفيع...
ومن أعلى نماذج «دعوة المظلوم» من أهل الحق... دعاء الانبياء...
لان الانبياء عموماً... مظلومون من أمهم...
وأى ظلم لهم أكبر... من ايذاء أمهم... وإعراضهم عنهم...
وتكذيبهم!!
من أعلى... وأرقى... وأسمى... ما صدر عن بشر... نبي...
رسول... ذلك الدعاء... الذي جأر به ذلك النبي... العظيم... الكريم...
نوح عليه السلام...

﴿...أَنْتِي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرِ﴾.

(القمر ١٠)

انظر... الى الموجات... العاليات... الصادات... عن ذلك القلب؟
«أَنْتِي» كأنه هو وحده المظلوم في هذه الكرة الأرضية!!!
وهذا حق... فقد ظلمه أهل الأرض أجمعين... مكث يدعوهم الى
ربهم الف سنة الا خمسين عاما...
فلم يزددهم دعاؤه الا فرارا!!!
فكيف كانت أحاسيسه، وكيف كانت آلامه!!؟
أولئك لا يعلمهم الا الله!!!
﴿مَغْلُوبٌ﴾... ظلما فوق طاقة البشر...
ان البشرية كلها تحاربني... وتعرض عني... وتؤذيني... بشتى أنواع
الايذاء...

إني احمل ما ان وضع على جبل لخر... متفتتا... متلاشيا...
ثم نادى نوح ربه: ﴿فَانْتَصِرْ﴾... كيف شئت... من هؤلاء... الذين
فجروا... وكفروا... وأصروا إصرارا...
وانطلق النور من قلب نوح... عليه السلام... هائلا... مركزا..
فانشقت له الحجب... وجعل يهدر عند ربه هديرا!!!
فماذا كان من الله تبارك وتعالى؟!
فلتأمل الدنيا كلها... ماذا حدث؟!
لقد حدث تدخل مباشر...

لقد حوَّلت النواميس... وصدرت الأوامر الالهية...
استمع : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۖ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ
غَيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۖ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ
وَدُسُرٍ ۖ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ۖ جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

(القمر ١١ - ١٤)

ثم انظر الى الاوامر التي صدرت فورا: ﴿وَقِيلَ: يَا اَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ. وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

(هُود ٤٤)

وأغرق اهل الارض جميعا... بالطوفان... انتصارا لنوح... عليه السلام!!!
لماذا؟!

لأن قلب نوح... حين توجه الى الله... كان يصدر نورا... موجات من النور... التي لا يمكن أن يرتفع اليها بشر...
وما ادراك ما قلوب الانبياء... ثم ما ادراك ما قلوب الانبياء!!!
ذلك انموذج... من أعلى نماذج دعاء المظلوم...
والمؤمنون... بعد الانبياء... في ذلك مراتب... ودرجات... ومقامات...

فبقدر نصيب القلب المؤمن من الصدق... والاخلاص... تكون درجة النور في الدعاء الصادر عنه...
والمؤمن المظلوم... يكون قلبه قريبا جدا من ربه...
فاذا ما دعا على ظالمه... استجيب له...
ويا ويل الظالم... اذا ظلم مؤمنا... ودعا عليه ذلك المؤمن!!!
ثم يا ويله!!!

شخصية رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
كما يراها...
أنس...؟!

الخدم... اعرف الناس... بأحوال أهل البيت... الذي فيه يخدمون...
ذلك أمر معلوم...
وترى الناس يخافون... أن يُفشي الخدم... أسرار بيوتهم... خارج
تلك البيوت!
والخادم... يطلع على مكنونات... الرجال... والنساء... والاطفال...
بحكم وجوده... في حياة المنازل الخاصة... صغيرها وكبيرها...
وليس كالخادم من انسان... يستطيع أن ينقل اليك خفايا سيده...
وسيدته... وأخص شؤونهم الخاصة والعامة...
ونحن الآن أمام خادم... دخل التاريخ من أوسع أبوابه... حين شرف
بخدمة محمد... ﷺ... عشر سنين... متواليات...
فرأى من شؤون رسول الله... ﷺ... الخاصة... ما لم يتيسر لغيره
من الناس...
بحكم وظيفته الشريفة... في بيت رسول الله... ﷺ...
ولقد نال ذلك الرجل... شرفا وأي شرف... حين رشحته الأقدار لان
يكون خادما... لأعظم شخصية... خطرت على قلب بشر...
ذلك الخادم... هو أنس... رضي الله تعالى عنه...

ولنستمع اليه... وهو يتحدث عن مخدمه... رسول الله... ﷺ...
حديثا عجبا...

فيه صدق التصوير... وبراعة التعبير...

«عَنْ أَنَسٍ، قَالَ:

«خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ، عَشْرَ سِنِينَ.

«فَمَا قَالَ لِي، أَفْ قَطُّ.

«وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ، صَنَعْتُهُ، لَمْ صَنَعْتُهُ؟..

«وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لَمْ تَرَكْتُهُ؟

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا...

«وَلَا مَسَسْتُ خِزًّا، قَطُّ، وَلَا حَرِيرًا، وَلَا شَيْئًا، كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

«وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَأً، قَطُّ، وَلَا عِطْرًا، كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...

(أخرجه الترمذي)

تلك ذكريات خادمه... أنس... أعطر الذكريات... وأحلاها...
وأعلاها...

رجل خدمه عشر سنين... وعلم منه ما لم يعلم غيره...

وعشر سنين في حياة العظماء ليست أمرا هينا...

فالحظة في حياة الرجل العظيم... قد يتغير فيها وجه التاريخ...

فكم من الصحفيين وكم من المشاهير... نالوا شهرتهم... وارتفع

ذكرهم... بانهم عاشوا لحظات في حياة عظيم من العظماء...

تسمع الصحفي يقول مفاخرا: كنت هناك... في مؤتمر الملوك

والرؤساء...

كنت هناك مع رئيس دولة كذا، في رحلته الى بلاد كذا...

ثم يمضي في سرد مشاهداته... في تلك الرحلة... وتسجيل ما دار بينه وبين ذلك العظيم من أسئلة وأجوبة...
ويقرأ القارئون حديثه الصحفي... وهم أشوق ما يكونون الى سماع ما يقول!!

ذلك ان الذين في القمة من الناس... دائما يتطلع اليهم الناس... لما لكلامهم... وتصرفاتهم من آثار خطيرة تنعكس على حياتهم جميعا...
فكيف اذا كان العظيم هو محمد... رسول الله... ﷺ...؟!
الذي ان جميع العظماء جميعا... فكانوا عظيمًا واحدا... ما بلغوا قطرة من قطرات بحار عظمتة... صلى الله تعالى عليه وسلم؟!
أم كيف لو كان المتحدث الصحفي عنه... صحابيا جليلا... هو أنس ابن مالك؟

أم كيف لو كان ذلك المتحدث قد ظفر منه بعشر سنين متواليات... يخالطه في قيامه وعوده... وسكونه وحركته... ويرى منه ما لا يراه سواه؟!!

لا شك أن حديثه يأتي عجباً!!
عجباً... انه عن أعظم شخصية في الوجود...
فيبلغ الحديث بذلك... أعلى ما يلغه حديث من الخطورة...
وعجباً... انه من رجل عاش معه عشر سنين... زمنا طويلا... ليس ساعة ولا ساعات... ولا أياما ولا أسابيع... ولكن عشر سنين!!
وعجباً... انه حديث يصدر عن رجل من أهل النور... صحابي من صحابة محمد... ﷺ... لا يعرف كذبا... ولا يقول الا صدقا...
بينما بعض الصحافيين، قد يكذبون، وقد ينمقون أحاديثهم... تشويقا تهويلا!!

أما صاحبه أنس... فلا سبيل للكذب الى أحاديثه...

وما كان أنس ليكذب على محمد... ﷺ ... وقد تربى عشر سنين
في رحابه...

وتلقى اشعاعات أنواره سنين عددا!!!
فلنسمع... بقلوبنا... الى أخطر حديث... يذاع... عن أعظم شخصية
في الارض... وفي السماء!!!
قال أنس: «خدمتُ النبي ﷺ عشرَ سنين»... لم ينقطع فيها عن
خدمته... وهي مدة من الزمان عظيمة... وزادها عظمة ان كان فيها
رسول الله... ﷺ ... شمسا... لا تغيب... تشرق على أهل الارض بنور
ربها...

وكان أنس خلالها قريبا من رسول الله... ﷺ ... في بيته... في
منزله...

فما اشرف... ما نلت أيها ال «أنس»!!!
لقد نلت أنسا يا أنس... لم يأنس به أحد سواك!!!
ثم يسجل أنس الظاهرة الاولى...
«فما قال لي: أف، قط... لم يحدث خلال عشر سنين...
خلال حياة بأكملها... طويلة... مديدة أن قال رسول الله... ﷺ ...
لأنس: أف...»

فما معنى: أف... هذه؟!
معناها: فما تضجر... رسول الله... ﷺ ... من أنس في شيء...
وما كان منه أي احساس يُعبّر عن الضجر...
حتى كلمة: أف... التي ينطق بها الانسان... تعبيرا عن غيظه... لم
يقلها لأنس...

ونفي قوله أف، ينفي ما فوقها... من شتم... او ايداء... أو تنقص...
او إغلاظ... او كلام جارح... أو غير جارح...
فما معنى هذا؟!

هل معناه أن أُنسا لم يخطئ قط، ولم يكن منه ما يُلام عليه قط...
خلال عشر سنين؟

كلا... فقد يكون من أُنس أخطاء... لأنه بشر...
ولكن المفتاح ليس عند أنس... وإنما المفتاح... عند تلك
الشخصية... التي تاهت في عظمتها العقول... وحارت...!!
المفتاح... أن محمدا... ﷺ... يتجاوز عما يكون من أنس... ولا
يؤاخذه عليه...

ويعفو ولا يعاقب...
ويصفح عنه الصفح الجميل!!!
فمهما كان من أنس... فهو يذوب... ويتلاشى... في رحاب أنوار
رسول الله... ﷺ.

ومهما كان منه... فيما رحمة من الله يلين له... ولا يغلظ عليه!!!
ولم يك هذا شأن محمد... ﷺ... مع أنس وحده... وإنما كان
هذا شأنه دائما... مع المؤمنين جميعا... بل مع الناس جميعا...
والقضية الخطيرة التي نعرضها على أهل الأرض: بشر... عنده
خادم... طيلة عشر سنين... لم يقل له أف قط... كيف تكون شخصية
ذلك البشر؟

ومعلوم أن الانسان في بيته... في حياته الخاصة... ينسلخ من
شخصيته الاجتماعية... التي يلقي بها المجتمع...
ويبدو في منزله على السجية... فتظهر من حقائقه ما كان عن الناس
مستورا...

وهنا هي الشخصية... طيلة عشر سنين... في منزلها... في حياتها
الخاصة... حيث تظهر حقائقها...
ها هي أعظم لألاء... وأشد سناء... مما هي عليه في المجتمع!!!

عشر سنين... بليلها ونهارها... لم يقل فيها مرة واحدة لخدمه:
أف!!!

ويؤكد ذلك أنس بقوله «قَطُّ»... لم يحدث أبدا... هذا منه!!!
فانظروا يا أهل الارض... كيف كانت تلك الشخصية... وكيف
كانت منازلها من العظمة؟!

* * *

الظاهرة الثانية... التي اذاعها أنس... فكانت أعجب من السابقة...
«وما قال لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ، لَمْ صَنَعْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ، لَمْ
تَرَكْتُهُ؟»!!!

كان للخدام أن يفعل ما يشاء!!!
فما دلالة هذه الظاهرة... في شخصية محمد... ﷺ...؟!
دلالتها... بحر لُجِّي... يتماوج... بالأنوار... ظهرا لبطن... وبطنا
لظهر...

وقبل ان تتموج قلوبنا شعاعا... مع أمواجه... ينبغي أن نستيقن أن
ذلك لم يكن... من رسول الله... ﷺ... عن عدم مبالاة... بما يجري
في بيته... وما يحدث من خادمه...
كلا ثم كلا...

فقد كان رسول الله... ﷺ... أشد الناس فطنة... وأسرعهم
ادراكا... لما يجري... من حوله...

فكيف وموضع الحوادث منزله... ومكان حياته الخاصة؟!
وانما أمواج النور... من الظاهرة... الفذة... الفريدة... في تصرفات
رسول الله... ﷺ... جميعا...

أن رسول الله... ﷺ... أوتيت شخصيته... من كل شيء عظيم...
أوتيت الرحمة... في أوسع... انطلاقاتها...
وأوتيت الرأفة... في أبعد امتداداتها...

وأوتيت مكارم الأخلاق... في تمام اكتمالاتها...
وأوتيت العلم... في أعلى مستوياته...
وأوتيت الحكمة... في أحكم مساراتها...
وأوتيت القدرة... في أعظم انطلاقاتها...
وأوتيت من كل شيء... تفضل الله تعالى... على عبد من عباده...
فكان حظه من فضل الله عظيما... عظيما...
فتلألأت تلك الصفات... في قلبه...
واشتعلت في شخصيته... فكان منها ما كان...
ومما كان ما سجله أنس: « ما قال لشيء صنعته لِمَ صَنَعْتُهُ، وَلَا لشيءٍ تركته لِمَ تَرَكْتُهُ » !!!
بأن رسول الله ﷺ...
لا يرى فيما صنع صاحبه ما يستوجب المؤاخذه... ولو كان في
مفاهيم الناس يستوجب الملام !!!
والقلوب كلما ارتقت... صفت... وكلما صفت... عفت...
وكلما عفت... كان منها ما كان من رسول الله ﷺ...
فكيف وهو أرقى القلوب... وأصفى القلوب؟!
لقد كان أنس سعيدا...
سعيدا بأنه نال من رسول الله ﷺ... خلقا جميلا...
سعيدا بأنه عومل منه... بأكمل، وأعلى، وأرقى... ما يطمع خادم من
مخدومه!!؟
ومرة أخرى نعرض قضية أخرى... على أهل الأرض: نبي... عنده
خادم... خدمه عشر سنين... متتابعات... لم يحدث منه قط أن قال له
خلالها لشيء صنعه لِمَ صنعه، ولا لشيء تركه لِمَ تركه... كيف تكون
شخصية ذلك النبي؟!
وانها لدعوة عامة الى علماء علم النفس والأخلاق جميعا... أن

يدرسوا شخصية رسول الله... ﷺ ... من خلال ذلك التصرف
العجيب...

ليظفروا بعجائب... وغرائب... تلك الشخصية العجيبة... التي سمت
فوق العقول والافهام!!!

* * *

والظاهرة الثالثة... التي أذاعها... من مكث يخدمه طيلة عشر سنين...
«وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً»...
لم يجد أنس ثناء... يبلغ به عظمة الشخصية... الا أن يشهد أنه
أحسن الناس خلقاً!!!

وشهادة أنس هنا... تحصيل حاصل...
فقد شهد الله تعالى... لمحمد... ﷺ ... بذلك حين قال سبحانه
(وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم ٤)
وكفى بالله شهيداً... وشهد واقع حياته... ﷺ ... بذلك من
مولده... الى وفاته...

تتلاً منه... أعظم الأخلاق... في كل مقام من مقاماته... وفي كل
حال من أحواله...
وحياته الشريفة كلها... عبارة عن نهر جار... يجري... ويسري...
بالطيبات... من الأخلاق...

بل ان شخصيته... هي مجموع الاخلاق العظيمة... في صورة
انسان...

فماذا كان يعني أنس... حين قال: وكان رسول الله ﷺ من أحسن
الناس خلقاً؟!

انما كان يعني الامر من زاويته التي شهدها...
فكون رسول الله... ﷺ ... أحسن الناس خلقاً...
فذلك أمر مشهور... مجمع عليه...

وانما هو يريد أن يسجل ما لمس بنفسه طيلة عشر سنين...
يريد أن يسجل ظاهرة عجيبة... أنه شهد انسانا مكث عشر سنين...
لم يكن منه خلالها... خُلِقَ واحد... فيه أدنى أثر من آثار النقص...
فهو يريد أن يسجل أعجب ظاهرة...
أن هناك انسانا... عاش طيلة حياته... الخاصة... والعامة... كاملا...
على أعلى صور الكمال... في أمره كله!!!
وهذا يستحيل أن يكون من انسان ما...
ولكنه كان من محمد... ﷺ...
وكان منه دوما... بلا توقف ولو لحظة واحدة... ولو في تصرف
واحد...

وانما هو ظاهرة ثابتة... لا تتغير... ولا تنقص... بل تزيد...
وهذا مستحيل صدوره من بشر... ولكنه كان من محمد... ﷺ...
فكيف كان شأن ذلك البشر؟!
وهذا الدوام... أو الثبات... على مستوى واحد... من الكمال... في
كل آن... طيلة عشر سنين...
لعل هذا هو ما يريد أن يسجله...
وليس كون الرسول... ﷺ... أحسن الناس خُلُقًا... فذلك مستفيض
ومعلوم للجميع...

او لعله... يريد أن يسجل أنه أحسن الناس خُلُقًا... مع الخدم...
لما لمس بنفسه... من آثار الرحمة الغامرة... التي غمره بها... خلال
عشر سنين...

فقد يكون من الناس حُسن الأخلاق مع الأقوياء والأنداد... ولا يكون
ذلك منهم مع الضعفاء ومَن تحت ايديهم...
ولكن محمدا... ﷺ... كان أحسن الناس خُلُقًا... مع الضعفاء...
ومع الاقوياء... على حد سواء...

وهذا هو الكمال... من أخلافه ﷺ...
 كمالات... لا يبلغه من الناس... أنس أنس من جانب رسول الله...
 ﷺ... نورا... ورحمة... ورأفة...
 وهو ما عليه من كونه خادما... ورسول الله... ﷺ... ما كان عليه
 من كونه رسولا... وسيدا... وحاكما... ورئيسا للدولة... وزعيما
 للأمم...
 ومع هذا التفاوت الاجتماعي الكبير... كان رسول الله... ﷺ...
 يعامله معاملة الأخوة الكاملة...

وهذا ما أطلق لسان أنس... يشي على رسول الله... ﷺ...!!!
 أي أنس...
 لقد شرفت... حين خدمت رسول الله... ﷺ...
 وشرفت حين امتلأت عينك بنور رؤيته بين يديك...
 فلبتي كنت في زمانك... لأتقدم اليك... يا أنس... خادما لك...
 فيمسنى شرف خدمة... من تخدم... رسول الله ﷺ...
 لبتي... ثم يا لبتي!!!

• • •

الظاهرة الرابعة... من حديث أنس... الخطير...
 تلك التي سجل فيها... صفة من صفات البدن الشريف... وعلامة من
 علامات الكمال الجسماني... البدني... لتلك الشخصية العظمى...
 قال: «وَلَا مَسْنُتُ خُزًّا، قَطُّ، وَلَا خَرِيرًا، وَلَا شَيْئًا، كَانَ أَتَيْنَ مِنْ
 كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»!!!
 الخز... نوع من الحرير الكريم... كان مشهورا عندهم...
 والحرير... هو الحرير الطبيعي المشهور...

وأنا هنا يسجل ظاهرة عجيبة... من ظواهر الجسم الشريف... جسم
رسول الله... ﷺ...

وقد أخذت الظاهرة عليه تفكيره... فجعل يحاول وصفها... فلم
يستطع...

«وَلَا مَسْنُتٌ خَزَأٌ»... حيث تصور الخز... يسعفه في ذلك
التصوير...

ثم عاد فاختار الحرير فقال «وَلَا حَرِيرٌ»... أي نوع من الحرير
يتصور في الدنيا...

ثم وجد ذلك كله دون ما يريد تصويره فقال «وَلَا شَيْءٌ»... لا شيء
يشبه ما يريد ان يصف به كَفَّ رسول الله ﷺ؟!!

ثم قال «كَانَ أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»
هذه ظاهرة... يسجلها الرجل الذي عاش مع رسول الله ﷺ...
حياته الخاصة... ورآه من أقرب المواضع قريبا...
يسجل أن كَفَّ رسول الله ﷺ... كان أَلَيْنَ من جميع أنواع
الحرير...

فما سر ذلك؟!

سره عظيم... ونوره عظيم... أن رسول الله ﷺ... نور... تخلق
في انسان...

وما ظنك بجسم بدايته نور...

ونهايته نور... وهو نفسه نور؟!

ان صفات النور تتلأل في كل ذرة... وفي كل خلية من خلايا جسمه
الشريف...

والكف... وهو اليد... جزء من هذا الجسم الشريف... يحمل
خصائص الأصل...

ثم هو... رحمة... جعل الله في قلبه الشريف... رحمة خاصة...
اختصه بها...

كانت الرحمة... هي أبرز هذه الافضال...
فرسول الله... ﷺ... نور...
على أعلى ما تكون خصائص النور المقدس...
ورسول الله... ﷺ... رحمة... على أعلى وأوسع ما تكون
الرحمة...

هاتان الصفتان... النور والرحمة... تلاًلتا... في ثانيا تكوينه
الجسماني...

ولعل هذا هو سر تلك الظاهرة... التي حدثنا عنها أنس... انه لم
يستطع أن يصورها لنا... ولم يجد ألفاظا تسعفه في تصورها... غير ما
نقل إلينا...

لقد مسست يا أنس... ذلك الكفّ... الكريم... الشريف...
فمسك من أنوار كرمها... وشرفها...
وانبثت في ثناياك من أنوار ما فيها من نور... ورحمة...
وليتني يا أنس أمس كففك... التي مسست كف رسول الله ﷺ...
ليمسني شرف من مسست كفه كف رسول الله ﷺ !!

* * *

والظاهرة الخامسة... التي اذاعها الرجل الذي عاش مع رسول الله...
ﷺ... طيلة عشر سنين...
ظاهرة بدنية... عجيبة... قد لا يصدقها الذين لا يؤمنون برسول الله...
صلّى الله عليه وسلّم...
ولكننا نحن... الذين شرفنا الله تعالى... بالإيمان برسول الله...
صلّى الله عليه وسلّم...

نؤمن بها... ونسلم بها تسليماً...
تلك الظاهرة... هي قوله: «وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَاً، قَطُّ، وَلَا عِطْراً، كَانَ أَطْيَبَ، مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ...» والعرق... معروف... وهو ما تفرزه المسام الجلدية... من ماء فوق الجلد...

وهذا العرق يكون من بعض الاجسام كريح الرائحة...
ومن بعضها أقل كراهة... الا أن العرق كله عموماً... ليس حسن الرائحة...

أما في شخصية رسول الله... ﷺ... فيسجل للعالم كله... أنس...
ظاهرة عجيبة جداً...

فيقول: «وَلَا شَمَمْتُ مِسْكَاً، قَطُّ، وَلَا عِطْراً، كَانَ أَطْيَبَ، مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ...»

وهذه ظاهرة خارقة... ظاهرة فريدة... في تاريخ الجنس البشري...
وما أجدر علماء الطب... والنفس... والاجناس... أن يبحثوا فيها...
ويستخرجوا أسرارها...

يسجل أنس... وهو صادق الصدق كله... انه ما شم مِسْكَاً قَطُّ، وَلَا عِطْراً، كَمَا أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ!!!
فلماذا هذا الامتياز لشخصية رسول الله... ﷺ؟!

نعود الى الاسرار الباطنة... للشخصية...
فنقول إن رسول الله... ﷺ... نور... ورحمة... نور... على أعلى مستوى من النور... ورحمة... على أعلى مستوى من الرحمة...
هاتان الصفتان تجريان وتسريان... في ثنايا التكوين...
فربما كانت تلك الرائحة الكريمة... التي هي أطيب من المسك... وأطيب من كل عطر...

وما ظنك بنبي قلبه نور... ورحمة... كيف يكون؟!
أو ما ظنك بنبي... دائم الملاقة للملائكة... وعلى رأسهم جبريل...

عليه السلام... كيف يكون ؟

أو ما ظنك بنبي... يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه... كيف يكون ؟
أو ما ظنك بنبي دائم التلقي من الرحمن... كيف يكون ؟
أو ما ظنك بمن صنعه الله على عينه... وأهله تأهילה خاصا... ليؤدي
عنه تعالى الى خلقه... كيف يكون؟!
فإن عزُّ عليك أن تتصور كيف يكون!؟...
فإن الله قد صوره لك ... فكان محمدا...!!!

• • •

ذلك شيء مما سجله... أنس... ذلك الذي عاش معه... طيلة عشر
سنين...

وتلك بعض الظواهر... الدائمة التي حَدَّثنا عنها... حديثا عجبا...
الظاهرة الاولى... انه ما قال له أَفْ قَطُّ...
الثانية... انه ما قال لشيءٍ صَنَعْتُهُ لَمْ صَنَعْتُهُ وَلَا لشيءٍ تَرَكْتُهُ لَمْ
تَرَكْتُهُ...

الثالثة... أنه أحسنُ خُلُقًا...
الرابعة... انه ما مسَّ خُرًا قَطُّ، ولا حريراً، ولا شيئاً، كانَ أَلْيَنَ مِنْ
كَفِّ رسولِ الله ﷺ...
الخامسة... انه ما شَمَّ مِسْكَاً قَطُّ، ولا عِطْراً، كانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ
النبي ﷺ...

خمس ظواهر... ما من ظاهرة الا هي أكبر من أختها...
كل ظاهرة منها... آية ومعجزة... في ذاتها... منفردة... من شخصية
رسول الله ﷺ...

وهي ظواهر انفرد بها رسول الله ﷺ... من دون البشر جميعا...
فهو وحده... الذي لم يقل أَفْ قَطُّ، ... ذلك مقامه وحده... وهو
وحده... الذي لم يقل لخدمه لَمْ صَنَعْتُ هذا... وَلَمْ تَرَكْتُ هذا؟

وهو وحده... الذي تحقق فيه انه أحسن الناس خُلُقًا...
وهو وحده... الذي كان كَفُّهُ أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ...
ولعل ذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾

(آل عمران ١٥٩)

فالرحمة المكنونة في تكوينه... كان اشعاعها ذلك اللين... في قلبه...
ثم اللين في كفه...

والبدن لا ينفك متأثراً... بالصفات الباطنة... الصفات القلبية...
فالطبيب الذي عمله الطب... من اعمال الرحمة... يكتسب بدنه...
صفات الرقة... فتراه صبوح الوجه... لين العواطف... رقيقها...
عكس الرجل الذي يعمل في كسر الاحجار... فانه يكتسب صفات
الخشونة والغلظة...

فالانسان في ظاهره... يتأثر بباطنه...
فاذا كان القلب شفافاً... ظهر أثر ذلك على الوجه... وعلى البدن
كله...

واذا كان مظلماً... ظهر اثر ذلك على الوجه... وعلى الجسم كله...
قال تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾

(الفتح ٢٩)

وقال: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّمَاهُمْ﴾

(البقرة ٢٧٣)

أي: علامتهم في وجوههم...
فكيف بقلب من نور... ورحمة... كيف يكون تأثيره على وجه
صاحبه... على سائر أعضاء بدنه؟
فشخصية رسول الله... ﷺ... كانت تتلأأ على ظاهرها... صفاته
الباطنة...

فكان في باطنه... نوراً... ورحمة... وظاهره... نوراً... ورحمة...
والظاهرة الخامسة... انه ما شَمَّ مِسْكَ قَطُّ... ولا عِطْراً، أَطْيَبَ مِنْ
عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ...

فجاءت كلها ظواهر فريدة... انفرد بها رسول الله... ﷺ!!!
وامتاز بها على سائر بني آدم...
ذلك بعض ما اذاعه... أنس... من ملاحظات... شاهداها... ببصره...
وبصيرته... من رسول الله... ﷺ...
فجاءت عَجَباً... وأثارت من نفوسنا عَجَباً...
ذلك حديث فَرْد... من أصحابه... تحدث عن شخصيته... فلم يَذَرِ
كيف يتحدث...

وغلبت عليه أنوار الشخصية... فسجل ما استطاع له تسجيلاً...
وغاب عنه الكثير... اذ بدت أنواره... أمام عينيه... كأنها أمواج
كالجبال... تتراكم... وتتراكب... وتتموج بعيداً... ذلك شأن البشر...
حين وصفوه...

فهل هناك وصف أعلى... وأصدق... وأحكم... لشخصية رسول
الله... ﷺ... من أوصاف البشر جميعاً؟
إنَّ ذلك لا يكون...

إلا أن يكون الوصف وصف الله تعالى...
فهل تحدث الله تعالى... عن رسول الله... ﷺ...
هل تكلم الله سبحانه... عن شخصية محمد... ﷺ...؟
نعم... ثم نعم...
فاقرأ... ما يأتي... ثم تعجب؟!

الله...

يتحدث عن...

شخصية محمد...

صلى الله عليه وسلم...؟!

نحن الآن في مقام رهيب... لان الذي يتكلم فيه... ليس إنسا... ولا بشرا...

ولا نبيا... ولا ملكا... ولا ما هو أعلى من هؤلاء جميعا... وانما الذي يتكلم هو الله... الله... جل جلاله... هو الذي... يتكلم الينا... وموضوع الكلام... عن قمة جنس الانسان كله... عن محمد... ﷺ...

فالمتكلم... الله... سبحانه... والمتكلم عنه... محمد... ﷺ... وطريق وصول الكلام... وحي الله... والكتاب الذي سجّل هذا الكلام... أعظم كتاب... القرآن العظيم... فالمقام مقام رهيب...

رهيب... لأن الله... يتكلم... ورهيب... لان المتحدث عنه... أعظم انسان... محمد... رسول الله... وخاتم النبيين... ﷺ... ورهيب... لان الكتاب الذي سجّل الكلام... كتاب الله... ذلك الذي لا ريب فيه...

وانما تستولي علينا الرهبة... من جوانبها الأربعة... من الله... من رسول الله... من وحي الله... من كتاب الله...

ولولا انه تعالى أذن لنا أن نتدبر كتابه... وأن نفهم كتابه...
ما استطعنا القيام بهذه المحاولة... ولو كان الإنس بعضهم لبعض
ظهيرا...

فباسمه تعالى... وبأذنه... وبحوله... وبعونه... نتقدم الى تلك
الساحة... القدسية...

نحاول أن نتناول المفاتيح... مفاتيح الشخصية...
وان نتلقاها... من السماء... صافية... نقية... طاهرة... صادقة...
ومن أصدق من الله قيلا...؟!

وها هو النص السماوي الخالد... الجامع... المانع... القاطع...
الساطع... الواسع...

الذي وصف محمدا... ﷺ...
فاعجز... الخلق جميعا... أن يصفوه... كما وصفه... او يحددوه
كما حدده...

او يعلموه... كما علمه... ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾...
يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ
كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا
غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تُمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾.

(التور ٣٥)

ذلك هو النص الكريم... أنزله الذي هو بكل شيء علیم... ولقد قيل
في تفسير الآية وجوهاً... كل وجه له وجه منير...

الا ان الذي يهمنا في أمرنا هذا... هو الوجه الذي قال في تفسيرها:
ذلك مثل ضربه الله تعالى... لنبيه... ﷺ...

﴿الله نور﴾ الله ظاهر بذاته... مظهر لكل شيء...
 الله واجب الوجود... يعطي كل شيء ما يظهر به في الوجود...
 أو: الله نور السماوات والأرض...
 ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هو سبحانه الذي أنار السماوات بما فيها،
 والأرض بما فيها...
 وذلك يشير الى أن أصل الوجود نور...
 نور خلقه الله تعالى، ومنه كانت سائر الكائنات، على مراحل من
 التطور عديدة...
 ولقد أكدت الاكتشافات العلمية، الذرية، والهيدروجينية، ذلك
 المذهب...
 فها هي الذرة... اذا تحطمت... تحولت الى طاقة... وما الطاقة الا
 نور...
 أي ان الذرة تعود الى أصلها... الى نور...
 وما الوجود كله... الا ذرة... واحدة... تتكاثف... وتتراكب...
 بنسب معينة...
 فلو أمكن تفجير الكون كله... لتحول الى طاقة كله... الى نور!!!
 ﴿الله نور السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ... الله بدأ الخلق من نور... كل
 الخلق...

ونخرج من هذا الناموس العام... لندخل الى ناموس آخر... أخطر...
 وأخطر...
 ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ مثل نوره الذي يجعله في قلب المؤمن... مثل هداه...
 وذروة المؤمنين... محمد... ﷺ...
 ومن هنا قالوا: المعنى «مَثَلُ رَسُولِهِ»... ﷺ...
 مثل محمد... ﷺ... الذي أرسله الى الناس... نورا...

﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ كوة في حائط... او ثقب مظلم في بناء... او جسم
كثيف...

﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فيها سراج... فيها شعلة ضوء...
﴿الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ﴾ الشعلة المضيئة... في زجاجة من حولها...
تماما... كتصميم المصباح الكهربائي الحديث... ففي الداخل خيوط
النور... ومن حولها زجاج المصباح...
﴿الرُّجَاجَةُ﴾ التي حول الشعلة...
﴿كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ كوكب شديد اللمعان... شديد التوهج...
﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يُشعل السراج من زيت شجرة كبيرة
المنافع.

﴿زَيْتُونَةٍ﴾ زيت الزيتون النقي...
﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ الا أن هذه الشجرة لا تشرق... ولا
تغرب... هي دائمة الشروق... لا تغيب...
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد ذلك الزيت من شدة صفائه يضيء... انه
شديد اللاء والصفاء...

﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ولو لم يشعل السراج بالنار ليشعل...
﴿نُورٌ﴾ عظيم
﴿عَلَى نُورٍ﴾ عظيم
أي نور يتضاعف على نور... تمثيل بشدة نورها... وتوقد نورها...
وشدة اشعاعه...

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ يوفق الله لاتباع رسوله
﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ له الهدى... حسب استعداده لذلك الهدى...
﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ لما فيها من تقريب المعاني الى
افهامهم... بتصويرها بصورة المحسوسات...
﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الاشياء

﴿عَلِيمٌ﴾ أحاط بكل شيء علماً... ويعلم ما فيه صلاح العقول
والقلوب... ذلك استعراض سريع جداً... لتفسير الآية...
قالوا: ذلك مثل ضربه الله لرسوله... ﷺ...
قال تعالى ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾.
(المائدة ١٥)

فالنور هو الرسول... ﷺ...
والكتاب المبين... هو القرآن الكريم...
وقالوا: المشكاة... هي صدره الشريف...
والمصباح... هو قلبه الشريف...
والزجاجة... هي أنوار الوحي الذي يوحى إليه...
﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾... كأنها شمس... كأنها نجم ذاتي
الاضاءة... شديد التوهج... شديد اللمعان...
﴿يُوقَدُ﴾ ذلك النجم... توقد تلك الشمس...
﴿مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ﴾ هي شجرة التوحيد... الزاهرة... المنيرة...
﴿زَيْتُونَةٍ﴾ كثيرة البركات... كثيرة الخيرات... صافية صفاء زيت
الزيتون... نافعة كنفه...
﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ هذا الامداد... هذا النور الذي يوحى الى
قلبه... لا شرقي ولا غربي... لانه صادر من جهة الله تعالى... فهو لا
يوصف بزمان... ولا يحده مكان...
ذلك الوحي... لا يشرق ولا يغرب... بل هو دائم الاشعاع...
لانه صادر عن الذات... والذات لا تغيب...
﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد معدن الرسول... ﷺ...
يضئ... ولو لم تمسه نار الوحي...
أي: هو... فطرة منيرة... متألقة بذاتها...

أي: قلب محمد... ﷺ ... نور بذاته... مضيء بذاته... ولو لم
تمسسه انوار الوحي...

هو في ذاته نور... يتلأأ... بذاته...

ويشهد بذلك سلوك محمد... ﷺ ... قبل الأربعين... قبل أن يوحى
إليه... قبل أن تنزل على قلبه أنوار الوحي...

كان سلوكه سلوك أنبياء... قبل أن يكون نبيا يوحى إليه...
كان صادقا... وأمينا... وشريفا... وكريما... ووصولا للرحم...
ومعينا للضعيف... ومنتصرا للمظلوم...

وتلك هي صفات الانبياء!!!

﴿نُورٌ﴾ نور الوحي... نور الإيحاء إليه...

﴿على نُورٍ﴾ على نور الفطرة... نور قلبه الذاتي... فيتضاعف بذلك

نوره...

فقلبه من الأصل نور... ثم زاده الله نورا بما أوحى إليه من أنوار...

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ يوفق الله لاتباع رسوله... الذي هو نور... واتباع

نور وحيه الذي أنزله على قلبه...

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من هو أهل لتلقي ذلك النور...

من كان ذا استعداد خاص... للإشراق... والاستمداد من ذلك

النور...

وحين قالوا: المشكاة صدر محمد... ﷺ ...

لا يعنون القفص الصدري... الذي هو موضع القلب...

كلا وإنما يعنون جسم النبي... ﷺ ... كله...

يعنون البدن الشريف كله...

والبدن من تراب... والتراب مادة... مظلمة...

من الأرض... والأرض ظلام...

ولذلك ضرب للجسم مثل المشكاة... لانها مكان مظلم... يوضع فيه السراج...

الا أن بدن الرسول... ﷺ ...

فيه سراج منير... مصباح دائم النور...

فيه قلب عظيم النور... لا يتوقف نوره لحظة واحدة...

فيه فطرة بلغت أقصى مراتب كمال الفطرة...

مرتبة التوحيد الخالص... الصافي... والتوجه المباشر الى ربها...

وهذا يفسره أنه كان... ﷺ ... يتعبد في غار حراء... قبل أن يوحى

اليه... الليالي ذوات العدد...

يتوجه فيها مباشرة الى الله...

ولم يك بعد نبيا...

وعزوفه عن باطل أهل مكة... وابتعاده عنه...

لان فطرته المضيئة... قلبه السليم... كان ينفر من ذلك نفورا طبعيا!!!

ثم كانت اللحظة الفاصلة...

وأنودي: اقرأ...

فكان بدء الوحي اليه... بدء تنزل النور الى قلبه...

فالتقى النور الجديد... نور الوحي... مع النور القائم... نور الفطرة...

نور القلب... فكانا... نورا على نور...

ثم ما زال الوحي يتتابع... اليه... طيلة حياته...

حتى كان من ذلك القلب... ذلك الامر العظيم... الشامل...

الكامل...

ذلك الدين القيم... ذلك الاسلام...

فكان قلبه... ﷺ ... بمثابة... النقطة... نقطة التجمع لأنوار

الوحي...

التي منها تنطلق اشعاعات الوحي... الى جميع القلوب...

الى كل قلب عنده استعداد طبيعي للانفعال بتلك الانوار... والاستضاءة بها...

ولعل هذا هو مكنون قوله تعالى ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾...
فليس المعنى ان المسألة مسألة مشيئة جبرية لا مدخل للعبد فيها...
كلا... وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا...

وانما المعنى من كان أهلا للهدى هداه الله...
من كان ذا استعداد طبيعي للتلقي... قذف الله في قلبه النور...
من كان مفتوح القلب... متجه الفؤاد الى ربه... دخل ذلك النور الى
قلبه... حتما...

وذلك تجده مكنونا في قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾...
أي: هو سبحانه يعلم حقائق القلوب... واستعدادها... ويمد كلا منها
بما هو أهل له...

كما يقولون: الامداد على قدر الاستعداد...
ذلك هو حديث الله تعالى... عن شخصية محمد... ﷺ...
وان أحسن الحديث حديث الله... لانه أصدق... وأحكم... وأدق...
وأحق... حديث بالتصديق... والتسليم... والتفهم... والادراك...
لان الله تعالى أحاط بكل شيء علما... ولعل ذلك سر ختام الآية
بقوله: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾...

أي: اعلّموا أيها الخلق جميعا... أنه ليس هناك أصدق في وصف
شخصية محمد... ﷺ... من هذا الوصف...
ولا مثال أدق من ذلك المثال...

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ ويضرب الله أصدق الامثال، للناس
جميعا ليستطيعوا ادراك الحقائق العليا... التي تعلو على افهامهم...
ولذلك... فمن الممكن أن نعتد اعتمادا تاما... مطلقا... على ما ورد
في تلك الآية... في تحليل شخصية محمد... ﷺ...

وان نتلقى منها مفاتيح الشخصية العُلى...
المفتاح الاول... أن محمدا... ﷺ... بَشَر... بكل ما في البشرية
من صفات...

وانه ذو جسم مادي... ككل بَشَر... وككل آدمي...
وذلك مكنون في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ...﴾

(الكهف ١١٠)

وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ...﴾

(الأنبياء ٣٤)

فهو بشر... ذو جسم مادي... تسري وتجري... فيه... نواميس
البشرية...

وذلك كله تشير اليه كلمة ﴿كَمِشْكَاةٍ...﴾
أي: مادة مظلمة... جسم من الارض... المظلمة... من تراب...

* * *

المفتاح الثاني... ان هذا الجسم... الذي يشارك البَشَر في صفاته
كلها... يمتاز عن البشر منذ ولادته بقلب منير... دائم النور...
أي بفطرة سليمة... بقلب سليم منذ ولادته...
بقلب متجه الى الله منذ ولادته... ويظل هكذا... دائما... حتى يبدأ
الوحي اليه...

والذين يحارون في عصمة الانبياء... ويعجبون كيف لا يعصي الأنبياء؟
يزول عجبهم اذا تَلَأَّتْ أمام بصائرهم تلك الحقيقة... ان قلوب الأنبياء
نور... منذ ولادتهم... والنور له خصائص التوجه الى الله...
ومن خصائص النور... ان الشياطين لا تستطيع اقتحام حماه...
فقلوبهم محفوظة... اوتوماتيكيا... بحكم تلك النواميس... الالهية...
فلا سبيل للشيطان اليها...
ولا سبيل للظلمات اليها...

ولا سبيل للوساوس اليها...
وتلك هي مكنونات العصمة... في أعماقها البعيدة...
فقلب محمد... ﷺ ... قبل أن يوحى اليه... نور...
نور على أعلى مستوى النور...
ومن خصائص ذلك النور... انه يمنع صاحبه أن يتجه الى غير الله...
ومتى كان القلب متجها الى الله... استحال أن يدخل الظلمات...
فلا تقع منه معصية...
ولا يقع منه اشراك...
ولا يقع منه التفات الى غير الله...
ولا يقع منه ظلم...
ولا يقع منه فساد...
ولا يقع منه طغيان...
ولا يقع منه ضلال...
أرأيت مكنونات العصمة... عصمة الأنبياء... انها خصائص النور...
نور القلوب...
ذلك النور الذي يجعله الله في قلوبهم منذ ولادتهم...
ومن خصائص النور... نور الفطرة... الذي يكمن في قلوبهم
جميعا...
انه يشتعل في أجسامهم... جمالا... وحُسنا... وامتيازاً...
فالأنبياء جميعاً... أجمل الآدميين أجساماً...
وأقواهم أبداناً...
وأرقاهم صفات...
وأكثرهم فطنة... وأحدّهم ذكاء...
الى آخر تلك الصفات العُلى... التي هي صفات النور...
فلو لم يكن الأنبياء أنبياء بالوحي لكانوا قبل أن يُوحى اليهم أنبياء!!!

لان قلوبهم جميعا نور... نور فطري منذ ولادتهم...
وخصائص نور فطرتهم... تحجزهم... وتمنعهم من الهبوط الى
الظلمات...

وتوجههم... حتما... الى مقامات النور... مقامات التوجه الى الله...
وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ...﴾ (الحجر ٤٢)

وعباد الذين هم ذروة عباده جميعا... هم الأنبياء...
فليس للشيطان عليهم أدنى تسلط... أو سيطرة...
لا قبل بعثتهم... ولا بعد بعثتهم...
وانما سر ذلك كله أن قلوبهم نور...
فالمفتاح الاول... أن محمدا... ﷺ... بَشَر... تسري... وتجري...
فيه نواميس البشر...

وانه يمتاز على سائر البشر... بان قلبه منذ ولادته نور...
وان ذلك النور... يمنعه من الهبوط الى المعاصي... الى الظلمات...
وذلك مكنون في قوله تعالى... في هذه الآية ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا
مِصْبَاحٌ...﴾

الجسم... فيه سراج منير...
ظلام الجسم المادي... فيه نور مصباح... دائم النور...
الجسم... فيه قلب دائم النور...

* * *

المفتاح الثالث... أن الوحي نور... يُراد له الانتشار... الى قلوب...
الناس...

وهذا ما يسمى بالرسالة...
هذا الوحي نور ينزله الله تعالى... على قلب النبي...
ويؤمر أن يشعه الى قلوب الناس جميعا...

لتستقبله القلوب المستعدة... وتصد عنه القلوب الغير مستعدة...
وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ
لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

(الشعراء ١٩٣-١٩٤)

وقوله: ﴿فَاصْنَدِغْ بِمَا تُؤْمَرُ...﴾

(النجمر ٩٤)

ولقد أمر أن يشع الانوار التي أنزلت في قلبه... الى قلوب الناس...
والرسل أجمعين... حتما... يبلغون رسالات ربهم...
لان نزول النور الى قلوبهم... يحتم اشعاعه... الى القلوب...
لانهم لا يستطيعون كتبه... لانه يستحيل عليهم كتمانها...
فتعجب كيف أرسلهم... وكيف أحكم نواميس قلوبهم!!!
لا يستطيعون... أبدا... أن يزيدوا أو ينقصوا... مما أوحى اليهم
شيئا...

لان النور الذي أوحى اليهم... لا يلبث بقلوبهم... الا ليشع الى
غيرهم...

انظر الى ذلك مكنونا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ
الْأَقَاوِيلِ ۖ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۖ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۖ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ
أَحَدٍ عَنْهُ حَاژِرِينَ﴾!!!

(الحاقة ٤٤-٤٧)

لو فرض أن محمدا قال على الله شيئا لم يقله... بزيادة أو نقص
﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ لقطعنا ذلك العرق الكبير الذي يغذي قلبه... أي
لقطعنا عنه امداد الوحي فورا...

ولاستحال لاحد منكم أن يحجز عنه ذلك...
وذلك كله يشير... الى أن قلوب الانبياء محكومة... الهيا...
بنواميس... يستحيل معها... الزيادة والنقصان في كلام الله...

وذلك مكنون وجه آخر من وجوه العصمة ۱۱۱
 فشخصية محمد... ﷺ ...
 أولا... بَشَر...
 ثانيا... قلب دائم النور منذ الولادة...
 ثالثا... وَحْيٍ يُوحَىٰ إِلَىٰ قَلْبِهِ... وهو ما يسمى بالرسالة...
 فهو كما حدد الله تعالى: ﴿قُلْ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ... يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾
 وكلمة ﴿أَنَا﴾ تشير إلى الشخصية... شخصيتي أَنِي بَشَرٌ مِثْلَكُمْ...
 وامتنازي عليكم جميعا أَنَّنِي يُوحَىٰ إِلَيَّ...
 وهذا الإيحاء يستلزم نورين...
 نور الاستعداد قبل الإيحاء... نور الفطرة... فقلبه أصلا نور... ثم نور
 الامداد... نور الوحي...
 فهو نور على نور...
 نور الإمداد... على نور الاستعداد...
 تلك هي الحقيقة المحمدية...
 تلك هي حقيقة الشخصية...
 فسبحان مَنْ تكلم بهذا...
 وسبحان مَنْ أنزل تلك الآية... فكانت مفاتيح عُلْيَا... تفتح عجائب...
 وغرائب... الشخصية العليا...
 وسبحان مَنْ أنزل كلامه يصدق بعضه بعضا...
 فها هنا يقول في وصف حقيقة محمد... ﷺ ...
 ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ...
 الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ...﴾
 إلى أَنْ قَالَ: ﴿نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ...﴾
 وهنالك يقول في حقيقة محمد... ﷺ ...

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا، وَمُبَشِّرًا، وَنَذِيرًا ۚ وَذَاعِيَ إِلَى اللَّهِ
بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾.

(الاحزاب ٤٥ - ٤٦)

أي: ومصباحا دائم النور...

هي هي: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾

هي هي: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾!!!

لا... يجزي...
بالسيئة...
السيئة... ؟!

يحار الخلق... في خُلق... محمد... ﷺ...
ويتعجبون... كيف تأتي لبشر أن يرقى الى ذلك المستوى الاعلى...
من الأخلاق؟!
ويطلعون منه في سره... وعلنه... على أعجب... ما يمكن أن يكون
من انسان...

فيقولون: سبحان من أبدع محمدا... وصنع انسانا هذا شأنه!!
الا أن العقل البشري... دائم اللاحاح... دائم السؤال: من أين
لمحمد... ﷺ... ذلك كله؟!
ولقد سئلت عائشة — رضي الله تعالى عنها — عن خُلقه فجاءت بذلك
الجواب الخالد:

«كان خُلقه القرآن»!!

وهذا الجواب وحده... عنوان... بحار... لا نهاية لها... من
الأنوار...

الا أن العقل مازال يسأل: كيف تأتي له أن يكون هو وحده الذي تفرد
بأن يكون خُلقه القرآن؟!

فالقرآن قائم بين أيدينا جميعا... فلماذا لم يحدث أن كان منا من هو
خُلقه القرآن... أو من حقق من نفسه أن يكون خُلقه القرآن؟!

وعندي أن مفتاح ذلك الجانب الخطير من شخصية محمد... ﷺ ...
هو قلب محمد... ﷺ ...

كان قلبه نورا... وكانت أنوار الوحي... تتنزل على قلبه تنزيلا...
فهناك استعداد دائم... وهناك امداد دائم...
فكانت لذلك أخلاقه، أخلاق النور...
أعلى... وأعلى... وأعلى... مستوى من النور...
فجاءت أخلاقه... أعلى... وأعلى... مستوى من الأخلاق...
وذلك مكنون في حديث: «تجدون الناس معادن، خيارهم في
الجاهلية، خيارهم في الاسلام، اذا فقهاوا...»
فألحق معادن... ولكل معدن خصائصه...
ومعدن محمد... ﷺ ... أصفى... وأنقى... وأثمن معدن في
البشر...

ومن أجل ذلك وقع الاختيار الالهي عليه... وحده...
قلب شفاف... جدا... جدا... يكاد يضيء ولو لم تمسه
نار...

هذا القلب... هذا النور...
هو مفتاح أخلاقه العليا كلها...
لقد كان «عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» قبل الوحي... وكان «عَلَى خُلُقٍ
عَظِيمٍ» بعد الوحي...
أو كان «عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ» قبل النبوة... ثم كان على خلق
أعظم... بعد النبوة...
كلما زاد الله نوره نورا... بما ينزل على قلبه من وحي جديد... ازداد
محمد... ﷺ ... في خُلُقِهِ علوا عظيما!!!
وانما مثل ذلك مثل الطفل الطيب المعدن...
تكون أخلاقه طيبة بالفطرة... فاذا ما أدخل المدرسة... وتعهده

المدرسون مواهبه... بالتربية... والتنمية... ازدادت أخلاقه حسناً...
 وازداد سموه سمواً...
 كذلككم محمد... ﷺ... كان قبل الرسالة طفلاً... وشاباً...
 ورجلاً... معدناً كريماً... كريماً... كريماً...
 فلما أوحى إليه... كان ذلك الوحي إليه... بمثابة دروس... متابعة...
 تتولى تنمية مواهبه... وتربية سلوكه...
 فازداد بالوحي سمواً... وازداد بنور السماء إليه علواً...
 وذلك من الأسباب التي نزل من أجلها القرآن... منجماً... مقطوعاً...
 على أزمته متباعدة... ولم ينزل جملة واحدة...
 ليكون تربية له... ﷺ... وتنمية لمواهبه...
 وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ
 تَرْتِيلاً﴾

(الفرقان — ٣٢)

أي: أنزلناه كذلك... منجماً... لنثبت به فؤادك...
 لتزيد قلبك به نورا... فتزداد على الحق ثباتاً... وتزداد من الأخلاق
 رفياً...

وذلك كله تجده مكنوناً في حديث: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبي»!!!
 والتأديب هنا... هو تعليمه الآداب الحميدة... والأخلاق الجميلة...
 هو بلغة عصرنا: التربية... وتنمية المواهب...
 فالذين تسأل عقولهم: كيف حقق محمد... ﷺ... من نفسه... أن
 يكون خلُقَه القرآن!

عليهم أن يتصوروا حقائق الشخصية... وحقيقتها الأولى... القلب...
 والقلب... حقيقته النور...
 قبل البعثة... وبعد البعثة زاده الله بالوحي نورا... فهو نور على نور...
 أي: نور عظيم... على نور عظيم...

هذا النور العظيم الأصيل... يزداد كل حين بإذن ربه نورا... بما يُوحى إليه...

فأنواره في زيادة دائمة...

وإذا علم أن القلب مَلِك البدن...

وأن قلبه على أعلى ما يتصور من النور... خرجنا من تلك المقدمة بنتيجة حتمية...

ان أفعال... وأعمال... وأقوال... ذلك الانسان الاعظم... ستأتي حتما... أفعالا عظيمة... وأعمالا عظيمة... وأقوالا عظيمة...

وذلك مكنون قوله سبحانه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾...

والاخلاق هي مجموع تصرفات الانسان، وعلى ذلك يمكن أن تقول: كانت أخلاق محمد ﷺ... أخلاق النور...

كانت أخلاقه تحمل صفات النور وخصائصه...

ومن كان ذلك شأنه... استحال أن يكذب... لأن انكذب ظلام... والنور لا يشع ظلاما...

واستحال أن يغش... لأن الغش ظلام... والنور لا يصدر عنه الا النور...

واستحال أن يتجه الى غير الله...

لأن النور يتجه الى النور... الى نور أعلى منه... الى الذي هو نور السماوات والارض... الى الله...

وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾...

وفي قراءة: «اللَّهُ نَوَّرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»، واستحال أن يعصي الله...

لأن المعاصي ظلمات... وهو نور...

والنور ينفر من الظلام نفورا...

واستحال أن يكون فاحش القول... لأن الفحش ظلام... وهو نور...

لا يتأتى منه ذلك الظلام...

ومن هنا... تفتح لبصائرنا... أنوار... ذلك الذي حدثنا به زوجه
 الكريمة... عائشة... الصديقة... بنت الصديق رضي الله عنهما...
 «سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِي يَقُولُ :
 «سَأَلْتُ عَائِشَةَ، عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ :
 «لَمْ يَكُنْ فَاِحْشًا
 وَلَا مُتَفَحِّشًا
 وَلَا صَحَابًا فِي الْأَسْوَاقِ
 وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ
 وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيَصْفَحُ».

(أخرجه الترمذي)

ليست هذه هي كل أخلاقه... وإنما هي قطرة من بحار أخلاقه...
 أو نماذج معدودة... على سبيل المثال... من بحار ممدودة...
 ولعل عائشة... رضي الله تعالى عنها... تشير الى ذلك...
 فإن حصر أخلاق... رسول الله ﷺ... في جواب واحد... شيء
 غير مستطاع...

«لَمْ يَكُنْ فَاِحْشًا... لم يكن رسول الله ﷺ... فاحشاً...
 لم يكن ناطقاً بالفحش من القول...
 لماذا؟!

الجواب: لأن قلبه نور... ينزل عليه نور...
 والفحش ظلام... والنور لا يصدر عنه الظلام!!!
 نوايس أو توماتيكية...
 أو أوتوماتيك نوايس...
 ويقول عائشة «وَلَا مُتَفَحِّشًا... ولا متكلفاً للفحش...
 لماذا؟!

لأن قلبه نور... يزداد نوراً بعد نور...

والبحث عن الكلام البذيء... ظلام... والنور لا يصدر عنه الظلام!!!
كذلكم... أوتوماتيك نواميس!!!
وتقول: « ولا صَحَاباً في الأسواقِ »...
ولا كان محمد... ﷺ ... صَحَاباً... في الأسواق...
لم يكن من أولئك الذين يثيرون الضجة... ويرفعون أصواتهم
بالباطل... في الأسواق...
كان يمشي في الاسواق...
وذلك بنص كتاب الله ﴿... إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي
الْأَسْوَاقِ... ﴾

(الفرقان ٢٠)

ولكن لم يكن صَحَاباً في الاسواق... يثير الصخب والضوضاء...
لماذا؟!

لان ذلك فعل العوام... والذين في عقولهم شيء...
وما كان محمد... ﷺ ... من هؤلاء... ولا من هؤلاء...
ولكن كان خاصة الله من خَلَقَهُ كلهم...
وكان عقله أكمل العقول كمالا...
لماذا؟!

لان قلبه نور... يزداد دائما نوراً بعد نور...
والصخب ظلام...

فمستحيل أن يصدر الظلام عن النور!!!
كذلكم... أوتوماتيك نواميس!!!

وتقول زوجه... الكريمة بنت الكريم...
« وَلَا يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ »

لماذا لا يعاقب على السيئة بالسيئة؟!
لماذا لا يقابل من أساء اليه بالاساءة اليه؟؟

ومراد عائشة أنه... ﷺ ... لم ينتقم لنفسه قط، الا أن يعتدي على
حقوق الله... فهناك يكون الحساب على من اعتدى...
مهما أساء الخلق الى شخصيته... لم يُسيء هو اليهم...
وهذا خُلُقٌ معجز حقاً...
فان الانسان مهما أوتي من قوة الأعصاب... لا يملك نفسه اذا أسيء
اليه...

ولكن محمداً... ﷺ ... كان يتحقق منه ذلك الخُلُق العظيم!!
ولقد أساءوا اليه بشتى أنواع الاساءة...
فكان جوابه لهم أجمعين... « اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون »!!!
لماذا كان منه هذا؟!
لان الاساءة... ظلام يصدر عن قلب المسيء...
فكل سيئة ظلام...
وكل حسنة نور...
فهم يقبلون عليه بظلماتهم... وهو يقبل عليهم بنوره!!!
وهذا أعجب ما يمكن أن يتأتى من شخصية بشر!!!
لماذا هذا؟!

لان قلب محمد... ﷺ ... نور... يزيده الله نورا على نور... بما
يُوجي إليه...

والاساءة ظلام... ومستحيل أن يصدر الظلام عن النور...
فمستحيل أن تصدر عن محمد... ﷺ ... اساءة الى من أساء اليه!!!
ومكنون ذلك البحر العميق...
أن محمداً... ﷺ ... بعثه الله... يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النور...

فمستحيل أن يسمح لهم أن يخرجوه من النور الذي هو فيه... الى
الظلمات التي هم فيها...

مستحيل أن يهبط الى مستواهم... — بلغة عصرنا — وإنما هو يحاول
أن يرفع من مستواهم...
أن يخرجهم هم من الظلمات التي هم فيها... الى النور الذي هو
فيه!!؟
«وَلَكِنْ يَغْفُو» ولكن لا يعاقب من أساء اليه... مع قدرته على
العقاب...
«وَيَصْفَحُ» عنه صفحا جميلا... فلا أثر لإساءة من أساء اليه... في قلبه
الشريف...
كأن لم يحدث شيء!!!
لماذا؟!
لأن قلبه نور... يزداد نورا على نور...
ومن خصائص النور... طرد الظلام بعيدا... فلا يلتقيان!!!

سرّ...

العبريّة... !؟

ولا أعني بالعبقريّة... عبقريّة محمد... ﷺ...
إنما محمد... ﷺ... شيء... فوق العبقريّة...
شيء... اسمه «محمد»... رسول الله... وخاتم النبيين... ﷺ...
وذلك مستوى... أو مقام... تقع العبقريّة في محيطه... كقطرة في
أوقيانوس...

أو نقرة عصفور... من محيط هائل... عميق... عميق...
إنما أعني هنا العبقريّة في عمومها...
الامتياز الانساني في عمومه...
أولئك الذين أوتوا حظاً من العقل... والحكمة...
وإنّ العباقرة لأولو حظ من الامتياز عظيم...
ولقد فتح لنا رسول الله... ﷺ... أسرار العبقريّة فتحاً مبيناً...
وكشف لنا باشعاعاته... العليا... أسرار العبقريّة... ومنابع الامتياز...
وذلك في حديثه الخالد...
«قال رسول الله ﷺ:
«لَا خَلِيمَ إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ
«وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجْرِبَةٍ».

(أخرجه الترمذی)

«لَا حَلِيمَ» لا عاقل... لا ممتاز العقل...
«إِلَّا ذُو عَثْرَةٍ» الا ذو سقطه... أثناء انطلاقه في الحياة...
ذلك مفتاح من مفاتيح الامتياز العقلي...
لان السقوط... أو العثار... أو الوقوع في الظلمات...
يورث المرء نفورا شديدا منها... ورغبة حارقة... في انقاذ نفسه مما
هوى فيه...
والعقل سبيله الى التكوين... ادراك الخير والشر... وذوق الخير
والشر...

فالذين لم يذوقوا الا الخير... لا يعلمون ما هو الشر...
والذين لم يذوقوا الا الشر... لا يعلمون ما هو الخير؟
ولذلك تجد أكثر الناس ضلالا...
أشدهم هدى... اذا تابوا...
وأكثرهم بغضا لدين الله... أشدهم حبا له... اذا أنابوا...
وأكثرهم سقوطا... أشدهم حرصا على النجاة... اذا تابوا...
وانما أوضح مثال... وأشمل نموذج...
ولهذا الذي نحن فيه... ذلك العبرى...
الذي تحدث عن عبقرية رسول الله ﷺ: «لم أر عبقرى يفري
فريه»... ألا وهو عمر... رضي الله عنه...
وشخصية عمر... مثال رائع... لمن ذاق الشر والخير...
فقد كان قبل اسلامه... شابا ممتازا في لهوه... وعبثه... ذاق الشر...
في جاهليته... وكان شديدا في شره... يكره محمدا... ﷺ... كرها
شديدا...
حتى لقد دفعه ذلك الكره... أن يذهب ليقتل محمدا... ﷺ... فلما
أن وقع الانقلاب... ودخل الاسلام...

كان اندفاعه شديدا جدا... في مقامات... النور... بعد خروجه من
دركات الظلمات...

فكان أحب شيء إليه... محمدا... ﷺ... ذلك الذي كان أبغض
انسان إليه...

وكان أشد الناس حبا لهذا الدين... الذي كان أشد الناس كُرها له...
وكان اندفاعه للترقي نحو الله... شديدا... بقدر ما كان اندفاعه في الشر
شديدا...

وذاق عمر الخير... بعد أن ذاق الشر...
فكانت عبقرية عمر...

أن كان في ظلمات الجاهلية... شديدا...
فخرج الى نور الاسلام... شديدا...

وفاق عمر... وامتاز... وجاء بالأعاجيب في اسلامه... وخلافته...
بأنه ذاق الظلام... وذاق النور...

فكره كُرها عميقا جدا... أن يعود الى الظلام مرة أخرى...

فكان عقل عمر... وامتياز عمر... وعبقرية عمر...

من تلك العثرة... عثرة الجاهلية التي كان فيها...

وانما تقع العبقرية... من هؤلاء الذين كانوا في الظلام... ثم دخلوا

الى النور...

بأن الانسان الذي عرف الشر والأشرار... عاش خبيرا بالأعيهم...

وشرورهم...

فاذا ما دخل النور... توقى الشر عن خبرة... وتوقى الأشرار عن

عثرة...

ولذلك كان عمر... حاكما... للمشرقين... وما استطاع أحد في

الارض أن يلعب بعمر... أو أن يناق عمر... أو أن يخادع عمر... وأقام

عمر الدنيا... على الجادة... على الخط المستقيم...

شرارها... وخيارها...
فما استطاع الفريقان أن يخدعاه... وما استطاعا به مَكْرًا !!!
وما أن خر عمر صريعاً... بخنجر المجوسيّ الخائن...
حتى انفتح باب الفتن من بعده... فلم يغلق الى يومنا هذا... لماذا؟
لان عمر... كان انسانا خبيراً بالأعيب أهل الخير... وألاعيب أهل الشر...
الشر...

فكان يسوس كلا... بما هو أهله...
ذلك هو العبقري... من أهل النور...
ذلك هو الحليم... العاقل... الممتاز العقل...
كان امتيازاه... لأنه عثر عَثْرَةً... في جاهليته...
ففاق بها أقرانه جميعاً...

* * *

ثم المفتاح الثاني... من مفاتيح العبقرية...
«وَلَا حَكِيمَ إِلَّا ذُو تَجَرِبَةٍ»...
ولا فيلسوف... عميق الفلسفة... الا من كان ذا تجربة عميقة... في الحياة...
الحياة...

فالحياة في عمومها تجربة... تجربة عامة... ندخلها جميعاً...
فمن كان فيها أكثر تجربة... كان أكثر حكمة... وأكثر لمسا لواقعها...
فالفلاسفة التجريبيون... الذين يتكلمون من واقع حياتهم... وواقع خبراتهم...
انما يتكلمون عما ذاقوا... وخبروا من الحياة...

أما الفلاسفة المثاليون... الذين يتخيلون مثلاً... يأملونها... ولم يحققوها من تجاربهم الخاصة... انما هم أبعد الناس عن حقائق الحياة... وانما تتأتى الحكمة... من الواقع... أكثر منها من الخيال...

ولذئذ كان الاسلام... بارعا... حين دعا الى خوض تجربة الحياة...
 دعا الناس الى الحياة... ولا عليهم أن يخطئوا... فباب التوبة... فُتِحَ
 لهم على مصراعيه... انى يوم القيامة... كل ابن آدم خطاء، وخير
 الخطائين التوابون... العائدون بعد تجربتهم... الى ربهم...
 انذار حين بعد نزولهم الى الظلمات... سراعا... الى النور... هؤلاء
 هم الحكماء حقاً... الذين اکتروا بنار المعاصي... ففروا من حريقها...
 سراعا... الى ربهم...
 وكما ارفقوا... افاقوا...
 من فعل هذا فهو الحكيم... فهو العبقري...
 الذي دفعه الغرق... الى الناس النجاة...
 فاعترى... كيف اتقى اليك رسول الله... ﷺ...
 بمفتاح من مفاتيح العبرة... ثم انظر عجائب تلك الشخصية...
 حين تكشف حقائق النفوس كشفاً سريعاً...
 كأنها في نومة... لا تنكشف فيها تفكيرها... ولا تدبيرا...
 ولكم النور...
 نور فيه انعام الالاء...
 ونور نوحى اليه... دائم التنزل... فكان اشعاعه دائماً... أقوى من كل
 اشعاع...

أخطر...

نداء...

إلى الأطباء...؟!

أعجب ما في اشعاعات... شخصية محمد... ﷺ...
 أنها لم تدع شيئا... يتصور فيه خير... للانسانية... الا أمرت به...
 ولا شيئا فيه شر... للانسانية الا نهت عنه!!!
 وتلك الاحاطة بكل شيء علما... لا تستطاع... الا لانسان... قد آتاه
 الله من كل شيء علما...
 وذلك لم يتحقق الا في أشخاص المرسلين...
 ولم يبلغ أعلى مستوياته... الا في شخصية محمد... ﷺ...
 ففي مقام الطب... الذي هو علم تجريبي... بحث...
 تطالعنا اشعاعاتها... العلى... كأنها أمواج من النور... تنزل الى الناس
 بعضها... يدفع بعضها!!!
 ونحن الآن أمام أمر... صدر عن رسول الله... ﷺ... الى الناس
 جميعا...
 أو نداء... عام... الى البشر جميعا...
 يتحقق فيه ذلك المعنى... الى أبعد حدود التحقق...
 «قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا تَدَاوِي؟»
 «قال: نَعَمْ»
 «يا عبادَ الله، تَدَاوُوا»

«فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً
أَوْ قَالَ: دَوَاءً
«إِلَّا دَاءً وَاحِدًا
«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟
«قَالَ: الْهَرَمُ»

(أخرجه الترمذی)

«قَالَتِ الْأَعْرَابُ»... سألت الجماهير.. والأعراب... هم عامة الشعب
بلغة زمانهم...

«يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَتَدَاوَى؟»
ألا نلتمس الدواء لأمرضنا؟
كأنهم يريدون أن يقولوا: أم نترك الأمر لله... فلا نتداوى؟!
هنالك... انطلقت أمواج النور من فمه الشريف... نعم... نعم...
تَدَاوَوْا...

نعم.. ينبغي عليكم أن تبحثوا عن الدواء... عن علاج أمراضكم...
وفي ذلك أبلغ رد على أولئك الذين يتواكلون إذا مرضوا... ويزعمون
المزاعم في تواكلهم...
أو يزعمون أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾...

(الشعراء ٨٠)

يؤيد ما يذهبون اليه... من التوكل... والله يتولى الشفاء!!!
وذلك مردود عليهم...
مردود بما أصدره... رسول الله... ﷺ... الى الناس جميعا... حين
أمرهم أن يتداووا...
ذلك أن الله خلق النواميس الالهية... التي ترتب الاسباب على
المسيبات...
فمن تداوى... شفاه الله...

ومن لم يتداو... أهلك نفسه...
لانه خرج على الناموس الالهي...
والاخذ بالتداوي... انتظام على الناموس الالهي...
ولا يصادم حُسن التوكل على الله...
وانما الطريق المستقيم... هو تحقيق التوكل على الله... وتحقيق
التداوي والأخذ بالاسباب...

هو أن يتجه المريض بقلبه الى الله... يسأله تعالى الشفاء...
وفي نفس الوقت يتجه ببدنه... الى الاطباء طلبا للدواء...
أى أن يكون قلبك متوكلا على الله... عالما أن الشفاء منه وحده...
وأن يكون ظاهره... مع الأسباب والبحث عن التداوي...
هنالك يتحقق انسجام الباطن والظاهر...
وهذا هو التوكل الحق...

وذلك المفهوم... هو مكنون قوله ﷺ: نَعَمْ...
ولقد تخلخل الامر... في عقول الكثير... من أهل الاسلام...
فظنوا أن التوكل... هو الالتجاء الى الله وحده... مع اسقاط
الاسباب... وهذا خطأ محض...
وخروج على النواميس الالهية...
والرد على ذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا
يَمُوتُ﴾...

(الفرقان: ٥٨)

أي: اتجه بقلبك، في أمرك كله، الى الذي هو دائم الحياة... لا يموت
أبدا...

أي: الى الله...
واياك أن تتوكل، أن تتجه بقلبك، الى شيء آخر...
لانه ما من شيء سواه... الا هو ميت...

إلا وهو فأن ... يوما ما...
فماذا تصنع حين تجد الشيء الذي اتجهت اليه... قد هلك...
وذهب؟!
انما الاتجاه الحق... الصحيح... هو الاتجاه الى الذي لا يموت...
الى الذي يملك أن يمدك دائما... بما فيه خيرك...
وذلك لا يكون الا الله... سبحانه... فالتوكل... هو اتجاه القلب...
الى الله وحده... وعدم الالتفات... أو الركون الى شيء سواه...
هذا الاتجاه الباطن... عمل القلب...
وهذا معنى ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾...
اسأله وحده الشفاء...
بقي الظاهر... ذلك البدن... ذلك الجسم...
الذي تحكمه نواميس مادية بحتة...
هذا الظاهر... يتحتم أن يمضي على القوانين الطبيعية... على السنن
الالهية... التي لا تتبدل... ولا تتحول...
وهذا يحتم التداوي...
ومن أجل ذلك كان الاشعاع: «نعم» وبذلك يستقيم الباطن مع الله...
ويستقيم الظاهر... مع النواميس الالهية...
فلا التوكل يعطل التداوي...
ولا للتداوي يعطل التوكل...
وانما لكل شأن لازم...
يتحتم الاستقامة عليه...
وكما يخطئ الذين يذهبون الى زعم التوكل... وَيَدْعُونَ التداوي...
يخطئ كذلك الذين يذهبون الى التداوي... ويهملون التوكل...
بزعم أن الامراض البدنية... مسائل مادية صرفة... لا دخل للالهيات
فيها...

وهذا ما يذهب اليه الاغلبية المطلقة من الناس... في عصرنا هذا...
عصر المادة والعلم الطبيعي...
أما الاطباء... فلهم فلسفاتهم المادية البحتة...
الا من آمن منهم!!!
يقولون: مرض كذا... ظواهره كذا، وعلاجه كذا...
أما الجانب القلبي... أما الباطن... فذلك أمر لا يعنيه... ويفتتون...
حين يجدون الظواهر العلمية... تؤكد ما يزعمون!!!
فالمرض الفلاني... علاجه الدواء الفلاني...
ثم يجربون... فتصدق التجربة... ويُشفى المريض!!
فيزدادون فتنة... ويزدادون على مذهبيهم جمودا!!!
أما اطراد الظواهر العلمية معهم... فذلك حق...
لان الناموس الالهي... أو القانون الطبيعي... أن لكل داء دواء...
فمن تناول ذلك الدواء، ذهب عنه ذلك الداء...
فصِدِّق الظاهرة... لا يُبطل باطن الظاهرة...
وباطن الظاهرة... أن لذلك المريض إلها...
وأن على ذلك المريض... أن يتجه بقلبه الى إلهه... الذي خلقه
وابتلاه بذلك المرض...
وأن يسأله تعالى الشفاء... من ذلك الداء...
وان يسر له الطبيب الذي يداويه... والدواء الذي يشفيه...
وذلك التوجه... هو العون القلبي... والامداد النفسي... للمريض في
أزمته... وضيقه... وآلامه...
فلولا إذ جمد أكثر أهل العصر الحديث... على الظواهر... تعمقوا
الأمر قليلا...
فعلموا أن هناك إلها... يتجتم عليهم جميعا... أن يتجهوا اليه
بقلوبهم...

ولو قد فعلوا... لأعطاهم قوة... وصبراً... وأمدّهم امداداً!!
ولكنهم أعرضوا... فحُرموا... امداداً... لا ينفد!!!
فكما أخطأ المتوكلون... الذين أهدروا التداوي...
أخطأ المتطبيون... الذين أهدروا التوكل...
وانما الطريق القويم...
هو تحقيق التوكل... باتجاه القلب... اليه تعالى وحده...
وتحقيق التداوي... بطلب الطبيب... وتناول الدواء...
وبذلك يزول... ذلك التخلخل... الذي يتزلزل فيه هؤلاء...
وهؤلاء...

وذلك النهج القويم... مكنون في قول رسول الله... ﷺ...: «يا
عباد الله، تداووا».

وتأمل مكنون قوله... وهو ينادى الناس جميعاً «يا عباد الله»...
يذكرهم أنهم أولاً وقبل كل شيء... عباد الله...
والعبودية تستلزم اتجاه القلب دائماً الى ربه...
أي: أنكم دائماً عباد الله... اسألوه بقلوبكم الشفاء...
فاذا ما استقام باطنكم على ذلك... فأقيموا ظاهركم على «تداووا»...
التمسوا بعد ذلك التداوي... ابحثوا عن الأطباء... وابحثوا عن
الدواء... تحقيقاً للشفاء...

وأشعل رسول الله... ﷺ... مصباحين في وقت واحد...
وأرسل اشعاعين... في جواب واحد!!!
«يا عباد الله»... مصباح يضيء القلوب... ويوجهها الى الله...
«تداووا»... مصباح يضيء الدنيا... ويوجه أهلها الى الأخذ بالأسباب
أسباب التداوي... أسباب المادة...
وذلك هو إعجاز الرسالة... وإعجاز المرسلين...
أوتوا جوامع الكلم...

أوتوا القدرة... على تركيز البحر في قطرة!!!
الا أن الامواج... التي تملأت من جوابه الخالد... حتى الآن... تبدو
شيئا قليلا...

إذا أقبلت علينا أمواج... النور... الكبرى... الباقية من الحديث...
الشريف... العظيم... الكريم...

انظر... الى هذه الموجة العالية... القادمة...
انظر: «فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً، إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً»!!!
هذا ليس بقول بشر!!!

ان هذا الا قول رسول كريم!!!
فان ما فيه من الاسرار... والانوار... والنواميس... لا يتأتى لعقل...
مهما كان من العلم... أن يحيط به علما!!!
ففيه شمول العلم... وعلم الشمول...
«إِنَّ اللَّهَ تَأْكِيد... وتقرير... وعلان لنا موسى الهي... ثابت... لا تغيير
له... ما بقيت الحياة...

«لَمْ يَضَعْ دَاءً» في الارض... لم يجعل مرضا في جسم من الاجسام..
كائنا ما كان ذلك الجسم...
«إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً»... الا جعل له شفاء...

وهذا تقرير... من محمد... رسول الله...
الذي ما ينطق عن الهوى...

إن كل مرض كان أو سيكون... له علاج حتما...
فلماذا اذا هناك أمراض مستعصية لا علاج لها... حتى الآن؟؟
الجواب: لها علاج...

ولكن الطب... لم يكتشف بعد... علاجها...
وتلك الظاهرة الخطيرة... التي يذيعها... رسول الله...
عليه السلام...

تعتبر أقوى... وأعلى... وأشد... دفعة... يدفع بها رسول الله...
 ﷺ... العلماء... والأطباء... الى الامام...
 انه يدفع دفعا عظيما...
 أن واصلوا أبحاثكم... وواصلوا اكتشافاتكم... حتى تصلوا الى
 اكتشاف علاج.. لكل مرض في هذه الأرض...
 فما من داء إلا له شفاء أو دواء...
 ذلك ناموس أعلنه نياية عن ربي... تبارك وتعالى... وأقرره... وأذيعه
 على البشرية كلها... على شتى مستوياتها...
 ولقد جاءت العلوم الحديثة تصدق محمدا... ﷺ...
 فكم من مرض... لم تكن البشرية تعرف له تشخيصا... ولا علاجا...
 وكان يهلك الملايين من البشر...
 فاذا بالعلم الحديث... يكتشف... جراثيمه... ويعرف فيروسه...
 ويتوصل تبعا لذلك... الى علاجه... الى شفاؤه... الى دوائه...
 ومن الامثلة القرية... مرض السل... كانوا لا يعرفون له علاجا...
 فاذا بهم الآن... يطاردونه... ويعالجونه... ويكتشفونه!!!
 ولا يتصور في الوجود... دعوة الى تقدم علوم الطب... أعظم من
 تلك الدعوة...
 انها تقول لعلماء الطب: لا تيأسوا... لا تقعدوا عن البحث... سوف
 تكتشفون أخيرا... سببا لكل مرض... وتضعون أيديكم على شفاؤه...
 ولو قد فقه المسلمون... على مدى أكثر من ١٤٠٠ سنة... مكنونات
 حديث رسولهم...
 لمضوا يواصلون أبحاثهم... ولجأوا بالعجب العُجاب... في فنون
 الطب والعلاج...
 ولأيقنوا أن هناك ناموسا أذاعه رسول الله... ﷺ...
 «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً... إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً... أَوْ— دَوَاءً...»

وَأَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا ذَلِكَ النَّامُوسَ ... أَنْ يَبْحَثُوا... وَيَبْحَثُوا...
وَيَبْحَثُوا... عَنْ شِفَاءٍ لِكُلِّ دَاءٍ...

وَلَكِنْ... انصرفت قلوبهم... فصرف الله عنها... تلك الاشعاعات...
وها هي الدعوة... من جديد... موجهة الى أطباء الدنيا... وعلماء
الصيدلة... وعلماء النفس... وعلماء البيولوجيا... وغيرهم...
هذا قانون طبيعي... يذيعه رسول الله ﷺ... عليهم جميعا...
بل على البشر جميعا...

لَا تَيَأْسُوا أَنْ تَجِدُوا لِكُلِّ دَاءٍ شِفَاءً... أَوْ دَوَاءً...

انطلقوا... الى آفاق جديدة من العلم...

انطلقوا... فيوما ما سوف تكتشفون جرثومة المرض الذي لم تكونوا
تعلمون... وسوف تعرفون علاجه...

ثم تطلع علينا موجة أخرى... من أنوار... ذلك الناموس... موجة
تقول: «إِلَّا دَاءٌ وَاحِدٌ»... الا مرض واحد... لم يضع الله له شفاء... ولم
يصنع له دواء...

«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُوَ؟!»

فكان جوابه الخالد... المحكم... الذي لا يصدر الا عن رسول
الله ﷺ: «الْهَرَمُ»...

الكبر... ذلك هو المرض الذي لم يضع الله له دواء...

لا علاج... ولا شفاء... لمرض الْهَرَمِ... الشيخوخة...

لان الله جعل الشيخوخة... سببا للتهدم... والقناء... فلا دواء...

والذين يعالجون الشيخوخة... لا يستطيعون لها علاجا...

وانما هم يعينون المعجوز... على قضاء شيخوخة مقبولة... ليس إلا...

أما أَنْ يُزِيلُوا الشيخوخة... فمستحيل... لان خلايا الانسان...

تتهدم... وتضمحل...

وأعضاؤه تضعف... وتنهار... ثم تبدأ في الذبول...

ذلك ناموس رهيب... أبدي... لا تبديل له ولا تغيير...
وكم حاولوا... وحاولوا... ولكن الناموس قهرهم... وسقطوا في
نهاية شيخوختهم موتى!!!
وكذلك لم يدع الناموس حُكما مطلقا... ولكن حدده في النهاية...
بإحكام عجيب... إحكام... لا يصدر الا منه هو وحده... ﷺ...
فانظري يا دنيا... عجائب شخصية محمد... ﷺ...
نواميس الهية... قوانين طبيعية... يذيعها على الجميع...
فاذا هي مفاجأة علمية... لن تصل اليها علوم الناس أجمعين...
وإذا هي قوة عظمى محرّكة... تدفع في ظهور العلماء... أن يدأبوا
بحثا عن شفاء لكل مرض... تخفيفا لآلام البشر...
ثم اذا هي موجات... عاليات... شامخات... من النور المصفى... ثم
يُحكمها باستثناء مرض الشيخوخة... ويقرر أنه لا شفاء له...
كل أولئك... في وضوح كالشمس المشرقة...
وإحاطة ما بعدها إحاطة... وبلاغة لا تتأتى لأحد سواه...
ثم احكمي... وأجيبي:
كيف كانت حقائق تلك الشخصية؟!!!

الشخصية...

التي حُرِّمت...

الانتحار...؟!

قسطاس مستقيم...
 ذلك الذي دعا رسول الله... ﷺ ... اليه...
 فالحياة منحة... هبة الله... التي وهب عباده...
 قال ابراهيم... عليه السلام... شكرا لله ما أنعم عليه... من نعمة
 الذرية... بعد الشيخوخة...
 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ
 رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

(إبراهيم ٣٩)
 فالحياة هبة... من الوهاب... سبحانه... هذه الهبة... ينبغي أن تُقبل
 بأحسن التقبل...
 فعلى الانسان أن يحمد ربه... أن وهبه الحياة...
 ولولا ذلك لكان عدما... لا وجود له... ككائن حي... متحرك...
 مدرك... سميع... بصير... ذي فؤاد...
 وآية شكره لربه... أن ينتظم على أمره... ويمضي على نواميسه... إنه
 ان فعل... كان عبدا شكورا...
 وان فعل... زاده الله من فضله...
 ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...﴾.

(إبراهيم ٧)

ولقد فطر الله النفس محبة للبقاء... شديدة التمسك بالحياة...
ولذلك منح الانسان الغرائز... والأحاسيس... التي يحافظ بها على
كيانه... ويتعد بها عن مواطن الخطر...
وذلك مكنون في قوله تعالى: «كَلَّا، بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ.»

(القيامة ٢٠)

تحبون البقاء في الحياة العاجلة... الحياة الدنيا...
والانسان لذلك يكره الموت... لانه... كما يتصور الجاهلون...
فناء...

قال سبحانه: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾
أي: للموت.

(المؤمنون ٧٠)

ولم يقل كلهم للحق كارهون... لان هناك قليلا... ينكشف لهم
الغطاء... فيعلموا ان هناك حياة أرقى بعد هذه... فهؤلاء لا يكرهون
الموت...

وهؤلاء دُعُوا اليه... فيما يسمى بالشهادة في سبيل الله تعالى...
ودُعُوا الى بيع أنفسهم لله...

وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ
وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ﴾

(التوبة ١١١)

ولما كان هذا الفهم... مستوى رفيعا جدا... من مفاهيم الناس...
بين بعد ذلك... أن ذلك لا يتحقق الا من أرقى الناس صفات...
وأكملهم سلوكا... وأعلامهم عقولا...

فقال سبحانه: ﴿التَّائِبُونَ، الْعَابِدُونَ، الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ، الْآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

(التوبة ١١٢)

هؤلاء الذين كملوا وتكاملوا... انتظموا على تلك الصفات...
هؤلاء هم الذين يدركون أن وراء هذه الحياة... حياة... أرقى...
وأخلد...

فيسارعون الى بيع هذه... بتلك... ابتغاء رضوان الله...
وقليل ما هم!!!
أما عموم الناس... فلا يحبون الا هذه... بل هي في مفاهيمهم كل
الحياة...

وهناك نوعان من الإقدام على الموت...
الشهادة... وهي أن يتقدم الانسان مؤمنا بالله... مجاهدا في سبيله...
فيقاتل أعداء الله... فيُقتل... فذلك الشهيد...
والانتحار... وهو أن يقتل الانسان نفسه بوسيلة ما من وسائل القتل...
فذلك هو المنتحر...

وكلا النوعين... بمحض ارادة الانسان...
الشهيد... يريد أن يُقتل في سبيل الله...
والمنتحر... يريد أن يقتل نفسه... فيقتلها بيده...
الشهيد... ارادة نور... قلب يتجه الى الله... يريد رضوان الله...
فذلك في مقامات النور... يرقى فيها الى حيث يشاء له الله... حسبما
تحقق من اخلاصه في الشهادة...

والمنتحر ارادة ظلام... قلب يتجه الى أسفل... الى الشيطان...
فهو في دركات الظلام... يهوي فيها... الى حيث يشاء الله...
وشتان بين اتجاه الشهيد... واتجاه المنتحر...

الشهيد... يُقَدَّم حياة دنيا... ليظفر بحياة عليا...
ولذلك نهى الله تعالى أن يسمى الشهداء أمواتا...
وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتٌ، بَلْ أَحْيَاءٌ، وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

(البقرة ١٥٤)

أما المنتحر... فهو اتجاه قلبي نحو الظلام...
الشهيد أمل في الله... ورجاء في رحمته... وفرح بلقائه...
ففي قلبه انعامات مقامات النور... وذلك مكنون في قوله سبحانه:
﴿فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

(آل عمران ١٧٠)

كانوا ينعمون بانعامات مقامات النور... في حياتهم الدنيا... فلما
استشهدوا... دخلوا فورا... تلك المقامات...
أما المنتحر... فقلب مظلّم... أعمى... اشتد عليه الظلام... واليأس...
والقنوط... وضائق عليه نفسه... وضائق عليه الأرض...
فانقلب قلبه... فانقلبت ارادته تقتل بدنها... وتهلكه...
وذلك أقصى دركات اليأس من رحمة الله...
ولو قد صبر المنتحر قليلا... فلم يهلك بدنه... فلربما تداركته رحمة
الله... ووجد بعد الضيق سعة... وبعد اليأس رجاء... وبعد الظلام نورا...
والمنتحر... قلب يعبد الشيطان... في أقصى دركات العبادة
للشيطان...

حتى أنه سول له أن يقتل نفسه... فأطاعه فقتلها... فهو قلب منقلب
الى أسفل... معكوس... مضاد لأمر الله...
والمنتحر قلب في دركات الظلام في الدنيا... قبل أن ينتقل الى
الآخرة...

فدخوله الى الهاوية... والى دار الظلام... الى جهنم... ناموس
أوتوماتيكي... طبعي!!!

تلك اشارة... تضيء في هذا الامر الخطير... أمر الانتحار...
ولقد حرم رسول الله ﷺ... تلك الجريمة... النكراء...
وأرسل اشعاعاته المقدسة... تضيء للحيارى... واليائسين...
والقانتين... سبيل الرشاد...

وحذرهم... ونفرهم... من اسلام أنفسهم الى الشيطان... يعبث بها
كيف يشاء...

فجاءت اشعاعاته... قولاً فصلاً... في أخطر جريمة... تصيب
البشرية...

جريمة اقدام الانسان على الانتحار...

«عن أبي هريرة :

أن رسول الله ﷺ قال :

«مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ ، يَتَوَجَّأُ بِهَا ، فِي بَطْنِهِ ،
فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، خَالِدًا ، مُخَلَّدًا فِيهَا ، أَبَدًا ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُمِّ فُسْمُهُ ، فِي
يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، خَالِدًا ، مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا ،
وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ ، فَهُوَ يَرَدَّى ، فِي نَارِ جَهَنَّمَ ،
خَالِدًا ، مُخَلَّدًا فِيهَا ، أَبَدًا .»

(أخرجه الترمذى)

«مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ» ويدخل فيها جميع أدوات القتل الحادة...
كالموسى... والخنجر... والسيف... والسكين... كل ذلك أنواع من
الحديد الحاد القاتل...

ويدخل فيها طلقات الرصاص... فما مقدمة الرصاص الا نوع حديد
صلب...

ويدخل فيها القنابل بأنواعها... كل ذلك أنواع من الحديد... كله أو بعضه...

وهذا وجه من وجوه الإعجاز في التعبير الجامع المانع... وفي التعبير بـ «حديدته» تحقير لاداة القتل... وإشارة إلى أن الإنسان شيء أكرم وأعز وأعلى... من أن يهلك نفسه بشيء حقير!!! «فحديدته» فأداة قتله... فالأداة التي قتل نفسه بها... سكيناً أو سيفاً أو موسى... أو رصاصة... أو قنبلة...

«في يده» فهو يكرر... ويمثل جريمته كما فعلها أول مرة... وهذا هو معنى «في يده»... أي هو يعذب بفعله... ويكلف باعادة منظر الجريمة... مرارا... تماما كما فعل في الدنيا... ان الجريمة تتكرر... وتتكرر...

ليتعذب ويتعذب... بما فعل «يتوجأ بها في بطنه» يطعن بأداة القتل في بطنه... أي في المكان الذي طعن نفسه فيه من جسمه...

فمن ذبح نفسه... يكرر نفس المنظر... ومن قطع شرايينه بموسى... فهو يكرر نفس المنظر... ومن شق بطنه بسيف... فهو يكرر نفس المنظر... ومن أطلق على نفسه رصاصات... فهو يكرر نفس المنظر... تعذبا له... واستمرارا للتعذيب... «خالداً» بلا انتهاء لذلك التعذيب... «مخلداً» بأمر إلهي... فلا يمنع عنه ذلك العذاب... «فيها» في نار جهنم... في استمرار... تكرار... ذلك الفعل القبيح... الذي كان منه...

«أبدا» إلى ما لا نهاية!!!

ولو قد وقف رسول الله... ﷺ عند ذلك الحد... لكان كافيا...

وشافيا... لكل نفس منحرفة... أن ترجع عن انحرافها... وتكف عن قتل نفسها...

ولكن الشخصية شخصية نبوة... في أعلى مقامات النبوة...
والشخصية شخصية رسالة... في أعلى مقامات البيان... والبلاغ...
والتبيين...

من أجل ذلك استمر إحكام إطلاق الأحكام... فقال:
«وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِسُوءٍ... بأي نوع من أنواع السموم القاتلة...
ويدخل فيها جميع أنواع السموم... أو أي مادة تؤدي الى الوفاة...
«فَسُوءُهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ» يتجرعه...
«فِي نَارِ جَهَنَّمَ» في الجحيم...
يكلف أن يكرر نفس المشهد الذي فعله في الدنيا...
كأس السم... أو عقار السم... أو القرص السام... يتناوله... مرارا...
كما فعل أول مرة...

«خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» الى ما لا نهاية...
حتى هنا... ثم الإحكام... في إطلاق الأحكام...
ولكن احاطة النبوة... وشمول علمها... وكمال نورها... فوق تمام
عقولنا...

فترى الشخصية... تضيف أسلوبا ثالثا من أساليب الانتحار...
وهذا التحديد... والترتيب... والشمول... لا يتأتى أبدا الا للأنبياء
ذروة النبوة... محمد... ﷺ...

فيقول: «وَمَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ» ومن هوى من فوق جبل... ومن
سقط من مرتفع ما...
ويدخل فيها المنتحرون بالقاء أنفسهم من فوق الكباري... الى
الأنهار...

ويدخل فيها الذين يُلقون أنفسهم... من فوق الأدوار العليا من
المباني...

وكل مَنْ يُلقي بنفسه... من مرتفع... ليردى... ساقطاً... الى
أسفل... انتحاراً... وفراراً...

فتأمل الإعجاز... والإحكام!!!
رمز لأنواع التردى من أعلى... الى أسفل... بالجبل... لانه المعلوم
للناس... في زمانه... ومكانه!!!

«فَقَتَلَ نَفْسَهُ» فمات منتحراً... بسبب القاء نفسه من أعلى...
«فَهُوَ يَتَرَدَّى فِي نَارِ جَهَنَّمَ»... فهو يسقط من أعلى الجبل... في نار
جهنم...

والتعبير بالمضارع يفيد الاستمرار...
أي فهو دائم التردى... يقف فوق الجبل... ثم يلقي بنفسه... من
الجبل... ويسقط الى الوادي السحيق...
انه يكرر ما كان يفعل في الدنيا...

يكرر عملية الانتحار... مراراً... وتكراراً...
«خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا» الى ما لا نهاية...
وكذلك من ألقى بنفسه من شرفة شقة... أو سطح منزل... أو أعلى
عمارة... أو من فوق كوبري...

كل أولئك... يكررون نفس المشهد الذي انتحروا عليه... أبداً...
عذاب ما بعده عذاب!!!
وهكذا... جمع رسول الله... «... كل أنواع الانتحار... في هذه
الثلاث!!!

إِمَّا الْقَتْلُ بِآلَةٍ حَادَةٍ... وَإِمَّا الْقَتْلُ بِالسُّمِّ... وَإِمَّا الْقَتْلُ بِالتَّرَدَّى مِنْ مَكَانٍ
مرتفع...

ثم كشف للبشرية عن المصير الرهيب... الذي يصير اليه المنتحرون...

انه يُقذف الى الجحيم...
ثم هو يعذب بالقيام بتكرار المشهد الانتحاري الذي انتحر عليه...
وأن ذلك يكون منه أبداً!!!
وذلك كله حق اليقين... لان رسول الله... ﷺ لا ينطق عن الهوى... إن هو إلا وَحْيٌ يُوحى...
ولكن الممكنون فيه... أن رسول الله... ﷺ يعظم حرمة الحياة...
وليس كما يفهم الجاهلون... يُقلل من شأنها...
انه يدعو الى الحياة... في أكرم... وأشرف... وأيسر... وأحلى...
صورها...

يدعو اليها في حلالها... الذي أحله الله...
يدعو الى الانتظام مع النواميس الالهية... نواميس الفطرة التي فطر الله
الناس عليها...

ثم هو بعد ذلك يدعو الى تحريم القضاء على الحياة...
حين حرم أشد التحريم... وتوعد أشد الوعيد... المنتحرين...
مهما كانت صورة الانتحار... ومهما كانت دوافع الانتحار... فان
مصير المنتحر النار!!!
لماذا؟!

لان المنتحر... يائس من رحمة الله التي وسعت كل شيء...
ولو علم مَنْ فُكِّر في الانتحار... أن رحمة الله قريب منه...
ما عليه الا أن يدير مفتاح قلبه... الى الله... فإذا بها تتدفق فوراً اليه...
فتبدل بؤسه بسعادة... وشقاءه سروراً... وكآبته فرحاً... وفقره غنى...
وضيقه سعة...

لو علم الذي يفكر في الانتحار أن رحمة الله قريب منه...
ما فُكِّر فيما فيه... قَدَّر... ودَبَّر... وفُكِّر!!!
ولكنه الشيطان... يكيد للإنسان في أعز مقوماته...

فيزين له أن يقتل نفسه... ليهلكه هلاكاً محققاً ابدياً...
إن شخصية محمد... ﷺ... تبدو نوراً... عظيماً... يتلأأ... في
مقاماته العلى... حين يحرم أشد التحريم الانتحار...
وحين يتوعد المتحررين بالخلود في نار جهنم...
لأنها بذلك تحرم اليأس على الانسان...
وتحرم القنوط من رحمة الله على الانسان... وتعلن على الوجود نداء
الله... تبارك وتعالى: ﴿قُلْ: يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ﴾.

(الزمر ٥٢)

كل الذنوب يغفرها الله...
كل الذنوب يسقطها الله... كأن لم تكن...
متى أناب القلب الى الله... متى تاب المرء... متى رجع الى ربه...
وبمجرد التوبة الصادقة... يحدث الانقلاب...
ينقلب القلب من أسفل الى أعلى... من الاتجاه الى الشيطان... الى
الاتجاه الى الله...
فيخرج فوراً من الظلمات... الى النور... ويخرج فوراً من أحاسيسه
المظلمة الجهنمية... الحارقة...
الى أحاسيس منيرة... كلها رحمة... ونور... وأمل... وشفاء... وثبو قد
اتجه المستحرج بقلبه الى ربه... حين فكر في الانتحار...
لوجد الله معه فوراً... يرحمه برحمته... ويشير قلبه بنوره... ويخرجه
من مأزقه... ويستره في عورته... وينزل عليه سكنته... ويحول بؤسه
أنساً وسروراً...
هنالك يدرك المقدم على الانتحار... أنه كان مجنوناً... ومغفلاً
كبيراً... حين راودته فكرة الانتحار!!!

إنَّ محمداً... ﷺ يدعو الى الحياة... في أصفى صورها... صورة
الحلال...

ثم يدعو الى تحريم هدم الحياة... لأنها منحة الله... هبة الله الغالية...
التي وهبها للانسان...

ثم هو... بعد ذلك... يرسل أنواره... التي أنزل الله على قلبه... في
ثناياها... فيجعل عُسرَها يسراً... وضيقَها فرجاً... وفقرها غنى...
ومرارتها حلاوة... وشقاءها سعادة... وليلها نهاراً... وأثقالها تخفيفاً...
وتكاليفها أجراً عظيماً...

وليس ذاك وحده... بل ييث في ثناياها... أمواج الرحمة...
فتتلاقى أمواج الرحمة... مع أمواج النور...
فاذا الحياة حياة...

حياة عليا... لا نهائية... الدنيا بدايتها... والآخرة وسطها... والجنة
نعيمها... والله غايتها...

فلا نهاية للحياة عند محمد... ﷺ «خالدين فيها أبداً»...
فاذا ما أمد الحياة بمدد الخلود الأبدى...

نادى في الناس... أن جاهدوا في سبيل الله... لتظفروا بذلك النعيم
الأبدى...

ثم حمل المشعل المقدس... وتقدم الصفوف... مجاهداً... فأشعل
الحياة... من أقوى دوافع الاشعال...

أشعلها من قلب الانسان...

وأشعل القلب... بنور الله...

فاشتعل القلب... نورا... ورحمة... وجمالاً... وحباً... ورغبة فيما
عند الله... ورهبة...

وانفجرت بذلك أعلى... وأحلى... وأعلى ما في الانسان...

وانفجرت من ينابيع قلبه... العلم... والحكمة... والتوحيد...

والتوجه... والتفريد... والتفريد...
 فاذا الحياة عند العارفين... حلوة... لأنها هبة الله...
 ولأنها فرصة وحيدة... لمعرفة الله...
 ولأنها فرصة أولى وأخيرة... لطاعة الله...
 ولأنها مفتاح حياة أبدية... حياة الآخرة...
 ولأنها الفطرة... التي اختصرت فيها حقائق الآخرة...
 أو الإشارة... الى عبارة الآخرة...
 أو الإشارة... الى عبارة الآخرة...
 أو نقرة عصفور... من بحر الأبدية... ورأى العارفون بعيون قلوبهم...
 أن الله تعالى يناديهم: عبادي... عبادي...
 فزفروا اليه... هاتفين: كَبِّكَ... لبيك...
 هنالك احلوت الحياة الدنيا...
 لأن محمدا... ﷺ... فتح لقلوب العارفين... جناتها...
 فنعموا بنعيمها... في دنياهم... قبل أن يدخلوا جنات الآخرة...
 تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
 جَنَّاتٍ﴾...

(الرحمن ٤٦)

جنة في الدنيا... هي أنوار المعرفة...
 وجنة في الآخرة... هي نعيم الجنة...
 ولذلك قالوا: جنة ظاهرة... وأخرى باطنة!!
 تلك نقرة... من قطرة... من بحار... أنوار... ذلك الحديث الذي
 مسسنا أنواره من بعيد... من بعيد...
 وآه لو رأينا شيئا من حقائق أنواره... ثم آه...
 هنالك تنفجر العيون بُكْيًا...
 وتخر الوجوه سُجْدًا... سبحانه مَنْ أَرْسَلَ بَشْرًا... أَسْمَاءُ مُحَمَّدًا!!!

في مقام...
العلاج الروحي...؟!

تخلخلت هذه المسألة على الكثيرين...
فمنهم من ذهب الى العلاج المادي وحده... وأنكره فائدة العلاج
الروحي...
ومنهم من ذهب الى العلاج الروحي وحده... وأنكر جدوى العلاج
المادي...
والحق أن مسألة علاج الامراض البدنية... من أهم وأخطر المشاكل
التي تواجه الانسان في حياته اليومية...
فالمرض اذا فاجأ الانسان... أفسد عليه صلاح أمره... وأمر الذين
معه...
ويعتبر المرض البدني... أكبر خطر يهدد حياة الانسان... على
الاطلاق... ذلك أن الحياة هي الصحة... والصحة هي الحياة...
فلا قيمة لحياة يكون فيها الانسان مريضاً... الا أن يصح جسمه...
ويعاود نشاطه...
ولقد نشطت الحضارة الحديثة... في علوم الطب... والصيدلة...
والتغذية... والتحليل النفسي...
وحققت الحياة الحديثة تقدماً في ذلك عظيماً... فكان ذلك رحمة
وأي رحمة للمرضى...

وذلك كله دعا اليه رسول الله... ﷺ ... كما رأينا سالفاً «يا عباد الله
تداووا...»

الا أن نقطة الخطر ليست هي ذلك... وانما هي: ما هو المنهج
الصحيح، الذي ينبغي على الانسان، أن يتوازن عليه، بين العلاج البدني،
والعلاج الروحي؟

ويقدم رسول الله... ﷺ ... الى البشرية الميزان جسمانيا...
ونفسانيا...

يدعو الى علاج المرض... بدنياً... وروحياً... وهذا هو الاتجاه
المستقيم... والنهج القويم... في هذا السبيل...

فهو يدعو الى اعطاء كل ذي حق حقه...
يدعو الى التماس الدواء... وتناوله... بعد اجراء العلاج اللازم...
والفحص الطبي المطلوب...

وذلك بقوله: «يا عباد الله تداووا...»

وفي نفس الوقت... يدعو الى العلاج النفسي... أو الروحي...
حين يوجه القلوب الى التوجه الى ربها تسألها الشفاء...
وهكذا يستقيم المريض... على العلاج الظاهر... والعلاج الباطن في
وقت واحد...

فلا العلاج المادي يغني عن الروحي... ولا الروحي يغني عن
المادي...

وهذا النهج المحكم... هو ما تحاول العلوم الحديثة... سلوكه... في
أيامنا هذه...

فقد اكتشف الاطباء أن العلاج الطبي ليس كافياً وحده...
وانما هناك جوانب نفسية... ينبغي الالتفات اليها... واعطاؤها
حقها... بجنب العلاج المادي...

وقد بدأت العيادات النفسية... تنتشر في الحياة الحديثة... وتباشر مهمتها العلاجية... جنباً الى جنب العيادات الطبية...

وهذا الذي تنبّهت له المدنية الحديثة... متأخراً... وجه اليه رسول الله ﷺ... منذ بعثه الله رسولا... منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة...

وقد جاءت عنه اشعاعات عليا... في هذا السبيل... تعتبر أصدق... وأحكم... وأدق... علاجات روحية... يمكن أن يرقى اليها البشر...

ذلك أن مكنوناتها... هو توجيه القلب... الى ربه... في اخلاص المضطر... ليعينه على البرء من مرضه... والشفاء من دائه...

ومن نماذج العلاج الروحي... ذلك الانموذج الفذ... الذي صَحَّ عن رسول الله ﷺ...

«عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِي، أَنَّهُ قَالَ: أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِي وَجَعٌ، قَدْ كَانَ يُهْلِكُنِي...

»فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: امْسَحْ بِيَمِينِكَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ...

»قَالَ: فَفَعَلْتُ...
»فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي

» فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُ بِهِ، أَهْلِي، وَغَيْرَهُمْ.»
(أخرجه الترمذی)

ذلك أسلوب من العلاج الروحي... الذي أرشد رسول الله ﷺ... اليه صاحبه...

ويمكنون ذلك أنه دعاء... والتجاء... والتماس من الله للشفاء...
إن رسول الله ﷺ... يأمره أن يوجه قلبه... في اخلاص تام الى

ربه...
ثم يناديه... ويلتجئ اليه: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا

أَجِدُ»...

وأرشده... أن يمسح يمينه مكان الوجع... ويردد مع كل مسحة ذلك الدعاء...

سبع مرات؟!...

والمكتون في السبع... أنها تكرر... حتى تتم استقامة القلب... ويكمل توجهه الى الله...

وإذا علم أن الذي وجهه الى ذلك هو رسول الله... ﷺ...

أقوى... وأعلى... نور... في القلوب...

وأن الذي تلقى ذلك التوجيه الشريف... صاحبه... الذي له قلب مؤمن... مخلص... يحسن التوجه الى ربه...

كان معنى ذلك أن نورا محمديا... شع في قلب الرجل... فاستقام قلبه... نحو ربه...

وأسقط الرجل الأغيار... والسوى... واتجه في اضطراب...

يهتف: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُهُ»...

وكلما قالها مرة... ازداد قلبه قربا من الله...

حتى اشتعل القلب نورا... فأصاب دعاؤه... من الله قبولا...

فاستجاب له!!!

يسجل الرجل... ذلك الحادث الفذ... فيقول: «فَفَعَلْتُ فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا كَانَ بِي»

وذهب عنه المرض الذي كان يهلكه!!!

ثم تزداد فرحة الرجل... بفضل الله تعالى عليه... فيذهب يذيع ما تعلمه على أهله... وعلى كل من يحب ويلقى...

ليدخلوا التجربة التي دخلها... وينتفعوا بالخير الذي أصابه...

فيقول: «فَلَمْ أَزَلْ، أَمُرُّ بِهِ أَهْلِي، وَغَيْرَهُمْ»...

ما هذا؟!...

هذا أسلوب من العلاج الروحي... الذي قرر أصوله العامة... رسول

الله... ﷺ... وهو ينحصر في اقامة القلب مع الله... والتوجه اليه...
مرارا... أن يذهب عن الانسان شرَّ ما يجد...
ففي الوقت الذي هو علاج روحي... هو علاج نفسي... هو علاج
بدني... هو علاج تربوي... هو دعوة الى الله... هو تقرب الى الله... هو
خروج من الظلمات الى النور...
هو استجابة من الله...
هو اذهاب للمرض... هو فرحة بفضل الله على المريض...
هو ادراك لعظمة الشخصية... شخصية محمد... ﷺ...
تلك التي آتاها الله تعالى... من كل شيء...
ففاقت... وامتازت... في كل أمر...
حتى كأنها النور... يتوزع على المؤمنين كيف يشاء...
وهذا العلاج الروحي... توافرت فيه دعائم النجاح كلها...
فهو حقّ وصدق... لأن الذي أمر به رسول الله... ﷺ... الذي ما
ينطق عن الهوى...
ثم القلب الذي انتفع به... قلب مؤمن... مخلص... يدعو في صدق
واخلاص وانكسار...
ومتى اجتمع للدعاء شرف اتباع رسول الله... ﷺ... وشرف الصدق
من قلب المؤمن الذي يدعو... فهو حقيق أن يستجاب...
ذلك أن اتباع رسول الله... ﷺ... معناه الانتظام على الناموس
الالهي... الذي فطر الله عليه الخلق جميعا...
وايمان الذي يدعو... معناه أن هناك قلبا متجها الى الله... قلبا فيه
نور... لأنه في مقامات النور...
فاذا اتجه النور الذي في القلب... الى نور السماوات والارض...
تلاحم النوران... فأمد نور السماوات الارض... بمدد... لا يتفد... ونزل
الامداد السماوي... الى القلب المنير...

ففعل بالبدن الأعاجيب!!!
تلك ذرات... من قطرات... من شعاعات... اشعاعات... تلك
الأنوار... الكامنة في ذلك الأثر الخالد العجيب...
وهناك أحاديث فيها من بحار النور... في هذا السبيل... غير ذلك
الحديث كثير...
وانما المقام مقام الشخصية... لا مقام تفصيل آثارها...
الشخصية التي شرعت أحكم شرائع الدواء...
ووضعت أرقى موازين الشفاء...
فالدواء دواء... في كل آن...
دواء ظاهر... هو الطبيب والأدوية...
ودواء باطن... هو الالتجاء بقلب مخلص الى الله...
فاذا مرض المريض... فعليه بتنفيذ الاتجاهين...
عليه بعرض نفسه على الطبيب... واتباع تعاليمه التي يشير بها...
وتناول الأدوية التي يحددها له...
وذلك حق البدن... والعلم... والأخذ بالاسباب...
وفي نفس الوقت... عليه أن يدير قلبه الى الله... وينكسر لجلاله
وعظمته... ويدعوه بعزته وقوته... أن يذهب عنه ما يجد...
هنالك يتكامل الشفاء... وتتوازن شخصية الانسان... بين الأسباب...
والتوكل...
بين تنفيذ نوااميس الله... القوانين الطبيعية... التي تأمر بالأخذ
بالاسباب...
وبين تحقيق التوكل الصحيح... وهو التوجه القلبي الى الله وسؤاله
الشفاء...
ومتى أخذ الانسان في الأسباب... ثم اتجه اليه تعالى بقلبه...
استجيب له...

وكان الشفاء مأمولا!!!

فالماديون الذين طَوَّحُوا بالعلاج الباطن... قد جاءوا ظُلْمًا وزورًا...
والروحيون الذين طَوَّحُوا بالعلاج الظاهر... قد سلكوا ضلالًا بعيدًا...
وانما الميزان المستقيم... هو أسلوب رسول الله ﷺ...
حين نادى بالعلاج الظاهر: «يا عباد الله تَدَاوَوْا...»
وحين نادى بالعلاج الباطن: «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ، وَقُوَّتِهِ، مِنْ شَرِّ مَا
أَجِدُ...»

وذلك شأنه دائما... يشير عليك... بأرقى... وأعلى... وأقوم...
سبيل...

وذلك المقام... مقام التوجيه الصحيح... لكل انسان في الأرض...
والقدرة على اقامة الميزان المستقيم في كل أمر من الامور...
هو مقام شخصية رسول الله ﷺ...
ولن يستطيع ذلك من أحد غيره في الوجود... الى يوم القيامة... لقد
كان رسول الله ﷺ...

يتداوى... ويأخذ بالأسباب... في نفس الوقت الذي كان قلبه
الشريف... في اتجاه دائم الى ربه تبارك وتعالى...

والنصوص قاطعة في هذا السبيل... «عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: سُئِلَ سَهْلُ
ابْنِ سَعْدٍ، وَأَنَا أَسْمَعُ: بِأَيِّ شَيْءٍ دُوِيَ جَرْحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟

«فَقَالَ: مَا بَقِيَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي

«كَانَ عَلَيَّ يَأْتِي بِالْمَاءِ، فِي ثَرَمِهِ

«وَفَاطِمَةُ تَغْسِلُ عَنْهُ الدَّمَ...

«وَأُخْرِقَ لَهُ حَصِيرٌ

«فَحَسَى بِهِ جَرْحُهُ.»

(أخرجه الترمذی)

ذلك نص صارخ... في وجه أولئك الذين يظنون أن العلاج الروحي

وحده يكفي للشفاء!!!
ذلك محمد... رسول الله... ﷺ...
الذي ان دعا ربه استجيب له فوراً...
فهو أعلى... وأقرب القلوب... الى علام الغيوب...
ذلك هو يتوازن على الناموس الالهي... ويأتمر بأمره تعالى... الذي
أمر بالأسباب...

فيلتمس لعلاج جراحه... كل الأسباب الممكنة في عصره...
وفي نفس الوقت... كان قلبه الشريف... مع ربه... يسأله...
شهوداً... وقرباً... أن يشفيه من جراحه!!!
ذلك هو الانموذج... العظيم... الجميل المعجز...
للانسان الاعلى...
الذي أرسله الله ليكون ميزاناً مستقيماً... لسلوك كل انسان...
كان علي بن أبي طالب يأتي بالماء...
وكانت فاطمة... ابنته... تقوم بغسل الدم عنه...
ذلك هو الانموذج العظيم... المعجز... لقوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ...﴾

(هود ١١٢)

لقد أمره بالأخذ بالاسباب... فهو يأخذ بها...
وأمره بالتوجه اليه على كل حال... فهو متوجه بقلبه اليه على كل
حال...
وهذا مكنون قول عائشة في وصف زوجها... أشرف... وأعلى...
وأكرم زوج... حين سجلت أن رسول الله ﷺ كان يذكر الله تعالى على
كل أحيانه...
وذكر الله عند رسول الله... ﷺ...
ذكر الشهود... أعلي مقامات الشهود...

وأغلاها... وأرقاها... وأبهاها...
ورغم أن محمدا... ﷺ...
كان قلبا مع الله دائما...
رغم أن قلبه متجه الى الله دائما...
فقد أقام الأخذ بالاسباب من نفسه...
تشريعا لأمته من بعده... وتوجيها للناس جميعا... أن هذا هو الطريق
المستقيم... والأسلوب القويم!!!

لماذا...!

الأمراض...؟!

الحياة تدار لحساب الله...
وليست تدار لحسابنا...
ذلك ناموس الهي... مقرر... لا تبديل له ولا تغيير...
وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

(الذاريات ٥٦)

من أجل ذلك كانت نواميس الحياة... تجري... وتسري لتحقيق غاية الحياة...

التي من أجلها... خلقها الله...
وغاية الحياة... هو تحقيق العبودية لله ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾... ما خلقتهم
إلا لغاية واحدة... أن يعبدوني...
فالإنسان عبد... لله...

والعبودية... تقتضي استمرار توجه القلب الى الله...
إلا أن الناس نسوا ذلك الاصل العام في خلقهم...
فنسوا تبعاً لذلك... الغاية من حياتهم... فاختلط الأمر عليهم...
وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿تَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ...﴾
(الحشر ١٩)

تحولت قلوبهم عن الله... فكان العقاب الاوتوماتيكي... أنهم أظلمت قلوبهم... فنسوا تبعاً لذلك ما فيه صلاح أنفسهم... وهو أن تتجه قلوبهم إلينا... لتحقيق العبودية لنا!!!

فالحياة اذا تدار لحساب الله... وليست لحسابنا... وما ضلَّ مَنْ ضلَّ في هذه الحياة... الا حين نسي هذا الاصل العام... وذهب يدير الحياة لحسابه...

فوقع في ظلمات بعضها فوق بعض... وما خرج انسان على الناموس... الا تحطم... تحطيمًا... كقائد السيارة اذا خرج على قواعد المرور... فسرعان ما يصطدم بسيارة أخرى... ويتهشم تهشيمًا...

وكل ناموس خلقه الله... يحمل في باطنه... عقوبة كل خارج عليه... من الكائنات... كائنا من كان... ذلك الخارج...

والخروج على الناموس... تجده مكنونا في التعبير القرآني ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ أي الخارجون عن حدودي... عن نواميسي!!! وهذه النظرية... نظرية أن الحياة تدار لحساب الله...

مفتاح كثير من غوامض هذه الحياة... التي يقف الانسان حائرا أمامها... لا يدري لها تفسير!

فمن تلك الغوامض... مسألة الأمراض... وكونها ضريبة حتمية على كل انسان...

ويسأل الانسان دائما: لماذا الامراض؟

لماذا لم تُخلق الحياة خالية من هذه الامراض... الثقيلة... التي تصب الآلام على الانسان صبا؟

وما هي الغاية من جعل حياة الانسان سلسلة متصلة من الأوجاع والآلام؟

وما هي الغاية من الاصرار على إتعاب الانسان دائما في هذه الحياة؟

وهذه الاسئلة... لا تتوقف ظاهرا... أو باطنا... من كل انسان...
كلما أصابه شيء من المرض... وأحس بلذع آلامه!!!
وذلك كله لان الانسان يظن أن الحياة تدار لحسابه الخاص...
ولو كان الأمر كذلك... لكان طبيعيا أن تخلو الحياة من المرض...
وتصفو حياته من الآلام...
أي: لو أن الانسان هو صانع نفسه... وخالق حياته... لاختار لنفسه
أحسن الاساليب التي تحقق له ما يشاء...
ولكن الأمر ليس كذلك...
الامر أن الله هو الذي خَلَقَ الحياة...
وهو الذي يدبر أمرها...
وهو سبحانه الذي يديرها لحسابه... لا لحسابنا...
فاذا علم ذلك... انفتحت لنا مغاليق المسألة... وباطنها المكنون...
فلننظر الآن... لماذا الامراض... من زاوية الحكمة الالهية... في خلق
الامراض...

قال سبحانه: ﴿وَلْتَبْلُوْكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُّصِيبَةٌ
قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ
وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝﴾.

(البقرة ١٥٥ - ١٥٧)

هذا هو التصميم الالهي للحياة... أو الحكمة الالهية... من وجود
المصائب أثناء الحياة... أو وجهة نظر الالهية... في المشكلة التي يحار
الانسان في فهمها...

﴿وَلْتَبْلُوْكُمْ﴾ ولنتحنتكم.. ولنتخبرنكم... ولنضعنكم... فردا
فردا... ذكرا أو أنثى... أفرادا... أو جماعات... أمما أو شعوبا...
حاكمين أو محكومين... أغنياء أو فقراء...

حتما... قررناه...
 ناموس وضعناه... يتحتم على كل انسان أن يمر عليه... كره أم
 رضي... فر منه أم أقبل عليه...
 ﴿بِشْيءٍ﴾ قليل أو كثير... ظاهر أو باطن... معلوم لكم أم
 مجهول... ماض أم مستقبل...
 ﴿مَنْ الْخَوْفِ﴾ من الرعب... من الماضي أو الحاضر أو
 المستقبل...
 نسلط عليكم بواعث الخوف... تهز قلوبكم هزا... رفيقا... أو
 عميقا... رفيقا أو دقيقا...
 ﴿وَالْجُوعِ﴾ وبشيء من الجوع... من الحاجة... والاحتياج...
 ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ من جميع أنواع الاموال... جميع أنواع
 الثروة... مائة أو بركة... أو جوية... نقص منها... بأساليب مختلفة
 نسلطها عليها...
 ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ ونقص من الأنفس... إما بالإمالة... وفقد الأنفس...
 وإما بنقص الأنفس نفسها بالامراض... التي تؤدي الى نقص القوة
 الجسمية... وضعف القوة البدنية...
 ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾ ونقص من جميع أنواع الثمرات... من محاصيل
 زراعية... أو فواكه... أو أشجار... أو نباتات...
 ومن ثمرات الأفئدة... الأولاد... فلذات أكبادهم...
 لماذا التجربة الحتمية... تجربة الابتلاء؟
 ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ الذين يصبرون على هذه النواميس... ويعلمون
 أنها ضرائب حتمية... ولا يجزعون من وقوعها... ويستقبلونها بالصبر
 عليها... والرضا بقضائنا... والالتجاء إلينا لدفعها عنهم... وتعويضهم
 خيرا منها...
 من هم الصابرون... الذين لهم البشرى عند الله؟

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنَّا نَعْتَدُ﴾ الذين اذا وقعت بهم نازلة من هذه النوازل... أو غيرها...

الذين اذا أصابتهم وسائل التجربة... تجربة الابتلاء الالهي...

﴿قَالُوا﴾ بقلوبهم... بباطنهم... اتجهوا بقلوبهم اليها...

دفعتهم المصيبة اليها دفعا... وزادتهم التجاء اليها...

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ إنا مخلوقون لله...

وها هنا يوضع مفتاح الأمر كله في يدنا...

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ لحساب الله...

إن الحياة تدار لحساب الله... لا لحسابنا...

وإنا مخلوقون لحسابه... سبحانه وتعالى... فينبغي الرضى بما أراد...

والاتجاه اليه تعالى اذا وقع بنا شيء مما أراد بنا... ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾!!؟

هذا هو أخطر مفتاح في القضية كلها...

﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ حتما عائدون اليه تعالى... ليثيب من أحسن...

ويعاقب من أساء...

وهذا مفتاح آخر... أن الله سائل كل انسان عما عمل في الحياة...

لأن الله خلق كل انسان ليكون عبدا له... هو وحده...

والعبد لا يجوز أن يخالف مولاه!!

﴿أُولَئِكَ﴾ العظماء... الفقهاء... النبلاء... الذين فقهوا أسرار

الحياة... وزادتهم البلياء... التجاء اليها...

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ نرفعهم درجات عندنا... فوق

درجات... كل على قدر نجاحه في الاختبار...

وصلاة الله على العباد... هي اخراجهم من الظلمات الى النور...

واعلاء درجاتهم... ومنازلهم في مقامات النور...

وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ (الأحزاب ٤٣)

فهو سبحانه يصلي علينا...
لماذا؟ ليخرجنا من الظلمات الى النور...
فاذا قال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ﴾ كان مكنون ذلك... أن
أولئك العظماء نخرجهم من ظلمات المعاصي... الى نور الطاعة...
ثم نزيدهم منا صلوات... أي نزيدهم درجات...
أي نقرّبهم... أكثر فأكثر...
أي نزيدهم نورا... على نور...
ومكنون ذلك كله أن الانسان الذي يستقبل المصيبة... أيا ما كانت
بقلب على البلاء صابر...
معنى ذلك أن قلبه يتجه الى الله...
وبمجرد اتجاه قلبه الى الله يخرج أوتوماتيكيا من الظلمات الى النور...
وكلما ازداد التجاء الى الله... كلما ازداد رقا في مقامات النور... أي
ازداد نورا...
ومتى دخل مقامات النور... نعم بإنعاماتها... فالملائكة تصلي عليه...
أي تطالب من الله أن يزيده رحمة... وأن يزيده رفعة عنده... أن يرفع
درجاته... ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾..
﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ هم الكاملون في الاهتداء... الذين فقهوا
أسرار الحياة... ولماذا خلقناها...
وعلموا أن الحياة خلقناها لحسابنا... وأنهم خلقوا من أجلنا...
ويتلأأ رسول الله... ﷺ... في ذلك المقام... ويأتي بالاعاجيب...
التي لا يرتفع الى مستواها... الا من آتاه الله منه وحيا عظيما...
«عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
«إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا، حَمَاهُ الدُّنْيَا، كَمَا يَظُلُّ أَحَدُكُمْ، يَخِمِي سَقِيمَهُ
الماء»

(أخرجه الترمذی)

أي: يمنع مريضه من تناول الماء... اذا كان في تناوله ضرر له...
هذا أسلوب الهي... مع من يحب من عباده...
يحميهم الدنيا... يمنعهم من الركون اليها... أو يمنع عنهم زينتها...
حتى لا يركنوا اليها...

وفي ذلك صحة قلوبهم... وضمان اتجاهها اليه تعالى...
كما يقرر الطبيب... منع مريض ما بمرض ما... من تناول الماء...
حرصا على صحته... أو منعا لازدياد المرض... ذلك أسلوب الهي...
عميق... دقيق... رقيق... سحيق...

ولكن الذين ينظرون الى الظاهر... لا يلتفتون الى ذلك... وسرعان ما
يضيقون اذا ضيق عليهم شيئا ما من أرزاقهم...
والمنع يتحقق باعطاء الدنيا... مع صرف القلب عنها... الى الله...
وذلك هو الغني الشاكر...

أو بمنع نفس الدنيا عن العبد... بتضييق رزقه... وتقليل نصيبه فيها من
المال والزينة... مع صرف قلبه الى الله... وذلك هو الفقير الصابر...
وكلاهما خير لمن أحب الله تعالى من عباده!!!
فهل في الوجود... من شخصية... تلتفت الى هذه الدقائق من نواميس
الله تعالى في العباد؟!

كلا... هناك استحالة أن تجد مثل هذا العقل!
ولكنك اذا جئت شخصية محمد... ﷺ ... وجدت منها...
بحارا... وأنهارا... وعيونا... من النواميس الالهية... والأسرار الربانية...
تتفجر من قلبه الشريف... تفجيرا... وذلك آية نبوته... ودليل رسالته...
وبرهان نوره... المكنون... في قلبه... العظيم!!!
وأخرى... فيها آية... أي آية دالة على عظمة الشخصية... وأنها أوتيت
ما لم يؤت أحد من العالمين...
وقال رسول الله ﷺ:

«لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ
«فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ، وَيَسْقِيهِمْ».

(أخرجه الترمذی)

ما هذا الذي قال رسول الله... ﷺ ... ولم يك طبييا محترفا... ولا
باحثا في علوم التطبيب!؟

انه يغرف من بحار النور... التي جعلها الله تعالى مكنونة في قلبه...
«لَا تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ» لا ترغموهم... لا تضغطوا على المرضى...
«على الطعام» على تناول الاطعمة والاشربة... التي يكرهون
تناولها...

لماذا؟!

ها هنا المفتاح... «فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ»... فإن الله تعالى
يعطيهم القوة التي يحتملون بها الحياة... بلا طعام أو شراب... مما
تكرهونهم عليه...

وقد ثبت علميا أن المريض... يستهلك المخزون في كبده أولا... ثم
يستهلك الدهون التي في جسمه... ثم يبدأ في السحب من اللحم...
وتلك مرحلة خطيرة على المريض...

وهذا هو المكنون في قوله «إِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ»... ان الله
جعل من النواميس... من القوانين الطبيعية... ما يجعل أجهزة جسم
المريض... تستهلك من داخله... بدلا من تناول الطعام الخارجي...
وذلك لعجز أجهزته عن هضم الطعام وأداء مهمتها!!!

فانظر جمال الشخصية... حين تجعل من النور كلاما... ومن الكلام
نورا...

الا أنه مكنون... عن العيون التي في الوجوه... وانما تراه عيون
القلوب... التي في الصدور!!!
وذلك أيضا مكنون في قوله سبحانه:

﴿فَإِنَّهَا لَا تَغْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَغْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ﴾!!!

(الحج ٤٦)

فما لهؤلاء... الأطباء... لا يأتون محمدا... ﷺ... مؤمنين...
مسلمين... تسليما!!!

ثم يرسل رسول الله... ﷺ... اشعاعا عجيبا... يملأ الارض نورا...
اشعاعا يخص الأطباء قبل غيرهم...

ثم هو يوجه المرضى عموما... أيا ما كانت أمراضهم...
ويرسل فيه شرطا... عجيبا... هو ألا يكون التداوي بما حرمه الله...
«عَنْ سِمَاكِ، إِنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَائِلٍ، عَنْ أَبِيهِ...
«أَنَّهُ شَهِدَ النَّبِيَّ ﷺ

«وَسَأَلَهُ سُوَيْدُ بْنُ طَارِقٍ، عَنْ الْخَمْرِ...
«فَنَهَاهُ عَنْهُ

«فَقَالَ: إِنَّا نَتَدَاوَى بِهَا؟!

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهَا دَاءٌ.»

(أخرجه الترمذی)

يسأله: إِنَّا نَتَدَاوَى بِهَا؟!

فكان جوابه الخالد... الجامع:

«إِنَّهَا لَيْسَتْ بِدَوَاءٍ، وَلَكِنَّهَا دَاءٌ!!!»

ولكنها مرض... اذا أدمنها المريض بحجة التداوي... لم يستطع منها
خلاصا...

وانها فوق ما هي مرض بالقلب... فانها تنقلب الى مرض بدني... لما
في تعاطيها من الامراض البدنية... المهلكة...

واسأل الاطباء... ينبئوك عن الامراض التي تصيب مدمني الخمر!!!
وذلك الاشعاع... الذي أذاعه رسول الله... ﷺ...

فيه توجيه شريف... لكل طبيب... أن يتعد عن مداواة مرضاه
بالخمر...

حتى لا يخلصهم من مرض... ليدخلهم بعد ذلك في أمراض... تهدُّ
بنيانهم هداً!!!

فتأمل عجائب... تلك الشخصية... كيف لا يغيب عن تفكيرها أمر...
أمام تراحم الأمور على عقلها...

ولكن النور... ساطع... قاطع... دائما وأبدا...

وتلك هي النبوة... والرسالة... اذا اختص الله بها... عبدا...

أو انظروا الى الشخصية... حين تسأل: هل الأسباب ترد المقادير؟

وذلك هو السؤال الخالد... الرهيب... الذي يحير الانسان دائما...

إذا كان كل شيء بقدر... فلماذا نعمل... ولماذا نأخذ بالأسباب؟!

«سألت رسول الله ﷺ، فقلت:

«يا رسول الله، أرايت رقي نسترققها، ودواء تداوى به، وثقاة تنقيها

هل ترد من قدر الله شيئا؟

قال: هي من قدر الله.»

(أخرجه الترمذی)

من في الوجود يستطيع ذلك الجواب... الا رسول الله ﷺ...؟!؟

يسأل الرجل... «يا رسول الله»...

توقير... وتعظيم... لشخصية... أعظم شخصية... عندهم... لانها

أعظم شخصية عند الله... لانها في حقيقتها أعظم شخصية لبشر!!!

لم يقل الرجل: يا محمد... كلا... وانما «يا رسول الله»...

يناديه باكرم صفات الشخصية... صفة الرسالة...

«أرايت رقي نسترققها»... والرقي هي دعاء الله تعالى بالشفاء... إما

من المريض... وإما أن يدعو له الغير...

ومعنى نسترققها... نطلبها من الغير...

انه العلاج الروحي... انه سؤال الله تعالى أن يشفى المريض...
«وَدَوَاءٌ تَدَاوَى بِهِ»... وأدوية نتناولها... ننداوى بها من الامراض...
«وَتَقَاةٌ تَقِيهَا»... وأخذنا بأساليب الوقاية... والوقاية خير من العلاج...
«هَلْ تُرَدُّ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً؟»...

هل دعاء الله وسؤاله الشفاء... يرد وقوع الامراض... ويرفعها اذا وقعت؟!

هل تناول الأدوية... والأخذ بأسباب العلاج... يؤدي الى الشفاء...
ويمنع وقوع القدر... اذا كان مقدرًا للانسان ان يمرض؟
هل الأخذ بالوقاية... والبعد عن أسباب نقل العدوى... يمنع الانسان
من أن يمرض، اذا كان الله قد قدر عليه أن يمرض؟!
كأن شيئاً من هذا... يريد صاحبه ان يسأل عنه!!
ومجمل تلك الاسئلة... التي تدور في رأس كل انسان... هل الدعاء
يرد القدر؟...

هل الأخذ بالاسباب يمنع وقوع القدر؟ لماذا نأخذ بالاسباب... والامر
قد سبق تقديره... والقدر لا يرد؟!
ولا يوجد سؤال حير العلماء، والفقهاء، والفلاسفة، والحكماء،
والأدباء... والنساء، والرجال، والشيوخ، والصبيان... مثل ذلك السؤال!!!
بأنه الحاح الانسان الطبيعي... لمعرفة أسرار الحياة!!!
ولم يستطع أحد أن يحسم المشكلة... ولا أن يضع فيها حلاً
حاسماً...

ولقد اختلفت البشرية... وما زالت تختلف... في جواب هذا
السؤال...

حتى الاسلاميين من المفكرين... خاضوا فيه خوضاً عظيماً...
وافترقوا فيه فرقا... وأحزاباً!!!

هنا يرفع الناس جميعاً رؤوسهم الى رسول الله... ﷺ...

وينادونه: أي رسول الله... نريد نورا لظلماتنا... وخسما لخلافاتنا...
وقولا فصلا... في ذلك الأمر الخطير...
فكان جواب رسول الله... ﷺ... أقصر جواب... وأجمع خطاب...
وفصل الخطاب!!!

انظر... «هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»!!!
قُضِيَ الأمر الذي فيه يختلفون!!!
«هِيَ» دعاء الله بالشفاء... تناول الادوية للتداوي... الاخذ بأساليب
الوقاية...

ويقاس عليها... الاخذ بالاسباب عموما... كالعمل... والاعداد...
والجهاد... والتعلم... والترقي... والتربية...
وكل سبب يؤدي الى نتيجة عملية...
«مِنْ» كل أنواع الاخذ بالاسباب...
«قَدْرِ اللَّهِ» مما قدره الله تقديرا...
فما مكنون ذلك الجواب الجامع... الذي لا يتأتى لبشر!!!
مكنونه... بحر عميق... من النور المكنون... الذي لا يفتححه الله
تعالى... الا لصفه... وخليله... وصفوته من خلقه... محمد... ﷺ...
بحر يتلأل ويتعالى... نورا... واشعاعا... وسناء... وبهاء...
«هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»!؟

ان الله تعالى حين خلق الخلق خلقهم على تقدير...
فما معنى التقدير!؟
هو بلغة زماننا... التخطيط... التصميم...
ومن الخطوط العامة في الخلق... ناموس الأخذ بالاسباب...
فمن رفع قدمه خطأ... ومن لم يرفع قدمه لم يتحرك...
ومن عمل وجد آثار عمله... ومن لم يعمل... لم يجد شيئا...
ومن تعلم علم... ومن لم يتعلم لم يعلم...

وهكذا... ناموس الهي... سار... جار... في الخلق...
فالله تعالى قَدَّر... خطط ذلك الناموس... ذلك القانون... الطبيعي...
أن الاسباب تؤدي الى المسببات... والمسببات تنشأ عن الاسباب...
وذلك لاعطاء الانسان فرصة العمل... شرف العمل... وليعلم من
أحسن عملا... ومن أساء عملا...
فمما قدره الله تعالى... مما خططه عند خَلْق الحياة البشرية...
أن المريض اذ دعاه وسأله الشفاء بقلب مؤمن مخلص... نظر في
دعائه واستجاب له...
ومما قَدَّر... وخططه... أن المريض اذا تداوى بالدواء اللازم تحقق
له الشفاء...
ومما قَدَّر... وخططه... أن الانسان اذا اتقى أسباب نقل العدوى...
لم ينتقل اليه المرض من الغير...
تلك نواميس الهية... أو قوانين طبيعية... مقررة... لا تبديل لها ولا
تحويل...
فمن انتظم عليها... كانت حياته طبيعية... مستقيمة... على نواميس
الله...
ومن خرج عليها... كانت حياته خاطئة... غير مستقيمة مع نواميس
الله...
ومن هنا قامت فكرة التكليف والمسؤولية...
فالانسان مكلف... مأمور بأوامر من الله... ومنهي عن أمور من الله...
وعليه أن يسارع الى تنفيذها فوراً...
وهو مسؤول عن ذلك أمام الله...
فان امثل كانت المكافأة جنة وخلوداً... وان أبى كانت ناراً
وسعيراً... لأن الله خلقه ذا ارادة حرة... تستطيع أن تطيع... وأن
تعصي...

تلك اشارات من محيطات... انوار... ذلك الجواب الذي لا يستطيعه... الا أوحى البشرية... وإمامها... محمد... ﷺ...

هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ؟!!

الأخذ بالاسباب... كلها... من قدر الله...
أي: عليكم أن تأخذوا بالأسباب... لتحقيق لكم الحياة... على أحسن صورها...

عليكم أن تتنافسوا في الخيرات... وأن تستبقوا فعل الخيرات... لان ذلك مما أمركم الله به... مما قدره الله... مما خططه الله للحياة... فلا تصادم هناك بين العمل... والقدر... ولا بين الطاعة... والقدر... ولا بين بذل أقصى الطاقة في الخير... والقدر... لأن القدر هو الناموس الالهي... هو التخطيط الالهي للحياة... ومن القدر... ومن التخطيط... أن لكل شيء سببا... وأن الاشياء لا تتحقق الا بتحقيق أسبابها... ذلك شيء يسير...

أو ذرة... من بحار... ذلك الجواب...
فانظر... عجائب الشخصية... حين... وضعت علوم الدنيا كلها...
ظاهرها... وباطنها في كلمات معدودات... «هِيَ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ»!!!
ونخرج من أنوار... تلك البحار...

الى اشعاع آخر... يكاد سنا برقه يذهب بالابصار!!
«عن أبي هريرة أن النبي ﷺ عادَ رَجُلًا مِنْ وَعَكٍ، كَانَ بِهِ
«فَقَالَ: أَبْشِرْ»

«فإن الله يقول: هِيَ نَارِي، أَسْلَطُهَا، عَلَى عَبْدِي، المَذْنِبِ، لِتَكُونَ حَظُّهُ، مِنَ النَّارِ».

(أخرجه الترمذی)

هذا هو جواب سؤال: لماذا الامراض؟
والجواب: هِيَ نَارِي، أُسَلِّطُهَا، عَلَى عَبْدِي المَذْنِبِ ، لِتَكُونَ حَظُّهُ مِنَ
النارِ !!!
«هِيَ نَارِي» الامراض نار الله في الدنيا... عذاب من عذابات الله
فيها...

«أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي» المؤمن...
«المَذْنِبِ» الذي من طبيعته أن يذنب... أن يخطئ... ويتعد عن
سبيلي....

«لِتَكُونَ حَظُّهُ» لتكون هذه الامراض نصيبه في الدنيا...
«من النار» من عذاب النار في الآخرة... فيخرج العبد المؤمن...
الراضي بما أصبناه... الصابر على ما ابتليناه... نقيا من الذنوب...
تلك هي حكمة الأمراض... انها تغسل الذنوب...
أي: ترد القلوب الى الله...

أي: تخرج الانسان الشارد... من الظلمات الى النور...
ويسجل رسول الله... ﷺ... حكمة الله... في اصابة الانسان
بالامراض... تسجيلا... جميلا... خالدا... بلغ من الكمال... أقصاه...
« قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«إِنَّمَا مَثَلُ الْمَرِيضِ، إِذَا بَرَأَ، وَصَحَّ...

«كَالْبَرْدَةِ ، تَقَعُ مِنَ السَّمَاءِ ...

«فِي صَفَائِهَا، وَلَوْنِهَا».

(أخرجه الترمذی)

مثل المريض، اذا برأ من مرضه، وصح جسمه... وعادت اليه
صحته، وقوته...

«كَالْبَرْدَةِ» كقطعة الثلج... التي تسقط من السماء...
والبردة واحدة البرد... وهو كرات الثلج التي تتساقط من السماء...

«في صفائها» يخرج من مرضه صافي القلب...
«ولونها» نقيا نقاء قطعة الثلج... تقع من السماء... ولم تختلط بعد
بأوساخ الأرض...
كأن ذلك جواب رسول الله... ﷺ ... عن السؤال الخطير:
لماذا الامراض؟
يكشف لنا فيه... من الأسرار الالهية... والأنوار الربانية..
ما لا سبيل اليه... الا عن طريقه...
فكم يخسر الانسان... اذا لم يتعلم... من شخصية رسول الله...
ﷺ ... ما لم يكن يعلم...؟!

موقف...

الشخصية...

من الدنيا... ؟!

أعلى المقامات... التي تتلأأ فيها حقائق... شخصية محمد...
صلى الله عليه وسلم...

هو: كيف ترك محمد... ﷺ هذه الحياة الدنيا؟
هل مات عنها... ومن ورائه الكنوز... والقصور... والجنات... وقد
كان رئيس دولة... وقائد شعب... تحت يده مقدرات أمة... وامكانيات
السلطان؟!!

أو: هل ترك لورثته... ولو قليلاً... من ميراث... وأثارة من مال؟
أم: هل أوصى الى ورثته... بميراثه من النبوة والكتاب؟
أم: هل اختص اهل بيته بشيء من الشرف الذي آتاه الله؟
وفي الجملة: هل ترك محمد... ﷺ ميراثاً لاهله... مادياً... أو
معنوياً... يتوارثونه من بعده؟

لنسمع في هذا قول زوجه: التي مات في بيتها... وبين سحرها
ونحرها... وهو يردد: بل الرفيق الأعلى!
«روت عائشة:

«ما ترك رسول الله ﷺ، ديناراً، ولا درهماً، ولا بعيراً، ولا شاة...
«ولا أوصى بشيء».
الشرط الاول...

«ما ترك... ديناراً... ولا درهماً... ولا بعيراً... ولا شاة...

يؤكد حقيقة أولى... أن محمدا... ﷺ... لم يترك شيئا من المال... لورثته...

الشرط الثاني...

«ولا أوصى بشيء»... يؤكد حقيقة ثانية... أن محمدا... ﷺ... لم يورث أهله شيئا معنويا... أو روحيا... أو نبويا... أو ربانيا... وهذان... مفتاحان... عظيمان... من مفاتيح الشخصية العظمى... المفتاح الاول... خروجه من الدنيا ولم يترك فيها شيئا من المال لورثته...

ما حكمة ذلك الناموس؟

تنزيه الشخصية عن أي مغنم مادي... يعود عليها من وراء تبليغ رسالة الله... الى الناس...

وذلك أعلى ما يتصور من السمو البشري... على الاطلاق... فما من نفس الا وهي في حاجة الى شيء من المال... لتقوم به في الحياة... ويقوم به أهله من بعده في حياتهم... فكون رسول الله... ﷺ... يسمو فوق الاعتبارات البشرية... ثم يسمو... فوق ضرورات الحياة... ثم يسمو فوق مشاعر البشر... ثم يسمو... فوق نوااميس الحياة نفسها... التي اقتضت وجود المال لقيام الحياة...

كان ذلك دليلا... على أن تلك الشخصية قد بلغت من السمو حدا لا يوصف... ولا يستطيع الوصول اليه...

وحكمة أخرى... في خروجه من الدنيا... وما ترك فيها درهما... هو تحقيق العبودية في أعلى مقاماتها... لله تعالى...

وذلك مكنون في «بل أجوع يوماً فأسألك، وأشبع يوماً فأشكرك» وما أوتي بشر شيئا من الأسباب... الا زُخْرَج شيء من القرب من ربه...

وذلك مكنون في قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفَىٰ ۖ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾

(العلق ٧ و ٦)

والعجيب أن رسول الله... ﷺ ... أثر... أن يجوع يوما... ويشبع يوما...

لأنه يعلم أن العبودية لربه... في أعلى مقاماتها... تقتضيه أن يختار ذلك المقام!!!

وحكمة أخرى... في تركه الدنيا... وما ترك فيها شيئا!!
الغاء الكهنوتية... من هذا الدين العظيم... فلا شيء من بعده يتوارثه أهل بيته... ويتداولونه... من بعده... ليكون لهم عزا...
وحكمة رابعة... أن يكون له عند الله أعظم الأجر... وأعلى الدرجات...

لأنه لم يأخذ على منصبه الشريف أجرا دنيويا!!
وجكم أخرى... بعد ذلك كثيرا...

* * *

وأما المفتاح الثاني... «ولا أوصى بشيء»...
فممكنونه أنه لم يوص بشيء إلى أهله خاصة...
لم يختصهم بشيء... دون الناس...
وانما كانت وصيته... كان توجيهه... عاما... لأمته...
«عَنْ طَلْحَةَ بْنِ مُصَرِّفٍ ، قَالَ: قُلْتُ لَابْنِ أَبِي أَوْفَى:
«أَوْصَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟
«قَالَ: لَا

«قُلْتُ: كَيْفَ كُتِبَتِ الْوَصِيَّةُ، وَكَيْفَ أَمَرَ النَّاسُ؟
«قَالَ: أَوْصَى بِكِتَابِ اللَّهِ.»

(أخرجه الترمذی)

هذه هي وصية رسول الله... ﷺ ...
هذا هو توجيهه الأخير... وَجَّهَ الْأُمَّةَ كُلَّهَا... الى مصدر الاشعاع...
ومنبع النور... الى كتاب الله...
وتلك وصية عامة... خالدة... لا تخص أهل بيته... وإنما تعم أهل
الأرض جميعا... الى يوم القيامة...
إذا لم يوص رسول الله... ﷺ ... الى أهل بيته بشيء...
وذلك هو التجريد... والتجرد...
تجريد أهل البيت من الانتفاع بشيء من النبوة والرسالة...
وتجرد صاحب الرسالة... نفسه... عن النفع الدنيوي... أيا ما كان...
وذلك اقصى ما تطمح اليه الأبصار!!
وكذلك خرج رسول الله... ﷺ ... من الدنيا... وليس منها في
شيء...
ليبقى دائما... وأبدا... نورا... يتلأأ... في صورة بَشَر!!!

الشخصية...
في حالة...
غضب...

شفافية النور... المتألئ... من وراء حجاب الشخصية... ما إن
تمسسه نار الغضب... حتى تظهر مكنونات الشخصية... فورا على
وجهها... الكريم... الشريف...

وإن أحسن الوجوه... لوجه محمد... ﷺ!!!
كان وجهه الشريف... مرآة... شديدة الصفاء... تنعكس فيها...
فورا... أحاسيس الشخصية...

وكان أصحابه يعرفون منه ذلك... ويقرأون في وجهه الشريف...
انفعالاته الباطنة... التي تجري في قلبه... أعظم القلوب...!!!
واليك أقصوصة يصف فيها أحد أصحاب رسول الله... وجه رسول
الله... ﷺ... وهو في حالة غضب!!

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:

«خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«وَنَحْنُ نَتَنَارُعُ فِي الْقَدَرِ

«فَقَضِبَ

«حَتَّى اخْمَرَ وَجْهَهُ

«حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِيَ، فِي وَجْنَتَيْهِ، الرُّمَانُ...

«فَقَالَ: أَبْهَذَا أَمْرُكُمْ؟!

«أَمْ بِهَذَا أُزِيلَتْ إِلَيْكُمْ؟
«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ
«عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ، عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ، أَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ.»
(أخرجه الترمذی)

منظر عجيب!!
مجموعة من أصحاب رسول الله... ﷺ ... تتنازع... تتجادل...
ينازع كل منهم الآخر... في تلك المشكلة الخالدة... مشكلة القدر...
وخلصتها: هل الإنسان مسير أم مخير؟
هل للإنسان ارادة حرة تفعل ما تشاء... أم هو مقهور بإرادة عليا...
ولا حيلة له فيما يأتي وما يذر؟
وتنازعوا في ذلك الأمر...
ثم كانت المفاجأة... أن خرج عليهم رسول الله... ﷺ ... وهم على
هذه الحال...

ويصور أبو هريرة... وهو أحد أشخاص المشهد... ذلك فيقول:
«خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ نَتَنَازَعُ فِي الْقَدْرِ...»
لقد كان أبو هريرة أحدهم... أحد المتنازعين!!
ثم كانت المفاجأة لهم جميعا... أن رسول الله ﷺ... غضب غضبا
عظيما...

وعلى الفور... انتقش... أثر ذلك الغضب... في وجهه الشريف...
فاحمرَّ لون وجهه الكريم...
يصور ذلك أبو هريرة فيقول:

«فَقَضِبَ» فوراً... بمجرد أن رآهم على تلك الحال...
«حَتَّى اخْمَرَّ وَجْهَهُ» علامة غضبه الباطن...
«حَتَّى كَأَنَّمَا فُقِيَ فِي وَجْتَتِهِ الرُّمَانُ»...
في خديه الشريفين... وهذا تصوير لشدة احمرار صفحة الوجه

الشريف... كأنما عصرت عليها حبات الرمان... فسال أحمرار عصيرها
الأحمر على وجنتيه الشريفتين...

إن هناك غضبا عظيما... يتلأأ في صفحة الوجه الكريم...
إن المرأة الصافية... النورانية... تعكس فورا أحاسيس القلب
الشريف...

وذلك برهان صفاء الشخصية صفاء ليس كمثله صفاء... في بشر...
وكلما كان قلب الشخصية أصفى... كانت المشاعر الباطنة... أكثر
انعكاسا... وأجلى ظهورا... في صفحة الوجه...
ولتنظر الدنيا... كلها... الآن... كيف تصرف رسول الله ﷺ...
في المشكلة... أعقد مشكلة تواجه الناس...
وسوف نجد عجبا...

نُهي عن الاتجاه... ثم بيان لخطأ الاتجاه... ثم تحليل تاريخي
لأسباب هلاك الأمم السابقة... ثم توجيه الى الصواب... ثم تحديد
للعلاج الحاسم... كل أولئك... تنطلق اشعاعاته... متتابعة... من فمه
الشريف... شعاعا... من النور منشورا!!!

وذلك هو امتياز رسول الله ﷺ... على سائر البشر...
« فقال: أبهذا أمرئتم »؟! انكار على أصحابه... ما يخوضون فيه...
على أبلغ أساليب الانكار...

أبهذا الجدل الذي تتنازعون فيه أمركم الله... وأمركم رسول الله؟!
كلا... بل أمركم الله تعالى أن تسلموا تسليما... فيما هو فوق
عقولكم...

« أم بهذا أرسلت إليكم »!؟...

أم بهذا الجدل العقيم أرسلت إليكم...!؟
لم أوجهكم هذه الوجهة... بل وجهتكم الى الايمان بالقدر، خيره
وشره... لان له حكمة الهية مكنونة... لا يدركها الخلق...

ثم انطلقت الاشعاعات... تكشف أسرار دمار الأمم السابقة...
«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» إنما ضل الافراد... وضلت الأمم... فأدى
ذلك الى هلاكها...

«حِينَ تَنَازَعُوا فِي هَذَا الْأَمْرِ»... حين فتح عليهم باب الجدل...
فتركوا العمل بما أمر الله... وما أمر رسله... وجعلوا يتجادلون: فيم
العمل وكل شيء بقدر؟!

وذلك علامة هلاكها... وضلالها... لان المرء اذا أراد أن ينحرف...
بدأ يسقط في تلك المشكلة... ويلقي بمسؤولية ضلاله على القدر!!!
فرارا من الاحساس بالذنب... ومحاولة الصاغة بالقدر!!!
يجرم المجرم... ثم تكون حجته أن يقول: وماذا أفعل، وهذا شيء قد
كتبه الله عليّ؟!

ثم يرسل اشعاعا عمليا... فيه دواء الداء...
«عَزَّمْتُ عَلَيْكُمْ، عَزَّمْتُ عَلَيْكُمْ»... اني اعزم عليكم... آمركم،
وأشدد في الامر...

«أَلَا تَتَنَازَعُوا فِيهِ» ألا تعودوا بعدها أبدا... تتنازعوا في القدر...
انه يقيمهم على العمل... على العبودية... التي تنفذ ما أمرها الله...
وتنتهي عما نهاها عنه... ولا تشغل بالها بالبحث في أسرار الأوامر
الالهية... ولا تسأل: لماذا... وكيف... ولم؟!

لان ذلك دليل على تحول الانسان من العمل... الى الفراغ
والأمانى... والتواكل... وكلها مسالك شيطانية... تدفع الانسان الى
التكاسل... والانحراف... واللامبالاة...

تلك هي الاقصوبة... الخالدة... التي تعكس زاوية خطيرة... من
جوانب الشخصية...

وهي انطباع الاحاسيس الباطنة... انطبعا... سريعا... على أقصى
درجات السرعة... على صفحة الوجه الكريم... العظيم...

كما تكشف لنا زاوية... أخرى... هي تجمع الأنوار... في سرعة
خاطفة... في انسجام... وإحكام... في أي تصرف يصدر عن
الشخصية...

وقد رأينا... كيف انفعل مما فيه يتنازعون...
وفورا... انطبعت آثار الانفعالات على صفحة الوجه الشريف...
وفورا... أنكر عليهم ما يفعلون...
وفورا... يبين لهم أنه لم يرسل إليهم بهذا...
وفورا... ألقى على البشرية درسا ثميناً... في أسرار انهيار شخصية
الفرد... وشخصية الأمم...
وفورا أمرهم أن يكفوا... فورا... عن هذا الاعوجاج...
وفورا... استقاموا جميعاً... كما أقامهم...
فانطوا جميعاً في نوره... ثم خرج بهم فورا من ظلماتهم... الى
مقامات النور!!!
فمن يستطيع شيئاً... من ذلك كله... سواه!!؟

لَا....
اَعْمَلُوا....
فَكُلُّ مَيْسَرٍ....
لِمَا خُلِقَ لَهُ... ؟!

انفجارات... انشطارات... اشعاعات... أنوار... قلبه... الممكنون...
لا نهاية لها...
وإلى الذين أحبوهم... فآمنوا به... وأتبعوه...
وإلى الذين صدّوا عنه... فكفروا به... وأعرضوا...
نقدم اشعاعا... من أعلى اشعاعاته...
ونورا... من أعظم أنواره...
فيه فصل الخطاب... في تلك المشكلة العريضة... مشكلة القدر...
التي حيرت... وتحير الناس أجمعين...
لعل الذين أحبوهم... يزدادون له حبا...
والذين وقروهم... يزدادون له توقيرا...
ولعل الذين جهلوا حقائق شخصيته... تتفتح في قلوبهم... اشارات من
تلك الحقيقة...

ويدركون بعدها: مَنْ مُحَمَّدٌ؟!!

عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ:

«بَيْنَمَا نَحْنُ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

وَهُوَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ

إِذْ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ:

«مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ ، إِلَّا قَدْ عَلِمَ...»
«مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ»
«وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»
«قَالُوا: أَفَلَا تَتَكَلَّمُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»
«قَالَ: لَا...»
«اعْمَلُوا...»
«فَكُلُّ مُيَسَّرٍ، لِمَا خُلِقَ لَهُ.»

(أخرجه الترمذی)

والدخول الى حزم ذلك النص المقدس... يوجب علينا... الافاضة في
حقيقة باطن الكائن الكريم المسمى بالانسان...
والانسان قصة... من أجمل... الأقاويص التي أبدعتها القدرة...
وأخرجتها الارادة الالهية...
وندخل مباشرة الى صلب الموضوع فنقول...
خلق الله كل انسان ذا ارادة حرة...
وجعل تلك الارادة مكنونة في قلبه...
وجعل قلبه مكنونا... في صدره...
وأعطاه عقلا مميزا...
ثم أخرجه الى الحياة الدنيا... لينظر كيف يعمل فيها؟
وخرج الانسان الى الحياة...
فاصطدم بالموثرات...
موثرات تدعوه الى أسفل... الى الشهوات...
وموثرات تدعوه الى أعلى... الى ربه...
وهو يختار... إما أن يستجيب للنداء العلوي... نداء ربه ورسالاته...
ورُسُلِهِ...
وإما أن يستجيب... للنداء السفلي... نداء شهواته... نداء الشيطان...

وهذه الارادة ممنوحة للانسان من الله... لحكمة... عميقة جدا...
هو قيام تلك القصة الكبرى... قصة الحياة الآخرة... الأبدية...
فمن أراد وجه الله... فالجنة... أبدا...
ومن أراد غير الله... فالنار أبدا...
ولقد خلقت تلك النواميس الالهية... في إحكام تام...
وجعل القلب... صالحا للتقلب السريع... من أعلى الى أسفل... ومن
أسفل الى أعلى...

حسبما يريد الانسان... ويختار...
ووضعت العقوبات اوتوماتيكيا في باطن ذلك الناموس...
فمن اتجه قلبه الى الله دخل فورا الى مقامات النور...
فإذا ثبت قلبه على الاتجاه إلى الله... ترقى الى أعلى في تلك
المقامات... وفي ذلك يبلغ الأنبياء منازل لا يبلغها من دونهم من
المؤمنين...

ومن اتجه قلبه الى غير الله... وهو المسمى بالكافر... انقلب قلبه عن
الله... واتجه الى السوى... فدخل فورا الى الظلمات... وخرج من
النور...

وكلما ثبت على الضلالة... ازداد هبوطا... وقد يصل الى أسفل
سافلين...

وأئمة الاجرام يهبطون الى غاية دركات الظلام...
وتلك هي نواميس الجزاء الاوتوماتيكية... الالهية... المكنونة في
تركيب القلب الانساني...

ولقد كان ذلك كله... بأن الله منح الانسان إرادة حرة...
فاذا أراد ربه... جعل له نورا فورا... واذا أراد غيره... كان ذلك
ظلاما لقلبه...

فاذا ما كانت الآخرة...

فصل الله بين العباد... وامتاز أهل النور... من أهل الظلام...
فأما أهل النور... فإلى جنة... كل ما فيها نور...
وأما أهل الظلام... فإلى نار... كل ما فيها ظلام...
ومدار ذلك كله — على الإرادة الحرة... التي مُنحت للإنسان...
وعليها قامت فكرة المسؤولية... وفكرة التكليف... وفكرة
الحساب...

وفكرة الثواب والعقاب... وفكرة الجنة والنار...
ولست أدري لماذا قامت البشرية وقعدت... في هذه المسألة... حتى
تحولت إلى طلاس... ومتاهات... تضل فيها العقول!!!
إن مفتاح القضية أن الله أعطى الإنسان إرادة حرة...
وأعطاه عقلا مميزا...

ثم بعث إليه رُسُلا... يضيئون له الأمر كله... تفصيلا واجمالا...
فأذاعوا نيابة عن ربهم: مَنْ أطاع له الجنة... وَمَنْ كفر له النار...
قضية بسيطة... واضحة... ولكن الناس أنفسهم يتعبون...
ومن أجل أن الإرادة الحرة هي مدار كل شيء... كانت النية في
الاعمال هي أساس القبول والرفض للأعمال عند الله...
والنية هي الاتجاه الكامن داخل الإرادة ساعة الهمّ بالعمل...
هي مكنون الإرادة... وذلك لا يعلمه إلا الله...
فمستحيل أن يحدث فيها خداع أو تمويه...
ومن أجل أن العقل أساس التكليف... رفع الله القلم عن فاقد العقل...
كما رفع القلم عن فاقد الإرادة أو مسلوبها... كالنائم... والمستكره
الذي لا حيلة له...

ومن أجل أن بحار الحياة عميقة ومظلمة... أنزل الله نورا عظيما...
يكشف للناس حقائق الحياة... ويوضح لهم طريق النجاة في بحارها
وظلماتها...

وأولئكم هم الرسل... والكتب السماوية... فلما تم ذلك كله... كان
الانسان عند الله مسؤولا...
فعناصر قيام المسؤولية...
ارادة حرة... عقل مميز...
بعثة رسول وبلاغ للرسالة...
فاذا فقد أحد هذه الثلاث... سقطت المسؤولية عن الانسان أمام
الله...

والنصوص المؤيدة لذلك في الشريعة كثيرة جدا... ليس هذا مجال
ذكرها...
تلك هي مكنونات قصة ذلك الكائن الكريم... المسمى بالانسان...
الذي نحن بعض أفرادہ!!
ونُودِي الانسان فيما نودي... من السماء...
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

(الشمس ٧-١٠)

وقد افلح من زكَّاهَا... من تسامى بنفسه...
وقد خاب من دسَّاهَا... من هبط بها... الى أسفل...
وذلك كله مداره الارادة الحرة... الممنوحة لكل انسان...
ونودي الانسان... فيما نودي من السماء...
﴿وَقُلْ : اَعْمَلُوا...﴾

(التوبة ١٠٥)

والعمل لا يكون الا من كائن حر الارادة... يستطيع أن يعمل عملا
حسنا... أو عملا سيئا...
والعمل الحسن عند الله ما أراد به الانسان وجه الله... ما اتجه فيه قلبه
الى الله... وهو الذي يورث قلبه نورا...

والعمل السيئ عند الله... ما أريد به غير الله... ما اتجه فيه القلب الى غير الله... وهو الذي يورث القلب ظلاما...
ولضعف الانسان أمام المؤثرات... من شهوات وشياطين... فُتِحَ له باب التوبة أبدا...

والتوبة هي الرجوع... عن الاتجاه الخاطئ... والعود الى الاتجاه الصحيح...

ومكنونها أن ينقلب القلب مما سوى الله... الى الله...
فيخرج القلب بذلك فورا من الظلمات الى النور...
والقلب صالح لذلك القلب السريع... دائما... مادمت في هذه الحياة حيا...

وهذا من أعاجيب القلب الانساني...
فما من ذنب... والذنب هو اتجاه الارادة الى غير الله... الا ويغفره الله تعالى... مهما كان عظيما حتى الكفر والشرك...
متى تاب الانسان... متى عاد قلبه الى الله...
ولذلك نودي الناس جميعا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً...﴾.

(الزمر ٥٣)

وأعطي الانسان فترة الحياة كلها... فرصة... لامكانية التوبة... ما لم يغفر... أي ما لم ينتقل الى الحياة الآخرة...
وذلك مكنون في أحاديثه... ﷺ... ومُنِحَ الإنسان أساليب... يغتسل بها من ذنوبه... أولا بأول...

هي تلك العبادات جميعا... من صلاة وزكاة وصيام وحج وذكر وجهاد... وصدقة... وسائر أفعال الخيرات...

فانها كلها مكفرات... مسقطات للذنوب... اذا ابتغي بها وجه الله...
ومكنون ذلك كله... أن الانسان حين يعمل صالحا... يريد به وجه

الله... يكون قلبه متوجها الى الله... أي يدخل قلبه فوراً الى مقامات النور...

ومتى دخل الانسان مقامات النور... تساقطت عنه جميع خطاياها...
وسر ذلك كله... أنك متى دخلت النور... فقد خرجت من الظلمات... من جميع الظلمات... من جميع المعاصي...
وهذا هو معنى تساقط الذنوب...

فليست الذنوب أجساماً مادية تتساقط... وانما هي ظلمات في القلب... تذهب بمجرد دخول القلب الى النور...
فتأمل عجائب خلق ربك... المكنونة في تركيبك وقلبك!!!
تلك اشارات... أو مفاتيح... تعيننا على الدخول... الى حرم الحديث المقدس...

فماذا قال... ﷺ... حين رفع رأسه الى السماء؟
قال: « مَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ، إِلَّا قَدْ عَلِمَ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ... »
هذا حق...

وحقيقته أنه ناموس الهي... بديهي...
فعلم الله تعالى... علم محيط... قد أحاط بكل شيء علماً...
علم... لا يغيب عنه تعالى فيه شيء...
فالأشياء التي كانت أو تكون... أو في علم الغيب المكنون...
كلها معلومة له سبحانه... قبل أن تكون... وبعد أن تقع...
« مَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ... » ما منكم من انسان... ذكراً أو أنثى...
صغيراً أو كبيراً... كائناً أو سيكون...
«إِلَّا قَدْ عَلِمَ» عند الله تعالى... علماً محيطاً... و «قَدْ» لتحقيق العلم
الالهي على أبلغ وجه... وأقصى غايات العلم...
«مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»... منزله من النار... درجته منها...

«وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ» منزله منها... ودرجته...
هذا كله حق... وحقيقة... وناموس الهي مقرر...
نطق به... ﷺ... حقا... وصدقا... وما ينطق عن الهوى...
حق يقرره العقل... بعد النقل...
وبعد أن بين رسول الله ﷺ... ذلك الناموس الالهي العام...
سأله بعض أصحابه... ذلك السؤال الذي يسأله أكثر الناس... الى يوم
القيامة...

«أَفَلَا تُكَلِّمُ... يَا رَسُولَ اللَّهِ؟»
أفلا نعتمد على هذا... ما دام الامر قد عُلِمَ له سبحانه... قبل أن
نكون؟
هنالك أصدر رسول الله ﷺ... اليهم... والى الناس جميعا... من
بعدهم... أمراً...
«قَالَ: لَا...»

لا تتكلوا... لا تعتمدوا على سبق العلم الالهي...
فاللوهية لها شؤون... وأنتم لكم شؤون...
فقرر رسول الله ﷺ في حرفين اثنين... «لَا...» أخطر توجيه...
توجه به البشرية الى الصواب من شؤونها في الحياة كلها...
فأقام بذلك الخط المستقيم... والمنهج القويم... الذي ينبغي أن
يلتزمه الانسان السليم...

وهل سكت رسول الله ﷺ... عند ذلك؟؟...
كلا... وانما كشأته دائما... بيان للخطأ... ثم بيان للصواب... ثم
بيان لحكمة الصواب...

أو تشخيص للداء... وتحديد للدواء... حتى يتحقق الشفاء
فقال: «اغْمَلُوا»...

على كل انسان... أن يعمل... في هذه الحياة... ما دام حيا...

إن لكل انسان ارادة حرة... فعليه أن ينطلق ويعمل ما شاء...
وعليكم أن تُحسنوا أعمالكم... وتجهوا بها الى الله... لتكون أعمالا
حسنة... عنده تعالى...

لتدخلوا بها الى مقامات النور...
وعليكم أن تخرجوا من ظلماتكم... بترك الأعمال السيئة...
اعملوا... اعملوا... اعملوا...
ثم فَصَّلَ رسول الله... ﷺ... اسرار الدعوة الى العمل... تفصيلا...
جميلا...

«فَكُلُّ» كل انسان...
«مُيسَّرٌ» مؤهل... عنده الاستعداد... والقدرة على العمل...
«لِمَا خُلِقَ لَهُ» الذي أوجد لتحقيقه
كل نفس مفطورة... عندها الاستعداد للسمو... والهبوط...
وأنت وما تشاء... وسوف تحاسب على اختيارك...
وكذلك... فصل رسول الله... ﷺ... في أخطر قضية... قضية
الْقَدَر...

بما لا يستطيعه إلا هو...
فأفعل الذين تخلخلوا... في حياتهم... بين الجبر المطلق... أو الاختيار
المطلق...

فأهاوا في مناهاتها... وأغرقتهم مياهاها... وظلماتها...
يفيئون الى اشعاعات... رسول الله... ﷺ...
ففيها فَصَّلَ الخطاب... وأحسن جواب... وحسن المآب...
لمن أراد الحق... والحقيقة... واستمسك بالشرعة... والطريقة!!!

الشخصية...

تتألاً...

بحقيقتها... ؟!

عندما يتحدث رسول الله... ﷺ ... عن نفسه...
يقع في يدنا... مفتاح... هائل... من مفاتيح... شخصيته...
ذلك أن حديث الإنسان عن نفسه... يكون أقرب الأوصاف الى
الحقيقة...

فليس أعرف بالنفس... من ذات النفس...
على أن يكون المتحدث صادقا... لا يخفي شيئا... يعلمه من
شخصيته...

ومعلوم... ومقرر... أن رسول الله... أصدق... مَنْ صَدَق... مِنْ
البشر...

فهو الملقب بالأمين قبل بعثته... وهو الصادق المصدوق بعد بعثته...
وهو المشهود له بالصدق من الله... وكفى به شهيدا...
والمشهود له بالصدق... مِنْ أهل الأرض جميعا...
فالصدق هو أخص خصائص شخصية محمد... ﷺ ...
فاذا تحدث مَنْ هذا شأنه... عن نفسه... كان حديثه... هو المفتاح
الهائل... لمكونات الشخصية... وحقائقها...
ومن ذلك الحديث عن النفس... حديثه هذا... الذي نسوقه في
سطورنا هذه...

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ:
 «يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...
 «وَأَنَّ مُحَمَّدًا، رَسُولُ اللَّهِ، بَعَثَنِي بِالْحَقِّ...
 «وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ، وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ...
 «وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»

(أخرجه الترمذی)

«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ» لا يكمل إيمان عبد...
 «حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ»... حتى يتحقق تصديقه بأربعة أشياء...
 «يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» شهادة صادرة من قلبه... توجه قلبه دائما
 الى ربه...
 «وَأَنَّ مُحَمَّدًا» وذلك هو المفتاح... الذي وقع في أيدينا... فجأة...
 فكان نورا... يكشف كثيرا من شخصيته...
 «أَنِّي مُحَمَّدٌ»

فيها مكنونات الشعور بقوة الشخصية... في أعلى وأكمل درجات
 الشعور بالذات...
 «إِنْ مُحَمَّدًا... ﷺ... هنا... يعلم: مَنْ هُوَ مُحَمَّدٌ... ﷺ!؟
 «رَسُولُ اللَّهِ»... لست كأحدكم... ولكني رسول الله...
 وذلك هو الامتياز... في أعلى درجات الامتياز...
 الشخصية تقرر ذاتها... ولكن في أعلى صور الصدق... وكمال
 الاداء...

لا زيادة في الوصف... ولا نقص في الصفات...
 «أَنِّي مُحَمَّدٌ...» فيها تقرير البشرية... لمحمد... ﷺ... فهو بشر...
 اسمه محمد... ﷺ...
 «رَسُولُ اللَّهِ...» تقرير الشيء الذي امتاز به على كل البشر...

«بَعَثَنِي بِالْحَقِّ»... أرسلني الى الناس كافة... بالحق...
وكلمة «بِالْحَقِّ»... مكنون فيها بنحار... من الحقائق... التي تنموج
أبدا...

بالحق بعثني...
بالحق أنزل عليّ...
بالحق أوحى إليّ...
بالحق أمرني أن آمركم...
بالحق أمرني أن أقوم بالبلاغ...
بالحق أمرني أن أكون رحمة لكم جميعا...
بالحق وعدني ظهور ديني على الدين كله...
بالحق أتكلم... فلا أنطق عن الهوى... إن هو إلا وحي يوحى.
بالحق أكون لكم ميزانا مستقيما... في أمركم كله...
بالحق أجاهد من كفر منكم... بمن آمن...
بالحق بعثني... لاؤدي اليكم أكمل... وأشمل... رسالة نزلت الى
الارض...

فأنا حق... تحقق في نبيّ...
ونبيّ... تحقق منه الحق!!!
كأن شيئا من هذا... مكنون في قوله «بَعَثَنِي بِالْحَقِّ»!!!
«وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ»... أنه واقع بكل نفس... كل نفس ذائقة
الموت... فما لنفس في هذه من خلود... وانما كل يموت... أنا
أموت... وأنتم تموتون...
«وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ»... ويؤمن يبعث الناس جميعا... بعد موتهم
جميعا...

وما يستتبع ذلك من مواقف... ومشاهد... يوم القيامة...
«وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»... خيره وشره...

وفي ذلك المقام... مقام القدر...
نأخذ خطوات الى الخلف... توقيرا... وتعظيما... لرسول الله...
صلى الله عليه وسلم...

ليذيع علينا... تفصيلا... جميلا جليلا...

«قال رسول الله ﷺ:

لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ، حَتَّى يُؤْمِنَ، بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ
«حَتَّى يَعْلَمَ، أَنَّ مَا أَصَابَهُ، لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئْهُ
وَأَنَّ مَا أخطأه، لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبْهُ.»

(أخرجه الترمذی)

ثم نجلس... في صمت... وخشوع... بين يدي... رسول الله...
ﷺ... ليزيدنا نورا. على نور...

«إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، الْقَلَمَ

«فَقَالَ: اكْتُبْ...»

«فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟»

«قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ

«مَا كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ، إِلَى الْأَبَدِ.»

(أخرجه الترمذی)

لا يكمل ايمان عبد... حتى يؤمن بهذا...

ما أصابه لم يكن ليخطئه...

وما أخطأه لم يكن ليصيبه...

يؤمن أن هناك تخطيطا عاما... لما كان... وما هو كائن... الى

الأبد...

هنالك يكمل ايمان العبد...

فاذا فاته شيء قال:

قَدَّرَ اللهُ وما شاءَ فَعَلَ...
ثم عزم على مواصلة الحياة...
واعادة السعى فيها...
ذلك هو الحديث العظيم... الذي وضع في أيدينا... مفتاحا عظيما...
من مفاتيح الشخصية... العظمى...
وانما نعني بالمفتاح... تلك الفقرة... الجامعة... اللامعة... المانعة...
القاطعة... الساطعة...

«أَنِّي مُحَمَّدٌ... رَسُولُ اللَّهِ... بَعَثَنِي بِالْحَقِّ...»
تلك الفقرة التي تتلأأ فيها أنوار الشخصية... من حديث الشخصية
ذاتها...

فتأتني حديثا... صادقا... وحقا...
«أَنِّي مُحَمَّدٌ ۝ ۱۱۹»
مجردة... من كل لقب... أو وظيفة... أو رئاسة... أو إمامة...
مجرد بشر... ذلك ظاهري...
أما حقيقتي... حقيقة شخصيتي... فهي «رَسُولُ اللَّهِ»...
وأما وظيفتي... ومهمتي في هذه الحياة... فهي «بَعَثَنِي بِالْحَقِّ»...
الظاهر... بِشَرٍّ... مثلكم... اسمه مُحَمَّدٌ...
الحقيقة... حقيقة الشخصية... رَسُولُ اللَّهِ...
الوظيفة... بَعَثَنِي بِالْحَقِّ...

بحار ثلاثة... من شخصية محمد... ﷺ...
كل بحر يتموج بموج كالجبال... جبال النور...
بحر... بشريته... كملت... واستقامت على أحسن تقويم...
وبحر... رسوليته... كملت... وقامت... على أعلى صور الكمال...
والجمال... فكان إمام المرسلين... وسيد المرسلين... والصورة الجامعة
لصفات جميع المرسلين...

وبحر... بلاغ الرسالة... بالحق... على أوسع... وأكمل... صور
البلاغ والتبليغ... والبيان... والتبيين...
بحار ثلاثة...
كل بحر منها... لا يكفيننا... العمر كله... لنفرغ من ادراك أسرارها...
وأنوارها وأغوارها...
فكيف بهن جميعا؟!
اللهم... انه محمد... ﷺ...
أنت وحدك به أعلم!!!

مَن ...

هو ...

المؤمن ... !؟

يكتر تردد كلمة «المؤمن» و «المؤمنة»... فيما جاء به رسول الله...
 ﷺ... وما نزل عليه من السماء...
 فمن هو هذا المؤمن...
 أو من هي هذه المؤمنة...؟
 الجواب... من اشعاعات رسول الله... ﷺ... الخالدات...
 «... مَنْ سَرَّهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ».
 (أخرجه الترمذی)
 «مَنْ سَرَّهُ» كل من أحدثت الحسنة عنده سرورا... باطنا... واحساسا
 قلبيا بنعمة الله عليه... أن وفقه لفعل ما هو حسن...
 «حَسَنَتُهُ» فعله الحسن...
 «وَسَاءَتْهُ»... وأحزنته... حزنا باطنا... حزنا من القلب...
 «سَيِّئَتُهُ»... فعله السيئ...
 «فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»... الكامل الايمان...
 وكذلك شأن المؤمنة... فتلك المؤمنة... الكاملة الايمان... فما هو
 مفتاح ذلك الاشعاع... الخطير؟
 المؤمن... او المؤمنة...
 قلب متجه الى الله... ومتى اتجه القلب الى الله... دخل فورا...
 مقامات النور... دخل بداية ابواب النور...

هذا هو الايمان في حقيقته... اتجاه قلبي الى الله... يخرج بالمرء من
الظلمات الى النور... فيجعل في قلبه نورا...

وما دام القلب في مقامات النور... ولو في بدايتها...
كان كل ما يصدر عنه حسنا... أي: فعلا يحبه الله... ويرجى قبوله
منه تعالى... لانه صادر عن ارادة تريد الله... عن قلب متجه الى الله...
وأهل النور... يعملون دائما... على الترقى في مقامات النور...
فكلما فعلوا حسنة... أي جاءوا طاعة... سروا سرورا عظيما... لان
ذلك يزيحهم... أي يرقهم... أي يرفع درجاتهم الى أعلى... يرفعهم في
مقامات النور...

وهم يخشون المعصية... لانها ظلام... يهبط بهم الى أسفل... وذلك
يحزنهم أشد الحزن...
فسرور أهل النور... بادامة الطاعات... ترقيا الى أعلى وقربا من
الاعلى...

وحزن أهل النور... يكون شديدا اذا وقعت منهم المعصية... لانها
تنزل بقلوبهم الى أسفل... وتهبط بهم في دركات في الظلام...
ذلك هو مكنون الاشعاع العظيم...

«مَنْ سَرَّهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»... وذلك هو
الميزان المستقيم... الذي أشار اليه رسول الله... ﷺ... في تحديد
شخصية المؤمن وشخصية المؤمنة...

وهو ميزان عميق جدا... يضعه رسول الله... ﷺ... في يد كل
مؤمن... وكل مؤمنة...

ليزن به أحاسيسه ومشاعره...
فإن وجد من نفسه سرورا بالحسنة... وحزنا بالسيئة... فليحمد
الله... فإنه مؤمن...

والمؤمنون... والمؤمنات... في ذلك درجات...

فهناك نسبة السرور بالحسنة... ونسبة الحزن بالمعصية...
فكلما كان الايمان أعظم... كان السرور بالحسنة أعظم... والحزن
من السيئة أعظم...
وكلما نقص الايمان... نقص الشعور بالسرور بالطاعة... ونقص
الشعور بالحزن بالمعصية...
فما هو جريمة كبرى في احساس الصديقين... يبدو معصية صغيرة في
احساس صغار المؤمنين...
ويبدو لا شيء في احساس المنافق...
ويبدو عملا حسنا في احساس المجرم الاثيم...
وهذا كله ينتظمه ناموس الهي عجيب...
ناموس ينبع من القلب... والى القلب...
فالقلب المؤمن... المتجه الى الله... الذي هو في مقامات النور...
يشعر ان الطاعة تزيده قربا من معبوده الذي يحبه... فهو يسر بها...
ويشعر ان المعصية تزيده بُعداً من معبوده الذي يكره ان يتعد عنه فهو
يحزن بها...
وكلما ارتفعت درجة القلب في المقامات العلى...
ازداد حرصا على امتيازه... لما يجد فيه من الأنس والبهجة
والعطايا...
فاذا وقعت منه معصية ما... كان حزنه اضعاف اضعاف مَنْ دونه
درجة ومنزلة...
لانه يعلم انه سيهبط بذلك من امتيازه... وينزل عن مستواه...
هذا عن أهل النور... فماذا عن أهل الظلام؟!
ونعني بأهل الظلام... الذين كفروا... والذين نافقوا... والذين أجزموا
والذين أصرروا على خطاياهم وما فعلوا...
فمن هم الذين كفروا؟....

هم الذين انقلب قلوبهم... من اتجاهها الى الله... فخرجت بذلك
فورا... من النور... نور الفطرة... الى الظلمات...
ومتى دخل القلب الى الظلمات... فهو منقلب الوجه... وجهه الى
الشيطان... الى أسفل...
هذا القلب احساسه عكس الذين آمنوا... لانقلابه... فهو يرى الحسنة
سيئة... والسيئة حسنة...

فاذا ارتكب السيئة لا يحزنه ذلك لانه يراها حسنة...
واذا ارتكب حسنة لا تسره... لانه لا يراها حسنة...
ثم من هم الذين نافقوا؟
هم أهل القلوب الكافرة باطنا... المظهرة للايمان ظاهرا... فيما يرى
الناس...

وهؤلاء يعلمهم الله... الذي لا تخفى عليه خافية...
وهؤلاء كالذين كفروا... في كل شيء... أحاسيسهم منعكسة مقلوبة
يرون الحسن سيئا... والسيئ حسنا...
فلا تسره حسنة... ولا تسوؤهم سيئة...
ثم من هم الذين أجمعوا؟
هم أهل الاجرام... وحياة الظلام... كالقتلة والسفاحين والزناة وعتاة
السكيرين... وأهل الفساد والافساد...
هؤلاء أيضاً قلوبهم منقلبة... فهي تخرج فورا من النور الى
الظلمات...

وكلما ارتكبوا جريمة... هووا بها في دركات... الظلمات...
ولكون قلوبهم منقلبة... فانهم يرون الأمور معكوسة... فالحسنة
عندهم سيئة... والسيئة حسنة...
وهذا يفسر ان الذين اعتادوا الاجرام... يرتكب احدهم جريمة
القتل... ولا يشعر أنها جريمة... وانما يراها بطولة وشجاعة!!!

ويزني الزاني... بأعراض الناس... ويدنسها بقاذوراته...
ولا يرى في ذلك سوءا يسوؤه... وانما يراه فنا وقدرة على اصطياد
الجماليات... والاستمتاع بجمالهن!!!
وتجد ذلك مكنونا في: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن،
ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن...» أو كما قال:
وممكنون ذلك ان القلب في حالة الزنى... يكون منقلبا متجها الى
أسفل... الى الشيطان...

فهو في حالة الزنى ليس مؤمنا... أي ليس متجها الى الله...
ثم ماذا نعني بالذين أصروا على الخطايا؟
هم عموم الناس... وأكثر الناس خطاؤون...
والذين يصرون على الخطايا... يصرون بذلك على بقائهم في
الظلمات...

ولو قد رجعوا... أي تابوا... وتركوا خطاياهم... واتجهوا الى
ربهم... لخرجوا فورا من الظلمات الى النور...

وذلك مكنون في قوله سبحانه: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا...﴾
(آل عمران ١٣٥)

ولكنهم أصروا... أي: استمروا يخطئون... ويرتكبون المعاصي... ولم
يفكروا في تركها... والانقلاب الى ربهم مرة أخرى...
فبقوا بما هم عليه في ظلماتهم... وهؤلاء لا يرون الحسنة حسنة...
ولا السيئة سيئة... وانما هم في غفلة...

ويوم يستيقظون... ويرون الحسنة حسنة... والسيئة سيئة...
يومئذ... ترجى توبتهم... وخروجهم من الظلمات الى النور...
وذلك مكنون في: «التَّكْدُّمُ تَوْبَةً»!!!

وهو إحساس النفس بأن ما هي عليه من خطايا شيء قبيح يجب أن تكف

عنه...

انه بداية التوبة...
فاذا صدق... وأقلع... ورجع الى ربه... واستقام... تاب الله عليه...
أي: أخرجته من الظلمات الى النور!!!
فتأمل... عجائب القلوب... ونواميس علام الغيوب...
ثم انظر... اوتوماتيكية النواميس الالهية!!!
التي تحقق فوراً... العدل الالهي في أعلى وأحكم صور العدالة...
من آمن... من اتجه قلبه الى الله...
دخل النور فوراً...
فان ثبت على ما هو عليه... واستمر في الطاعة... ارتفع بكل طاعة
درجة...

أي: زاده الله نوراً... وهكذا... وذلك مكنون في قوله سبحانه:
﴿...وَمَنْ يَفْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا...﴾

(الشورى ٢٣)

والعكس صحيح...
من كفر... من انقلب قلبه عن الله... واتجه الى أسفل... الى
الشيطان... الى الدنيا... الى الاتجاه الى الماديات... الى الارض...
أخرج من النور فوراً... وأدخل الظلمات...
وكلما ثبت على ما هو عليه... وارتكب معصية... زيد له الظلام...
وهوى أكثر فأكثر الى أسفل...
وذلك مكنون في قوله سبحانه:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا...﴾

(مريم ٧٥)

وليس المراد أن من ضل أمدّه الله بما يزيده ضلالاً...
كلاً... سبحانه الله عما يظنون وتعالى علواً كبيراً...
وانما المراد... أن هناك نواميس الهية... اوتوماتيكية... كل من

ارتكب معصية... وهو مُصرّ عليها... مستمر عليها... هوى بها درجة الى
أسفل في الظلمات... ويزيد له الظلام اوتوماتيكيا!!!
عدالة تامة عامة محكمة... لا تتأنى الا من إله حكيم خبير...
عظيم... ليس كمثله شيء...

وتجد ذلك مكنوناً في قوله سبحانه:
﴿... وَمَنْ يَخِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾

(طه ٨١)

أي ومن أسرف في الكفر والاجرام... مما أدى الى غضب الله عليه...
فقد هوى...

فقد نزل نزولا شديدا في دركات الظلام... الى أسفل...
نزل الى الهاوية... الى أقصى دركات النزول...
وتلك كلها نواميس الهية... سارية... جارية... من حيث لا نشعر!!!
وتجد الاشارة الى ذلك مكنونة في قوله سبحانه:
﴿... يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ...﴾

(النساء ١٤٢)

فالمنافقون يظنون أنهم باظهار الايمان... وهم يظنون الكفر... أنهم
يخفون حقيقتهم عن الله...

﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾... وهم لا يشعرون... أن هناك نواميس الهية...
تسري... وتجري فيهم... وتُحكم الحكم على تصرفاتهم...
فكلما ازدادوا كفرا واجراما... هروا في الظلمات الى أسفل...
وهذا هو مكنون ﴿خَادِعُهُمْ﴾ فليس المعنى أن الله يخادع... تعالى الله
عما يظن الجاهلون علوا كبيرا...

وانما حقيقة المكنون أن الله جعل نواميس... تكشف خبايا كل
قلب... وتعاقب فورا كل قلب على ما كان منه... ممما يستحيل معه أن
يخفي انسان شيئا عن الله... ولا يستطيع...

تلك اشارات... عابرات... كعابرات المحيطات... حين تعبر المحيط
الاطلسي... أو الهادي... فتكون على صفحته كذرة في الفضاء
اللانهاثي... كذلك هذه الاشارات ذرة... أو أقل من ذرة...
عابرة... في محيط الحقائق التي أشار إليها قوله... ﷺ: « مَنْ سَرَّهُ
حَسَنَتُهُ وَسَاءَتُهُ مِثَّتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ ».

فوضع بذلك مفتاحا من النور المصفى... في يد كل مؤمن... وكل
مؤمنة...

يستطيع المؤمن به ان يزن شخصيته... ومركزها من النور... او
الظلام...

فكانت كلمات.. الا انها جامعات... مانعات... كاشفات...
خالدات... متألثات... بحقائق... وخبايا... النفوس البشرية...

وكل اولئك شيء قليل... فهمناه من كلماته!!!

فكيف بتلك الكلمات في حقيقتها؟!

أم كيف بحقيقة الشخصية التي نطقت بها؟!

أم كيف بقلب تلك الشخصية...

وما حوى؟!

متى ...

تغرق ...

السفينة ... ؟!

الحياة بحر... متلاطم... بالفتن... والناس فيها... ركاب سفينة...
 والسفينة... قد تجري بهم... وقد تغرق بهم...
 فمتى تغرق تلك السفينة... فيغرقون جميعا؟
 والآن... نسمع الجواب من رسول الله ﷺ... فماذا قال؟
 «قال رسول الله ﷺ:
 «مثل القائم على حدود الله، والمُدْهِنُ فيها...
 «كمثل قوم استهموا، على سفينة، في البحر
 «فأصاب بعضهم أعلاها
 «وأصاب بعضهم أسفلها
 «فكان الذين في أسفلها، يصعدون، فيستقون الماء
 «فيصّبون على الذين في أعلاها
 «فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون، فتؤذوننا!
 «فقال الذين في أسفلها:
 «فأنا ننقبها من أسفلها، فنستقي
 «فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهم
 «نَجَوْا جميعاً
 «وإن تركوهم
 «غرقوا جميعاً»

(أخرجه الترمذي)

« مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ » مثل المنفذ... والعامل... بأوامر الله...
والمنتظم على نواമسه...

وكلمة « حُدُودِ اللَّهِ »... يراد بها أوامر الله ونواهم...
وأوامر الله ونواهم... يُراد بها انتظام الخلق على نواميس الله التي
خلقها لصالح الخلق... والوصول بهم الى أكمل غايات الحياة...
والنواميس الإلهية... موضوعة بحكمة إلهية... قد لا يفهمها الناس
فتعلمو على عقولهم...

ونعني بتطابق الأوامر والنواهي الإلهية... مع النواميس الإلهية...
ان ما يأمرنا به الله... أو ينهانا عنه... إنما يراد به أن نتنظم على تلك
النواميس... ولا نخرج عليها... فنشقى...
مثال ذلك... أن الله أمرنا... أن نعبد ولا نشرك به شيئاً...
فما هي الفائدة العملية التي تعود على الإنسان اذا عبد الله وحده ولم
يشرك به شيئاً؟

الجواب: لينتظم إنسان مع الناموس العام للخلائق جميعاً...
الناموس الذي يقول:
﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾.
فاذا انتظم الانسان مع ذلك الناموس... سعد... واذا خرج عليه
شقى...

لماذا؟

لان الله ركب القلب الانساني تركيباً... مبنياً على ذلك الناموس...
فمن عبد الله وحده... ولم يركن الى شيء سواه... اتجه قلبه
أوتوماتيكياً الى الله...

ومتى حدث ذلك الاتجاه... دخل القلب في النور... ومتى دخل
مقامات النور... أبصر الحقائق...

ومتى أبصر... سلك سلوكاً يُرضي خالقه... ومتى فعل ذلك... سعد

في الدنيا والآخرة !!! والعكس ... يحدث لمن ... عبد شيئاً غير الله ...
 فإن قلبه ينقلب في اتجاه ذلك الشيء ... ومتى حدث الانقلاب ...
 خرج من نور الفطرة ... الى الظلمات ...
 ومتى دخل الظلمات ... ضلّ ... وغوى ...
 ومتى ضلّ ارتكب الاخطاء والموبقات ...
 فازداد ظلاماً الى ظلام ... ومتى سار في ذلك ... هوى الى الهاوية .
 فشقي في الدنيا والآخرة !!! .
 تأمل ... نواميس إلهية ... أوتوماتيكية ... لا يفلت منها أحد أبداً !!!
 فحين يقول الله تعالى ... حين يأمرنا :
 ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ... ﴾

(الإسراء ٢٣)

كان مكنون ذلك الأمر الإلهي ... أن تنتظم على الناموس الإلهي
 العام ...

وكانت غاية ذلك الانتظام ... هو تحقيق السعادة للمخلوق !!!
 وهذه هي الرحمة المكنونة في أوامر الله ... ونواهيه ...
 ولذلك وجب على المخلوقات ... التسليم فوراً ... فقهُوا أم لم يفقهوا
 أسرار الأوامر الإلهية ...
 والتنفيذ فوراً ... واليقين فوراً ... أن في كل أمرٍ رحمة ... وفي كل
 نهيٍ رحمة ...

وتجد ذلك مكنوناً في قوله تعالى :
 ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۚ
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ... ﴾

(طه ١٢٣ - ١٢٤)

والإعراض عن الذكر يُراد به ... الإعراض عن تنفيذ أوامر الله
 ونواهيه ...

ومعنى ذلك الخروج على حدود الله... على أوامر الله...

ومعنى ذلك عدم الانتظام على النواميس الإلهية...

ونتيجة ذلك هو الضلال في الحياة...

ونتيجة الضلال... هو الشقاء...

كما قال: ﴿ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ ...

والعكس صحيح: من لم يتبع... ضل... وشقي !!!

فتأمل... وتعجب... من عجائب نواميس الله سبحانه وتعالى !!!

فإذا قال رسول الله ﷺ: « مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ » ... انما يريد أن يضرب مثلاً لكل من عاش منتظماً على حدود الله... على أوامره ونواهيه... منتظماً على نواميسه تعالى...

« وَالْمُذْهِنُ فِيهَا » ومثل المفرط فيها... الذي لا يبالي بتنفيذها...

وهؤلاء هم الذين خرجوا على النواميس... بتفريطهم في تنفيذ الأوامر والنواهي الإلهية...

إن رسول الله ﷺ... يضرب مثلاً محسوساً... ملموساً... مادياً... للأمة... أي أمة... وللمجتمع... أي مجتمع... وللدولة... أي دولة...

وما الأمة إلا أحد اثنين... إما متبع... وإما مفرط...

إما إنسان يطيع الله... وإما إنسان يعصي الله...

إما مخلوق قائم على الخط الإلهي... على الطريق المستقيم...

وإما إنسان منحرف عن ذلك الخط... خارج عليه... فهو في ضلال

بعيد...

« كَمَثَلِ قَوْمٍ » كمثال جماعة...

« اسْتَهْمُوا » اقترعوا...

« عَلَى سَفِينَةٍ » على تقسيم أماكن السفينة... فيما بينهم...

« فِي الْبَحْرِ » سفينة سابحة بهم في مياه البحار...

وبلغة عصرنا... باخرة عظيمة... من عابرات المحيطات... فيها طوابق بعضها فوق بعض...

يريد هؤلاء ان ينزلوا الطوابق العليا... ويريد هؤلاء أن ينزلوا أعاليها... فلما اختلفوا... اقترحوا... فضًا للخلاف فيما بينهم... « فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا » فكان من نصيب بعضهم الطوابق العليا... « وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا » وكان نصيب الآخرين الطوابق السفلى... إلا أن الجميع ركاب سفينة واحدة... تجري بهم في البحر... العميق...

« فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا » فكان ركاب الطوابق السفلى... « يَصْعَدُونَ » الى سطح السفينة... ويمرون على ركاب الطوابق العليا... وهم يحملون الماء... « فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ » طلباً لإحضار ماء يشربون منه... لحاجتهم إليه... « فَيَصْبُونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا » فيؤدي ذلك أن يتصبب منهم الماء على الذين في أعلاها... أثناء مرورهم عليهم... فيتأذون بذلك أذى يضايقهم...

« فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا » اتفقوا على أمر فيما بينهم... « لَا نَدْعُكُمْ تَصْعَدُونَ » لا نسمح لكم بالصعود الى أعلى السفينة... « فَتَوَذَرُونَا » فتسبون لنا الأذى... بما تفعلون... « فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا » فثار الذين في أسفلها... وردوا عليهم ذلك الرد الخطير... الهدام... « فَإِنَّا نَنْقُبُهَا » فإننا أمام إصراركم على منعنا من الصعود الى سطح السفينة... نخرق السفينة...

« مِنْ أَسْفَلِهَا » نحدث بها ثقباً في قعرها.. « فَتَسْتَقِي » فنستطيع أن نأخذ الماء اللازم لنا... من أقرب طريق ذلك هو المثل الرائع...

فماذا كان الاشعاع الخالد؟
«فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ» فَإِنْ مَنَعُوهُمْ مِنْ نَقْبِ السَّفِينَةِ
بالقوة... ولم يمكنوهم من ذلك العمل الخطير...
«نَجَّوْا جَمِيعاً» سلمت السفينة... ونجوا جميعاً من الغرق... في مياه
البحر... والهلاك...
«وَإِنْ تَرَكَوهُمْ» ينقبون السفينة... ولم يبالوا بما يفعلون...
«غَرَّقُوا جَمِيعاً» تدفق الماء الى السفينة... فغرقوا جميعاً... الذين في
أعلاها والذين في أسفلها...!!
هذا هو المثل الذي ضربه... رسول الله... ﷺ... وفيه جمال
عجيب... مكنون في أنواره...
فمن جماله المكنون... أن الحياة بحر زاخر... بالفتن...
يتماوج بالظلمات... ويركب بعضه بعضاً...
ومن جماله... أن المجتمع... كركاب سفينة... واحدة...
وأن هؤلاء الركاب... منهم قادة... وهم المرموز لهم بـ «أَعْلَاهَا»
ومنهم شعب... وهم المرموز لهم بـ «الذين في أَسْفَلِهَا»...
وأن القادة يجب أن ييسروا الحياة للطبقات التي في أسفل المجتمع...
وإلا ثار الشعب... وطالب بحقه...
وهو المرموز له بـ «تُنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا»... وذلك إشارة الى
الاتجاهات الهدامة... التي يندفع أصحابها... الى تدمير المجتمع...
وأن القادة يجب عليهم اذا آنسوا من الشعب اتجاهها هداماً... أن
يأخذوا على أيدي الهدامين...
وهذا مرموز اليه بقوله «فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ»...
وإن فعلوا... «نَجَّوْا جَمِيعاً»... نجت الامة قادتها وشعبها...
وأنهم اذا فرطوا في ذلك... «غَرَّقُوا جَمِيعاً»...
غرق المجتمع كله... وهلك...

ولقد أوتي رسول الله... ﷺ في هذا المثل... الجمال... والإحكام...

فأعطى كل ذي حق حقه...

فعلى القادة أن يعطوا الشعب حقه... وما الماء... الا رمز لمطالب الحياة التي لا بد منها لكل فرد في المجتمع... ونبه أن القادة اذا لم يوفروا للشعب ضرورات حياته... اضطروه الى الاتجاهات الهدامة... التماسا لتلك الضرورات من أي سبيل...

كهؤلاء الذين قرروا أن ينقبوا نقبا في السفينة... التماسا للماء... للضرورات... لانهم لا غنى لهم عن الماء... ولا تقوم حياتهم الا به... وأن على الشعب كذلك... الا يعالج الخطأ بخطأ أفحش منه... فيندفع الى تدمير الحياة... من أسفلها... من اتباع الشهوات... التي هي المرتبة السفلى من قيم الحياة...

وأن على القادة أن يدركوا أن سلامتهم في سلامة الشعب... وأمنهم في أمن الشعب... وأن على الجميع... أن يتعاونوا... فيما بينهم... لتسير السفينة بهم...

في بحر الحياة...

فإن منع القادة عن الجماهير حقوقها... وأصروا على ذلك...

اندفعت الجماهير... الى تدمير السفينة... فغرقوا جميعا...

ذلك مثال ضربه... رسول الله... ﷺ...

للقائم على حدود الله... المنفذ لتعاليم السماء...

والمُذهن فيها... المغير لتعاليم السماء...

ونبه فيها الى ضرورة... وحتمية مجاهدة أهل الظلام...

وعدم تركهم... يفسدون المجتمع... والا انتشر الفساد... فانهار

المجتمع كله... بما فيه من صالحين... وطالحين... وأخيار...
وأشرار...

لأن المجتمع شركة بين الجميع...

لأن الجميع ركاب سفينة واحدة... فإن غرقت غرقوا جميعا...
فتأمل عجائب الشخصية... من خلال اشعاع واحد...
كيف انطلقت منه أنوار عظيمة... في أخطر أمر من أمور الحياة...
هو كيف يكون موقف أهل النور... من أهل الظلام... اذا جمعهم
جميعا مجتمع واحد؟!!

فكان الجواب: «وَأِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا»!!!

أخطر...
قانون...
أزلي...؟!

قدم ... رسول الله ... ﷺ ... الى البشرية ... في اشعاع ... عجيب ...
 من اشعاعات أنواره ... أخطر ناموس الهي ... أو قانون طبيعي ... كما
 يحب ان يسميه أهل العصر الحديث ...
 وأحب لكل انسان ان يفكر طويلا ... وعميقا ... في ذلك القانون
 الطبيعي ... الذي كشف أسرار ... رسول الله ... ﷺ ...
 فوضع بذلك مفتاحا خطيرا من مفاتيح الحياة في يد كل انسان ... ولو
 أن البشرية أخذت عن رسول الله ... ﷺ ... حقائق الحياة ... لاكتشفت
 أسرارها ... وبالتالي سهل عليها ... أن تنتظم فيها على الطريق المؤدي الى
 سعادتها ...
 ولكنها أعرضت عن رسول الله ... ﷺ ... فعميت عليها الأنباء ...
 وانحرفت انحرافا بعيدا !!!
 وبدون وضوء ... ولكن في سكينه الأنبياء ... يقدم رسول الله ...
 ﷺ ... الى البشرية ... هدية السماء ...
 «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:
 «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
 «لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 «وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

«أَوْ، لِيُوشِكَنَّ اللهُ، أَنْ يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا، مِنْهُ
ثُمَّ تَدْعُونَهُ، فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ».

(أخرجه الترمذی)

ما هذا؟! |

هذا نبأ خطير جدا جدا جدا...
وأخطر منه... الممكنون فيه...
والممكنون فيه... ناموس الهي... قانون طبيعي... لا تبديل له... ولا
تحويل... يقع حتما... ويتحقق اتوماتيكيا...
يقول... خير مَنْ قال من البشر...
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ»... أقسم... أنا... محمد... رسول الله... بالله
تعالى... الذي نفسي بيده... يقلبها كيف يشاء... ان شاء أمات... وان
شاء أحياء...
فأنا لا أقول عليه الا حقا... خشية منه... وحبا... وتعظيما...
واجلالا...
«لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»... لتأمرن يا أيها الذين آمنوا... او يا أيها الناس
جميعا...
«بِالْمَعْرُوفِ»... حُسْنُهُ... من الشريعة... لتأمرن بالخير...
«وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ»... ولتمنعن الأشرار من ارتكاب الشرور...
التي تستنكرها الشرائع السماوية... وتنفر منها الطباع السليمة...
إما أن تأمروا بالخير... وتنهوا عن الشر... وإلا... وإلا... ماذا؟!
«أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللهُ، أَنْ يَنْعَثَ عَلَيْكُمْ، عِقَابًا، مِنْهُ»...
أن يرسل الله عليكم جميعا... عقابا... شديدا... هائلا... كائننا
منه... مرسلا من عنده...
«ثُمَّ تَدْعُونَهُ»... ثم تسألون الله بعد ذلك... وتجأرون اليه...

«فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»... فلا يأبه الله بدعائكم... ولا يستجيب لكم في شيء مما تدعونه...

ذلك ظاهر الحديث العجيب... فما هو الناموس المكنون فيه؟
أو: ما هو القانون الطبيعي... الباطن في ثناياه؟!
القانون الطبيعي... ان كل مجتمع... كل أمة... لا تنتظم على أوامر الله... ولا تنتهي عن نواهيه تعالى... ينزل بها العقاب حتما... عقاب الخروج عن حدوده تعالى...

وفي هذه المرحلة... مرحلة نزول العقاب... مهما دعا الناس لرفع هذا العقاب... فلا قيمة لدعائهم!!!
وخطورة ذلك القانون الطبيعي... تأتي من أنه مفتاح التطور التاريخي للبشرية كلها...

فما من أمة انتشر فيها المنكر... وسكتت عن منع ذلك المنكر... الا عوقبت... بعقاب ما... من الله تعالى...

إما بذهاب سيادتها... واذلالها ذُلًّا دوليا...
وإما بنقص اقتصادياتها... وتحول الحياة الى ضنك وضيق...
وإما بتفرقها شيعا... وإذاقة بعضها بأس بعض...
وإما بانتشار الاوبئة... والامراض في أفرادها...
وإما بنزع البركة من أرزاقها... فلا خير في نقودها... ولا في أموالها...

وهو ما يسميه الاقتصاديون المعاصرون... انخفاض قيمة العملة... نتيجة لارتفاع الاسعار ارتفاعا جنونيا...

الى غير ذلك... من العقوبات الالهية... التي لا يعلمها الا هو...
﴿وما يعلم جنود ربك الا هو﴾...

(المدثر ٣١)

ومتى أصبح الحال حال عقاب...
والبرحلة مرحلة عذاب...

مهما دعا الداعون... وسأل السائلون... فلا استجابة لدعائهم... لانهم
حين يدعون برفع العذاب... ووقف العقاب... انما يطلبون تغيير
الناموس... والناموس الالهي لا تبديل له ولا تحويل...
قال تعالى:

﴿... فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

(فاطر ٤٣)

وكل دعاء يصادم الناموس الالهي... لا يستجاب... ولا يلتفت اليه...
لأنه دعاء خاطئ... طائش...
فالناموس الالهي... هو انزال العقاب بالأمة اذا سكنت عن المنكر...
ولم تأمر بالمعروف... فانتشر فيها الفساد...
فاذا جاء أحد الناس وسأل الله أن يرفع ذلك العذاب... كان مصادما
للناموس العام...

ومستحيل أن يسمح الله بتغيير نواميسه!!!
ولو أن كل أمة فكرت في ذلك الناموس... لسارعت فورا... الى الأمر
بالمعروف... والنهي عن المنكر... تأمينا لحياتها من أن ينزل بها
العقاب...

ولكن الناس ظنوا انها مجرد كلمات... ولم يأنبهوا بما فيها... فوقعوا
بأنفسهم العقاب!!!

ولقد حذر الله تعالى... كل فرد... وكل مجتمع... وكل دولة... من
ان تستهين باشعاعات رسول الله... ﷺ... وان تهمل العمل
بمقتضاها...

فقال سبحانه:

﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ
عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(التور ٦٣)

وهذا القانون الطبيعي... الذي أعلنه رسول الله ﷺ... يعتبر من أخطر القوانين الطبيعية... التي تفسر اتجاهات التاريخ البشري... وسر قيام الأمم... وسر انهيارها... وسر سعادتها... وسر شقاوتها... وسر ضياع دعاء الداعين... في الأمم الفاسدة... وسر انزال العقاب بالأمم... على مستوى العالم كله... وكيف يُتَقَى ذلك العقاب... وهو بالمسارعة الى الاصلاح... والعودة الى تنفيذ أوامر الله... واجتناب معاصيه... اتقاء لغضبه... وانزال عقابه... وهذا العلم بأسرار السياسة الالهية... وكيف تسوس أهل الأرض... مقام... يستحيل... أن يرتفع اليه إلا الأنبياء... ويستحيل أن يعلمه في عمومه وشموله... الا هذا الذي بعثه الله الى جميع الناس رسولا...

ولقد كان صاحبه في الغار... الصديق ابو بكر... اكثر اصحابه ادراكا لتلك المعاني... المكنونة في اشاعات رسول الله ﷺ...
«عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ، أَنَّهُ قَالَ:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَوْنَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾... (المائدة ١٠٥)
«وَأِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ
«أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ، بِعِقَابٍ مِنْهُ».

(أخرجه الترمذي)

انظر الى الفقه الرائق الفائق؟

رضي الله تعالى عنك أبا بكر... يا ثاني اثنين إذ هما في الغار !!!
إن فقه الصديق... في قوله سبحانه:

﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾... انه يتحتم أولا على المجتمع أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر...

يتحتم عليه أولا أن يأخذ على يد الظالم... على يد الشرير...
يتحتم عليه أن يمنع الأشرار من فعل الشر...
وإن لم يفعلوا... عوقبوا جميعا... وغرقوا جميعا...
فكان معنى الآية... عند الصديق... مُرُوا بالمعروف وأنهُوا عن
المنكر... ثم بعد ذلك... عليكم أَنْفُسُكُمْ... عليكم بلزوم اصلاح
أَنْفُسِكُمْ... فحينئذ لا يَضُرُّكُمْ من ضل من المجتمع... اذا اهتديتم في
أَنْفُسِكُمْ...

وهذا توجيه عجيب جدا...
أي اذا انتشر الفساد وغلب بحيث عجزتم عجزا تاما عن الاصلاح...
فالزموا أَنْفُسَكُمْ...
﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾... عليكم أن تثبتوا أنتم على الحق... أن توجهوا
قلوبكم اليه تعالى دائما...
وهذا يعتبر أقوى أنواع المقاومة التي يمكن أن يفعلها المؤمن... اذا
كان جميع الناس... أو أغلبهم في الظلمات...
انه يتجه بقلبه الى الله... ويداوم على الترقى في مقامات النور... انه ان
فعل لا يضره من ضل اذا اهتدى...
﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ اذا اتجهتم بقلوبكم اليها... عند
انتشار الفساد... والفتن...

دخلت قلوبكم الى النور... وخرجت من الظلمات...
ومتى خرجتم من الظلمات... ودخلتم الى النور...
استحال على أهل الظلام ان يضروكم... ان يعيدوكم الى الظلمات...
لانكم في مستوى... وهم في مستوى...
انتم في النور... وهم في الظلمات...
فكان ناموسا آخر... فقهه الصديق... مما تلقى قلبه من انوار... قلب
رسول الله ﷺ...

وقانونا طبيعيا... أن المؤمن عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر...

فإن عجز عن تحقيق نتيجة... أو تحويل المجتمع عن الشر... فعليه نفسه...

عليه أن يلزمها التوجه الى الله... يلزمها الثبات على الحق... فيخرج من ظلماتهم... الى النور... فيستحيل بعد ذلك ان يضروه... ان يعيدوه الى ظلماتهم...

وما أشبه المؤمن في أزمنة الفتن... بنقطة نور... في بحر مظلم... او بنجم منير في الأعالي... في فضاء واسع من الظلام... لا تأثير عند ذلك... لذلك الظلام الواسع... على ذلك النجم المتلألئ... في الأعالي...

وتجد ذلك مكنونا في:

«أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم، اهتديتم».

وذلك التوجيه الخطير للقلوب المؤمنة عند اشتداد الفتن...

وانتشار الفساد... تجده مكنونا في حديث:

«روى أبو أمية الشعباني قال:

«سألت أبا ثعلبة الخشني، فقلت له: كيف تصنع بهذه الآية؟

قال: آية آية؟»

«قلت: قوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ

إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾؟

«فقال: أما والله، لقد سألت عنها خيراً

«سألت عنها رسول الله ﷺ فقال:

«بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر

«حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة،

«واعجاب كل ذي رأي برأيه

«فعليك بخاصة نفسك
«ودع أمر العامة
«فإن من ورائكم أياما، الصبر فيها مثل القبض على الجمر
«للعامل فيهن، مثل أجر خمسين رجلا
«يعملون مثل عملكم...»
«إذا رأيت شحا مطاعا، وهو منع الفضل... او منع الواجب...
«وهوى متبعا» يأتي كل أحد ما هوى من غير أن يتبع شريعة، او
يقتدي بسنة، وانما يعمل بموافقة الشهوة، وما يراه لنفسه من مصلحة.
«ودنيا مؤثرة» مقدمة على الآخرة
«واعجاب كل ذي رأي برأيه» وذلك حين تزول الالفه، وتنفرد
الجماعة ويأخذ كل أحد في جانب...
«فعليك بخاصة نفسك» يعني اذا عجزت...
«فإن من ورائكم أياما» ستأتي من بعدكم اجيال...
«الصبر فيها» الصبر على تنفيذ اوامر الله تعالى فيها...
«مثل القبض على الجمر» مثل ان تضع في كفك جمرا... قطعا من
النار ثم تقبض اصابعك على هذه القطع من النار...
فانظر كيف تكون آلامك... وكيف تنوجع... وتألّم؟!
وانما يمكن للانسان المعاصر... ان ينصور ذلك التشبيه...
اذا تصورت نفسك تمشي على ساحل البحر... في الصيف... على
بلاج من البلاجات المعمورة... في الشواطئ المشهورة... الراقية...
فتجد نفسك أمام الاف من النساء الجميلات... العاريات...
الفاتنات... السابحات... المستلقيات على ظهورهن... المائلات...
المميلات... الضاحكات... اللاعبات... العابثات...
انظر كم من الشهوات تنور بنفسك...
ثم انظر حين تتذكر أن الله نهاك عن تتبع هذه العورات وقال لك:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... ﴾

(النور ٣٠)

ثم انظر كم تلاقي من العنت والتعب النفسي... وأنت تقاوم تلك الفتن وتبتعد عنها... وتغض البصر عن تلك المحاسن... ابتغاء رضوان الله؟! انك تكون في هذا الصراع... تماما... كمن وضع في يديه... جمرات... قطعاً من النار... محرقة... ثم كلف ان يقبض اصابعه عليها...

والشهوات الثائرة في أعماق النفوس... جمرات مشتعلة... ومحاولة تقيدها وقمعها... من النفس المؤمنة... كمحاولة القبض على الجمرات... سواء بسواء...
فالمؤمن في هذا العصر... الذي أصبح الفساد فيه فنا... من الفنون المدروسة... المرسومة...

يلاقي ويلاقي... وما أشد ما يلاقي!!!
وهذا هو السر في اعظام اجره عند الله...
وقوله: **لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أُجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا... يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِكُمْ، !!!**

هذا هو بيان رسول الله... ﷺ لمفاهيم الآية الكريمة...
فكان اشعاعا... عظيما... هائلا... من النور... المتدافع... الى آفاق الحياة البشرية... طولا... وعرضا...
المرحلة الاولى... محاولة الاصلاح... ما استطاع الى ذلك المصلحون سبيلا...

المرحلة الثانية... إذا تعذر الاصلاح... واستحال...
فلا ينبغي أن ينقلب المؤمن الى الظلمات... مع أهل الظلام...
كلا... وانما يبقى في سمائه... متلألئا بأنواره... ساطعا في ظلماتهم...

وبذلك حفظ رسول الله... ﷺ... مقومات الشخصية المؤمنة... من
عوامل الهدم... واليأس... والانقياد...
فأعطى للقلب المؤمن... نورا عظيما... يشع في قلبه... اذ انتشر
الفساد... وعمت الفتن... واستحال الاصلاح...
على المؤمن حينئذ نفسه... عليه قلبه... يتجه به الى الله...
فيدخل قلبه فورا الى النور... ويخرج من الظلمات...
وكلما ازداد المجتمع ضلالا... وظلاما... ازداد هو التجاء بقلبه الى
الله... فازداد رقا... وازداد نورا...
فبينما المجتمع كله يهوي الى اسفل...
اذا بالمؤمن يزداد علوا الى أعلى...
وبينما المجتمع كله يزداد ظلاما الى ظلام...
اذا بالمؤمن يزداد نورا الى نور...
فانظر كيف تعالى اشعاعه... وتلألأ؟!
ثم انظر كيف اذاع النواميس العلى لتكون مفاتيح النفوس جميعا؟
ثم انظر كيف أحكم ما أذاع... فكان وحيًا يُوحى؟
ثم انظر بعد ذلك... كيف كانت تلك الشخصية... وكيف أمكن ان
تتلألأ في صورة بشر؟
فإن عجزت عن التفسير، قل: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ !!!

(الفرقان ٥٤)

الشخصية...
في رَغْبَةٍ...
وَرَهْبَةٍ...؟!

يا أيها العارفون... تعالوا معي...
اسبحوا بين يدي... أو عن يميني... أو عن شمالي...
فإن رأيتموني أغرق... فخذوا بيدي... فإن البحر عميق... عميق...
فنحن أمام بحر من النور... قادمة أمواجه كالجبال...
توشك إحداهن أن تغرقني...
فإن قلت: أي بحر هذا الذي تدعونا الى السباحة فيه؟!
قلت: هذا هو البحر يا رفاق:
«صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلَاةً، فَأَطَالَهَا
«قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّيْتَ صَلَاةً... لَمْ تَكُنْ تُصَلِّيْهَا؟!
«قَالَ: أَجَلُ
«إِنَّهَا صَلَاةُ رَغْبَةٍ، وَرَهْبَةٍ
«إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ، فِيهَا، ثَلَاثًا
«فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ
«وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً
«سَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِسَنَةِ
«فَأَعْطَانِيهَا
«وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ، عَدُوًّا، مِنْ غَيْرِهِمْ

«فَأَعْطَانِيهَا
«وَسَأَلْتُهُ، أَنْ لَا يُدَيِّقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ.
«فَمَنْعَنِيهَا»

(أخرجه الترمذی)

قال الأقدمون: «حكم صلاة الرغبة والرغبة، لزوم الباب، وإطالة الدعاء، وإنهاء الخضوع نهايته.

النبي ﷺ في أصل الإجابة كسائر المسلمين، في أنه يجوز أن يعين له ما دعا فيه، ويجوز أن يعرض عما سأل، ولا يعين له.

«وقد قال: «ما من داع يدعو إلا كان بين إحدى ثلاث...»

فذكر أنه يعرض، أو يدخر له، أو يعطى ما سأل

«قوله في السنة العامة «فَأَعْطَانِيهَا»... وذلك أنه متى جاع قطر، أو أجذبت أرض أخصبت أخرى...

وما يفعل الله من ذلك، فإنه تأديب لعباده، وعبرة لمن كان على غفلة، أو فترة، أو غرة

قوله «لَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ» أنه أجيب فيها

فإن ظهر العدو في قوم، ظهر عليه آخرون، وأسلموا

وقد فتح الله الفتوح، ونصر بالرعب رسوله وأصحابه، وأصحاب

أصحابه ثم انقطع الفتح، ووقفت الحال

ثم عكستها الذنوب، والمظالم.

ذلك شيء يسير... من كثير... مما قالوا في ذلك البحر المنير...

إلا أن البحر له أمواج عالية... تتزاحم... نورا... يركب بعضه

بعضا...

في البحر تتلأأ شخصية رسول الله... ﷺ... شيئا فوق إدراك

العقول!!

« صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً فَأَطَالَهَا ... »

وما أدراك ما رسول الله... حين يصلي... فكيف به اذا أطل
الصلاة!!

هناك انوار صاعدة... وأخرى نازلة...
القلب... العظيم... الأعظم...
تصاعد منه الأنوار... الى ربها...
وتنزل اليه الأنوار... من ربها...
فهناك برزخ... يحجز الظلمات... بعيدا... بعيدا عن تلك المنطقة
الحرام... منطقة توجه قلب رسول الله... ﷺ... الى ربه تبارك
وتعالى!!!

«قالوا: يا رسول الله... صَلَّيْتَ صَلَاةً... لَمْ تُكُنْ تُصَلِّيْهَا؟!»
إن أصحابه في عجب... من هذا الذي حدث!!!
إن رسول الله... ﷺ... قد صنع صنيعا جميلا... لم يألوه... في
صلاته!!

«قَالَ: أَجَلٌ... نعم... صَلَّيْتُ صَلَاةً لَمْ أَكُنْ أَصَلِّيْهَا...
«إِنَّهَا صَلَاةٌ»... على مستوى آخر... غير مستوى الصلوات...
«رَغْبَةً»... أرغب فيها... فيما عند ربي... وأرجوه...
«وَرَهْبَةً»... وخوف من ربي... خوف الأنبياء حين يسجدون
لربهم... خوفا تذوب منه الجبال!!!

ورسول الله... ﷺ... أعرف الخلق بربه...
فهو أعلم الناس... بما يليق به سبحانه وتعالى...
انظر الى الناموس الجميل... الجليل... الذي سَنَّهُ للمؤمنين
انه يرغب أن يسأل ربه أشياء... فماذا كان منه؟!
أطال الصلاة... أطال قيامها... وركوعها... وسجودها...
وفي كل ذلك... قلبه الشريف... الذي هو دائما في شهود...

قائما مع ربه... رَغْبًا... وَرَهْبًا... رغبة فيما عنده سبحانه... ورهبة
جلاله وكبريائه وعظمته...

قال تعالى:

﴿... يَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾

(الأنبياء ٩٠)

يتوجهون إلينا دائما بقلوبهم...

﴿وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾... متوجهين بقلوبهم دائما...

وتلك مقامات الأنبياء العُلى... فكيف بمن كان منهم في الذروة...

ومن ربه قاب قوسين أو أدنى!!؟

لا يعلم قلب رسول الله... في ذلك المقام... الا الله تعالى!!!

ولا يستطيع التحليق الى تلك المقامات... أحد...

وَمَنْ اسْتَرَقَ... احترق...!!!

ثم اذاع رسول الله... ﷺ... بيانا يعتبر من أخطر البيانات التي أذاعها

في حياته الشريفة... على العالم أجمع...

«إني أنا محمد... رسول الله...

سألت الله ولعل السؤال كان في سجوده... طويلا... بين يدي ربه

سبحانه...

«فِيهَا» أثناء تلك الصلاة الطويلة...

«ثَلَاثًا» ثلاث مسائل...

«فَأَعْطَانِي اثْنَيْنِ» فاستجاب لي في أمرين اثنين...

«وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً» ولم يعطني مسألة واحدة...

تأمل أسلوب الشخصية... في التشويق!؟

يكاد كل رجل من أصحابه يسأل الآن: ما هي «الاثنتين»... وما هي

«الواحدة»!؟

وذلك أعلى... وأعلى... أسلوب من أساليب الترية... التي يمكن أن
يرقى إليها البشر!!!

«سألتُه، سألت الله تبارك وتعالى...

وما أحلى «الهاء» هنا... أنها تشير إلى أنه ﷺ... يستحيل أن يسأل
أحدا سواه... سبحانه...

ويوجه كل إنسان إلى أنه ينبغي عليه أن لا يسأل إلا إياه سبحانه!!!
«سألتُه؟»!!!

هو وحده الذي يُسأل... هو وحده!!!

«أن لا يُهْلِكَ أُمَّتِي»... وأمته هنا... هم الذين اتبعوه... واتبعوا النور
الذي أنزل معه... ولم يخالفوا عن أمره... وخرجوا عن تعاليمه...
تلك هي أمة محمد... ﷺ...

فليس من أمته الذين خرجوا عن حدود الله... وانقلبوا يقسدون في
الأرض... ويزعمون أنهم من أمته لمجرد... أنهم يشهدون أن لا إله إلا
الله وإن محمدا رسول الله...

وتجد ذلك مكنونا... في تلك الأحاديث الكثيرة...

«من غشنا فليس منا».

أى: ليس من أمتي.

«ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب»

أى: ليس من أمتي... الخ تلك النصوص...

وتجد ذلك مكنونا في قوله... يوم القيامة لقوم... «هؤلاء من

أمتي»...

فيقال له: «انك لا تدري ما أحدثوا بعدك»...

وهنا نجد عَجَباً... من تلك الشخصية... العظيمة... العظيمة...

نجد رسول الله... ﷺ... لا يسأل لنفسه... وشخصه... وإنما يسأل

لأمته...

يسأل للذين اتبعوه... الى يوم القيامة...
يسأل للغير... ويجتهد في التذلل... والرغبة... والرغبة...
من أجل من؟
من أجل أمته... لا من أجل نفسه!!
فما أعظم سمو تلك الشخصية... ويا لمقامها... كم ارتفعت عند
ربها !!!
انه في شُغل بالغير... لا تهمة نفسه... وانما يهمه أمر الغير!!
فانظر سمو الشخصية... ثم انظر درجاتها العُلى؟
« بسنة » بعام قحط... بمجاعة عامة... تهلك الناس... والزروع...
والثمار...
« فَأَعْطَانِيهَا » فاعطاني هذه... لا هلاك عام لأمة محمد ﷺ بمجاعة
عامة تهلك الجميع...
وانما تنذارك رحمته تعالى... عباده سريعا... قبل أن يهلكوا...
فان قيل: روى التاريخ وقوع المجاعات الخطيرة في البلاد
الاسلامية...
قلنا: لم تكن عامة... بل في مكان دون الآخر...
كتلك المجاعة على عهد عمر... في الحجاز... اما سائر الدولة فلم
يكن فيه مجاعة...
ولذلك سرعان ما هبت مصر والشام والعراق لنجدة الحجاز
بالمعونات...
وسرعان ما أمطرت السماء... حين صلى عمر صلاة الاستسقاء...
وجأر الى الله... ومن ورائه أصحاب رسول الله... ﷺ...
فارتفعت المجاعة سريعا...
وان قيل: قد كانت تقع المجاعات بمصر كثيرا...
قلنا: ان الدعوة مجابة في حق الأمة ما كانت أمة محمد... ﷺ...

أي ملتزمة بالخط الذي خطه للحياة... ملتزمة بتطبيق تعاليم السماء...
وتلك البركات... المبتوثة... في تلك الدعوة المستجابة... تصيب
حتما... اتباعه ما كانوا على الطريق...

فان قيل: فما بال الشعوب الإسلامية تكاد تكون فريسة لما يشبه
الجوع... وانخفاض المستوى المعيشي؟!

الجواب: وكم من هذه الشعوب... ينفذ تعاليم محمد... ﷺ...
حتى يمكن أن يقال عنها... انها من أمة محمد... ﷺ!

وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

(الأعراف ٩٦)

ولو أن أهل المدن والقرى... ولو أن الامم... ولو أن الشعوب...
﴿آمَنُوا﴾ اتجهوا بقلوبهم الى الله...
﴿وَاتَّقَوْا﴾ معاصيه... فلم يخرجوا عن حدوده...
لو انهم انتظموا على الناموس العام... انتظمت قلوبهم بالاتجاه اليه...
وانتظمت اجسامهم بالابتعاد عن المعاصي...
لو فعلوا ذلك ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ﴾ خيرات... عيمة...
عظيمة...

﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كميات غزيرة من الامطار النازلة من السماء...
مما يؤدي الى زيادة الاراضي المزروعة... وزيادة الثروة الحيوانية...
والنباتية... والاقتصادية...

وبركات من السماء... بإمدادهم بالانوار... والرحمة... والرضى...
مما يزدادون به سعادة في حياتهم... وأنسا... وسرورا...
وتلك الآية... او ذلك الناموس الالهي...
مقرر... ماض... في كل أمة آمنت واتقت...

والنبوة في مقاماتها العُلى... مِنْ العلم بالله... ومعرفة نوااميس الله تعالى
العليا... في الوجود...

تعلم القضية في شمولها... وتبصر من الله ما لا نبصر... وتعلم ما لا
نعلم...

فحين سأل رسول الله ﷺ ربه سبحانه وتعالى... أن لا يُهلك أمته
بسنة...

انما سأل أن يفتح عليها بركات من السماء...
سأل ذلك ما دامت على ما جاءها به... وما أمرها به...
مادامت على الحالة التي تجعلها حقيقة تسمى أمته...
فالدعاء عميق جدا جدا جدا...
عُمق عِلْم رسول الله... ﷺ... بالله جل جلاله...
عميق عمقا... هو برهان يسطع... ويقطع... بأن تلك الشخصية...
في أعلى أعالي عليين...

عمقا... يلمس الغائص في مكنونات أنواره...
أن رسول الله... الذي أنزل الله تعالى عليه:
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنْ
السَّمَاءِ...﴾...

(الأعراف ٩٦)

فسطع نورها في فؤاده...
هو هو... رسول الله... الذي سأل ربه أن لا يُهلك أمته بسنة... لا
مطر فيها...

أنوار هذه الآية في فؤاده... هي هي أنوار ذلك السؤال...
في الآية وعد كريم... بأن كل أمة آمنت واتقت فتح الله عليها بركات
من السماء... مادية ومعنوية... ظاهرة وباطنة...
ورسول الله... أمر أمته... أن تؤمن بالله... وأن تتقي الله...

فما دامت أمته قد أتت بالشرط... وهو الإيمان والتقوى...
فإنَّ وَعْدَ اللَّهِ لآت... لكل من استوفى الشرط... وإن وعده تعالى لحق
واقع... ما له من دافع...
وتموجت أنوار التنزيل في فؤاده... فتماوجت أنوار النبوة... في
فؤاده...

فانفتحت ينباع قلبه المقدسة... تتعالى... وتتعالى... بالرغبة...
والرهبة... الى ربها تبارك وتعالى...
«فَأَعْطَانِيهَا»... فأعطاه الله تعالى ما سألت...
وذلك شيء من أسرار استجابة دعاء الأنبياء...
لأنهم يعلمون من الله ما لا نعلم... فاذا سأله... سأله بما يمضي مع
النواميس الالهية... السارية في الوجود...
كما رأينا... تطابق الدعاء مع مكنونات الآية...
فسبحان مَنْ خَلَقَ بَشَرًا... وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا... ثم جعل له قلبا...
ثم جعل في ذلك القلب من العِلْمِ به تعالى... ما لا تسعه السماوات
والأرض!!!

هذه واحدة... فما الثانية؟!
«وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ»... عدواً خارجياً...
يغزوهم... ويستعمرهم... ويتسلط عليهم... ويتنزع منهم السلطان...
«فَأَعْطَانِيهَا»... فأجيب الى سؤاله...
وأوضح صورة لذلك أن أمة محمد... ﷺ... كانت هي العليا... في
الكرة الارضية...

وأوضح نموذج لذلك... عهد عمر...
فقد كانت الدولة الاسلامية... تبسط سلطانها على المشرق
والمغرب...

ولا توجد دولة ثانية... في الارض... تنازعها ذلك السلطان...

وقد ظلت الدولة الاسلامية كذلك... الى ما بعد عهد الفتن بقرون...
الى ان انتشر الخبث... وازداد الانحراف... ولم تعد الامة امة
محمدية...

فطبقت عليها نواميس أخرى... وانهارت كما تنهار كل دولة خرجت
على النواميس...

هاتان اثنتان... فما الثالثة؟!

«وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُدَيِّقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ»... أن لا يتفرقوا... وتحول
الدولة الى شيع... ودويلات... تتحارب فيما بينها...
«فَمَنْعَنِهَا»... فلم يستجب له في هذه...

وقد حدث هذا فعلا... ووقعت الفتنة الكبرى على آخر عهد عثمان...
ثم كانت الملاحم بين أصحابه... وسلط بعضهم على بعض...
وحدثت بعد ذلك تمزقات... وانفجارات داخل الدولة الاسلامية...
أدت الى تمزقها... تمزيقا...

وانما رفضت المسألة الثالثة... لانها مخالفة للنواميس الالهية...
لأنه لا يتصور أن تبقى دولة واحدة موحدة... مهيمنة على الأرض...
لا يقهرها عدو خارجي...
ولا تحدث فيها انفجارات داخلية... فان ذلك سيوقف قانون
التدافع...

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾...

(البقرة ٢٥١)

فإما أن يأتي التدافع... بقوة خارجية...
وإما أن يأتي بانفجار من الداخل...
إما أن تكون الدولة الاسلامية قاهرة لأهل الأرض جميعا... غير
مقهورة من قوة أخرى...
ثم تبقى كذلك من الداخل...

فإن ذلك سيؤدي الى الجمود... وهذا مصادم للنواميس العامة...
فلا بد من تحريك بدفع خارجي... أو دفع داخلي...
فاذا امتنع الدفع الخارجي... تحتم الدفع الداخلي...
وهذا ما قد حدث... فكانت الفتن... التي بدأت بفتنة عثمان...
وقد سموها الفتنة الكبرى... لانها فتنة الحُكم...
والتنازع على الحُكم والسلطة هو أكبر فتنة تصيب أمة محمد...
صَلَّى الله عليه وسلَّم...
وكان الدافع الاكبر لتلك الفتنة... أن فريقا يرى الثبات على النصوص
الاسلامية كما أنزلت...
وفريقا يرى التطور مع مقتضيات العصر... واتساع الدولة... ودخول
عناصر غير اسلامية في أرجائها...
ثم كان الصراع... وكلُّ يرى أنه مصيب فيما يذهب اليه...
وهذا يفسر انقسام أصحاب رسول الله... ﷺ... في تلك الفتنة...
وهم على ما هم عليه من النور...
وسوف تظل هذه الفتن مشتعلة في العالم الاسلامي... الى يوم
القيامة...
لأنها خلاف في وجهات النظر... يؤدي حتما... الى النزاع...
وأعجب العجب في هذا الأثر الصحيح... المأثور عن رسول الله...
صَلَّى الله عليه وسلَّم...
أنه مفاتيح كثيرة لشخصية رسول الله... ﷺ...
المفتاح الاول... أن محمدا... ﷺ... صادق... على أعلى
مستويات الصدق...
فقد صدق في اذاعة ما حدث بينه وبين ربه...
فاذاع أنه أجيب الى اثنتين... ومُنِع واحدة...
ومع ما في ذلك مما لا يحب الانسان الطبيعي ان يذاع عنه...

فان الانسان يجب ان يفهم عنه انه اذا سأل أُعطي...
فإن صفة الصدق الخالص... تتلأأ من الشخصية... في ذلك المقام...
إذ أذاعت الحق... كما كان... لا كما يحب الإنسان الطبيعي أن يكون...
المفتاح الثاني... الصدق في العبودية... فقد رأينا كيف أن محمدا...
ﷺ... أطال الصلاة... وسجد طويلا أمام ربه... استمطارا لرحمته...
واجابته...

المفتاح الثالث... الرجاء والخوف... او الرغبة والرغبة... التي تتحقق
دائما في قلبه... فهو دائم الرغبة... دائم الخوف...
المفتاح الرابع... صفة التنبؤ بالغيب... وما سيكون... فقد تنبأ رسول
الله ﷺ... في هذا الأثر... بثلاثة أمور...
تنبأ بعدم اهلاك أمته هلاكاً عاماً... وقد كان...
وتنبأ بعدم هزيمتها دولياً أمام أعدائها ما داموا متمسكين بتعاليمه...
وقد كان...

وتنبأ بتسليط بعضهم على بعض... ووقوع الفتن بينهم...
وحدوث الانفجارات الداخلية... وقد كان...
وذلك مستحيل أن يكون إلا من الأنبياء...
لأن النبي سُمي نبياً... لأنه يتنبأ بالغيب... بما أذن الله له أن يعلم من
الغيب...

المفتاح الخامس... أن الشخصية المحمدية... شخصية أُمّرت أن
تتنظم على ناموس الأسباب...
ليكون ذلك تعليماً... وتشريعاً... للناس جميعاً... الى يوم القيامة وها
هو رسول الله ﷺ...

يتقرب ما استطاع التقرب... ويطيل الصلاة رَغْباً وَرَهْباً...
ثم يسأل ثلاثاً... فيعطى اثنتين... ويُمنع واحدة...

وذلك برهان «البشرية» من تلك الشخصية...
ان الانسان يجتهد ما استطاع تقربا الى الله...
ويسأل الله ما شاء من الخير... ولكن ليعلم ان الله تعالى يستجيب ما
شاء... لمن شاء...

لان مقتضى الألوهية... يقتضي ذلك...
ولأن مقتضى العبودية... يقتضي ذلك...
الالوهية تعلم ما لا يعلم الخلق... فهي تقضي بينهم بما تشاء...
وما يشاؤه الله هو الحق... والعدل... ولكنه مجهول... للخلق... لأن
علمهم محدود بالنسبة للخالق...

والعبودية تقتضي أن يجتهد الانسان في الدعاء...
وأن يعلم أن الله يستجيب ما شاء... ويمنع ما شاء...
ولكن العبد ان استجيب له... كان خيرا... عَجَّلَ له...
وان لم يستجب له... نال علو الدرجات عند الله... بتوجه قلبه خالصا
الى ربه تبارك وتعالى...

كلما سأل... والتجأ... وجأ... ارتفع عند الله درجة...
لقد كان رسول الله ﷺ عظيما... حين سأل لأُمته...
عظيما... حين صدَّق أُمته... فيما سيكون من أمرها...
عظيما... حين نادى ربه... فازداد منه تعالى قُرْباً... ودرجات...
ودرجات... ودرجات... لا يُعلم مداها...
عظيما... حين أعطاه ربه اثنتين... فكان رحمة للأمة الى يوم
القيامة...

عظيما... حين منعه الله واحدة... فكان نبياً... حقاً وصدقاً... فبلغ
في أمانة... ما منعه ربه...
عظيما... حين أطال الصلاة... فشرع لأُمته... أن صلاة الرغبة

والرهبة... تقتضي زيادة التقرب... وزيادة الوقوف بالباب... في تدليل...
ورجاء... ورهبة...
عظيما... حين تحققت منه العبودية... لله تعالى... في أعلى مستويات
التحقق...
فليس له عند الله تعالى... على ما له من المقام الأعلى... الا ما شاء
الله...
عظيما... حين تلالأت من ثنايا مقامه ذاك... عظمة الألوهية...
وجلالها... وكبرياؤها... وجمالها... ورحمتها عدلها...
فعلّم الناس... ما لم يكونوا يعلمون!!!

الشخصية...

يُطَوَّى لها...

الزمان والمكان...؟!

في نفس الصلاة... التي أطالها... رسول الله... ﷺ...
والتي جاء تفصيلها في الحديث السابق... في الفصل السابق...
وقعت أمور... تفتح لنا ما كنا نجهل... من تلك الشخصية...
العظمى...

فنجد أنفسنا أمام أمور فوق العقل... ووراء العقل...
تقف علوم العصر الحديث... رغم ما بلغته من تقدم... مبهورة...
مقهورة... لا تدري كيف حدث هذا... ولا كيف يحدث هذا؟!
فلا علوم التليفزيون...

ولا علوم الفضاء...
ولا علوم صواريخ مركبات الفضاء... التي انطلقت اخيرا... حتى
نزلت على كوكب الزهراء... على بعد ملايين الاميال من الارض...
وأرسلت اشاراتها الى مراصد... الذين اطلقوها... في روسيا... أو
أمريكا...

ولا العلوم التي سوف يكتشفها علماء الارض... من بعد... بمستطاعة
لما وقع لرسول الله... ﷺ... في تلك الصلاة... تفسيراً...
وأعجب العجب... أنه حق... قد وقع... لا سبيل الى انكاره!!!
فماذا وقع لرسول الله... ﷺ... في تلك الصلاة?!!

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
 «إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ
 «فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا، وَمَغَارِبَهَا
 «وَأَنَّ أُمَّتِي سَيَلُّعُ مُلْكُهَا، مَا رَوَى لِي، مِنْهَا
 «وَأَعْطَيْتُ الْكَثْرَيْنِ، الْأَخْمَرَ، وَالْأَصْفَرَ
 «وَأَنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي، أَنْ لَا يُهْلِكَهَا، بِسَنَةِ عَامَّةٍ
 «وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ، عَدُوًّا، مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ
 «وَأَنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ
 «وَأَنِّي أَعْطَيْتُكَ، لِأُمَّتِكَ
 «أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ، بِسَنَةِ عَامَّةٍ
 «وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ، عَدُوًّا، مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ
 «فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا
 «أَوْ قَالَ: مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا
 «حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ، يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا».

(أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ)

والمنطقة الأخيرة من الحديث فيها تفصيل ما مر في الحديث
 السابق...

وكيف كان الكلام بين الله تعالى... وبين رسول الله ﷺ...
 وسوف نتحسس السبيل... الى اشاعات الحديث... كلها... لما فيها
 من كشوفات خطيرة... يتحتم على علماء الأرض... الى يوم القيامة...
 مواصلة البحث في أسرارها...

قال: «إِنَّ اللَّهَ رَوَى لِي الْأَرْضَ...»
 قال الأقدمون: «يجوز أن تُجمع له آفاقها، فيرى ذلك منها...
 «ويجوز أن يخلق له الإدراك، والرؤية... وهما شيء واحد، بجميع
 اجزائها، أوساطا، وأطرافا، وآفاقا، فيعين الكل»

فيكون قوله «رَوَى» مجازا
المعنى أنه لما أدرك جميعا، من موضعه، صار كأنه من جمعت له
حتى رآها.

هذا ما قالوا... فما حقيقة هذا الأمر... من عجائب تلك الشخصية؟
«إِنَّ اللَّهَ رَوَى» أى ضمت زواياها... «لِيَّ» من أجلي... «الأرض»
الكرة الارضية...

«فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»... أى أطرافها جميعا... لان الارض
كرة... وكل نقطة فيها مشرق ومغرب... لانها تدور سريعا... وتجري
«وَأَنَّ أُمَّتِي» الامة الاسلامية...

«سَيَّلُ مَلِكُهَا» من بعدي... ستبلغ الفتوحات الاسلامية من بعدي...
«مَا رَوَى لِي مِنْهَا» ما جُمع لي من الكرة الارضية...
كيف حدث هذا الأمر العظيم؟

رسول الله... ﷺ... في صلاة... أطالها... في صلاة رغبة ورهبة...
هناك توجه... قوي جدا... من رسول الله... ﷺ...
وهناك دعاء... يصدر عن قلبه الشريف... فيه مطالب ثلاثة... أن لا
يهلك أمته بسنة عامة... أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم... أن لا
يذيق بعضهم بأس بعض...

فماذا حدث من الانعامات الالهية... على أرقى... وأقرب... عبد من
ربه... خلال تلك النجوى؟!!

حدثت معجزة... ووقعت خارقة... أَلْغَيْ الزمان والمكان...
طَوَيْ الزمان والمكان...

كيف وقع هذا؟!!

كشف الله تعالى الكرة الارضية بأكملها... لرسول الله... ﷺ...
فَرَأَاهَا وهي تدور في الفضاء... وتجري سريعا... حول نفسها...
ورأى شعاع الشمس ساقطا عليها... نصفها نهار ونصفها ليل...

والضوء والظلام يتعاقبان عليها تبعاً لدورانها أمام الشمس... وهذا مكنون قوله:

«فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا»...

رأى الكرة الأرضية كلها... تفصيلاً واجمالاً...

وهو في صلاته... لم يرح مكانه...

وأعجب من هذا... أراه الله تعالى ما يبلغ مُلك أُمته منها... من

بعده...

مدى اتساعات الفتوحات الإسلامية... ومدى ما يصل إليه الإسلام من

الكرة الأرضية...

أراه الله آخر نقطة يصل إليها الإسلام شرقاً وغرباً... وشمالاً وجنوباً...

على مدى مئات السنين من بعده...

كل ذلك وهو في صلاته!!!

فما هذا؟

هل هو تليفزيون؟!

كلا... فان التليفزيون محدود القدرة... ينقل المناظر في تتابع...

ولا يستطيع أن ينقل لك منظر الكرة الأرضية... تفصيلاً مرة واحدة...

إذ هو شيء أرقى من التليفزيون رقياً بعيداً...

هل هو ما يراه رائد الفضاء... وهو يدور سريعاً حول الكرة الأرضية...

بسفينة الفضاء... فيرى الكرة الأرضية... نصفها ليل ونصفها نهار...؟!

كلا... فإن ذلك كذلك منظر محدود ويستلزم سفينة فضاء... تدور من

حول الأرض...

ولكن رسول الله ﷺ ساكن في صلاته... لم يركب سفينة...

ولم يتحرك من مكان صلاته!!!!

ولنفرض أن الإنسان استطاع في مستقبل الأيام أن يرى رؤية عامة...

تفصيلية من خلال سفن الفضاء... تفاصيل حركة الكرة الأرضية... بأجهزة متقدمة...

فإن المعجزة تبقى معجزة... من زاوية أخرى...
أن رسول الله ﷺ رأى وهو في صلاته... لم يتحرك من مكانه...

الأماكن التي ستبلغها الفتوحات الإسلامية... بعد عشرات السنين... بل مئاتها...

ورأى الأماكن التي سوف ينتشر فيها الإسلام من بعده... خلال قرون عديدة...

بل رأى ما سيلغى الإسلام من الانتشار... إلى يوم القيامة... في الكرة الأرضية...

أي أنه رأى المستقبل... القادم... بعد مئات... وآلاف السنين!!!
وهذا ما لن يتحقق للإنسان يوماً ما... مهما بلغ من التقدم العلمي...
فإن الإنسان بعلمه يستطيع أن يرى ما هو كائن...

كأن يرى رائد الفضاء... من سفينة الفضاء... الكرة الأرضية...
أما أن يرى ما سوف يكون في الكرة الأرضية... بعد مئات السنين...
وأن يرى الحوادث القادمة... تفصيلاً... على مر تلك السنين...
فذلك ما لا سبيل إليه لبشر...

ولكنه تحقق للأنبياء... وتحقق على أوسع مستوى وأعلاه... لإمام الأنبياء... محمد ﷺ... !!
فما هذا...

الذي فاق التليفزيون... وفاق سفن الفضاء... وفاق آخر مدى يمكن أن تصل إليه العقول !!
وقد نكون نحن الآن.. أكثر حظاً من الأقدمين في ادراك تلك الحقائق...

لأن اختراع التلفزيون يقرب إلينا... فكرة رؤية رسول الله ﷺ...
للكرة الأرضية في صلاته...

واختراع سفن الفضاء... يقرب إلينا فكرة «فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا
وَمَغَارِبَهَا»...

وقد كان الأقدمون يتلقون مثل هذه النصوص بالتسليم الذي يوجبه
الإيمان...

أما نحن الآن ففوق التسليم... نجد أماننا من الاختراعات العلمية
الحديثة ما يقرب إلينا تقريبا كبيرا... مثل هذه الكشوفات... النبوة...
لقد نَعِمَ رسول الله ﷺ... بالتلفزيون... منذ أكثر من ١٤٠٠
سنة... قبل أن يعلم عنه العالم شيئا!!!

بل نَعِمَ به... على تركيب أرقى وأرقى مما وصل إليه التلفزيون القائم
الآن...

فهو قد رأى في لحظة الكرة الأرضية بتمامها... وحجمها...
ودورانها... ونورها وظلامها... وبحرها... وأنهارها... ومدنها...
وقراها... وسكانها... وحيوانها... وجبالها... وأشجارها... رآها
تفصيلا... وأجزاء... وعموما...

وذلك ما لا يستطيع التلفزيون... أو ما وراء التلفزيون من اختراع أن
يبلغه...

أنه قد رأى الكرة الأرضية... وهي تدور دورا سريعا...

ورأى ما عليها... وما حولها... تفصيلا...

ورآها كجزء من كون واسع... وكيف هي بالنسبة لما حولها من
الكون...

ورآها وهو في صلاته... في سجوده... وجهه الشريف... لاصق
بالأرض...

أى في سكون تام... عام... لا حركة بيدنه الشريف!!!
وهذا ما لا يستطيع لا بسفينة فضاء... ولا بما وراء ذلك من
اختراع...

فإنه لابد لرائد الفضاء من الانطلاق بالسفينة كي يستطيع أن يرى...
ومن الابتعاد عن سطح الأرض بُعْداً يسمح له بالرؤية...
ولكن محمداً ﷺ... لم يغادر مكانه من الأرض!!!
ثم كانت معجزة المعجزة...
أو ذروة المعجزة... أن يرى ما سيكون... بعد قرون وقرون...
رآه تفصيلاً ورأى معارك أمته مع أعدائها...
وانتصار فتوحاتها شرقاً وغرباً...
رأى ذلك كحوادث تفصيلية... بأشخاصها... ووقائعها...
وحوادثها...

وهذا ما لم يوجد اختراع... ولن يوجد... وليس بممكن أن يوجد...
أو يتيسر للبشرية... مهما بلغت من تقدم علمي!!!
فان المستقبل... والزمان القادم... لم يحدث بعد... حتى يمكن أن
يُسَجَّل... أو يُصَوَّر...

فهو شيء مكنون في الغيب... لا سبيل إليه...
ولكن محمداً ﷺ... رأى ما سيكون...
وتلك معجزة المعجزة... التي وقعت لمحمد... ﷺ... في
صلاته... في سجوده...

اذن هناك أمران خطيران... وراء المادة... ووراء الطبيعة... قد تحققا
لرسول الله ﷺ...

الأمر الاول... طَيُّ الزمان... وهذا تحقق حين رأى ما سيكون...
والأمر الثاني... طَيُّ المكان... وهذا تحقق حين رأى الكرة الأرضية
كلها...

كل ذلك وهو ساكن سكوناً تاماً في سجوده !!!
فيا أيها العلماء... في شتى أنواع العلوم الحديثة... شرقاً أو غرباً...
«هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا»... وتفسروا به هذه المعجزة؟!
فإن لم تستطيعوا... فاعلموا أنه رسول الله... ﷺ...
آتاه الله تعالى... فضلاً منه عظيماً...
فكشف له في صلاته... الكرة الأرضية بما عليها... وما حولها...
وكشف له في نفس الصلاة... ما سيكون في القرون القادمة...
فانكشفت له المساحات التي ستفتحها الفتوحات الإسلامية...
فطُورِي له الزمان... والمكان... في آن... لعله كان لحظة... أو كلمح
بالبصر... أو هو أقل!!!

فإن قيل: كيف؟!
قلنا: إنه الله... خالق كل شيء... وهو على كل شيء قدير؟!
فإن قالوا: ولم يختص محمداً... بذلك؟!
قلنا: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾... (الانعام ١٢٤)
انه يعلم: مَنْ محمد؟!
وما هي مكنونات شخصية محمد؟!
ومدى الاستعداد للإمداد من شخصية محمد؟!
وعظمة القلب المحمدي... المؤهل للتلقي... والفيض... والإمداد...
والعطاء... من رب الأرض والسماء؟!
فإن بهرتكم أنواره... وأعجزتكم أحواله...
فسلموا بعظمة شخصيته تسليماً...
وقولوا: سبحان الذي كشف لعبده... في صلاته... ما كُشِفَ...
وأراه في سجوده ما رأى!!!
ثم ماذا؟.

ثم تستمر الكشوفات... وتتوالى النبوءات...

« وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ ، الْأَحْمَرَ ، وَالْأَصْفَرَ ... »
أي أعطيت لأمتي من بعدي... الكنزين... الأبيض... والأصفر...
الفضة... والذهب...

وذلك بمفهوم عصرهم...
وقد كان ذلك... وغنم المسلمون كنوز الامبراطوريتين القائمتين في
الأرض... فارس... والروم...

ووضعت الأرض بمقدراتها بين يدي أصحابه من بعده !!!
وهناك مفهوم حديث... في العصر الحديث...
لعله أقرب إلى عقولنا، « الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ ، وَالْأَصْفَرَ ... »
الكنز الأحمر... هو كنز البترول... الذهب الأسود...
الكنز الأصفر... هو كنوز الذهب التي غنمها المسلمون من قبل...
وبنظرة عامة إلى الأرض... تجد منابع البترول... أكثرها... يقع في
العالم الإسلامي...

وهذا كنز لا ينفذ من الثروة... من كنوز الأرض...
ثم ماذا ؟

ثم يحدثنا رسول الله... ﷺ ... عما سأل ربه...
ثم يقص علينا في أمانة... ماذا كان كلام ربه تبارك وتعالى إليه ؟
« وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ... إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ... »
هناك اذا قضاء... هناك تخطيط لسياسة أهل الارض...
وهذا التخطيط الالهي لا يُرَدُّ... لا يُدَّلَّ ولا يُعَيَّرُ...
حتما يقع...

« وَإِنِّي أُعْطِيتُكَ لِأَمَّتِكَ ، أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَةٍ ، إِنْ لَا أَهْلِكَهُمْ
بمنع المطر عنهم جميعا...

أو بمجاعة عامة... تأتي عليهم...
وقد كان... كما اخبر واذاع عن ربه تبارك وتعالى !!!

«وَأَنْ لَا أَسْلُطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ». اجنبياء... عدوا
خارجيا...

«فَيَسْتَبِيحُ يَبْغِضُهُمْ» فيستبيح جماعتهم... ويستولي على السلطة من بين
أيديهم...

«وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا» ولو اجتمع عليهم من بأنحاء
الأرض...

ولو اجتمع عليهم أهل الأرض جميعا... يقاتلونهم... فاني انصرهم
عليهم ما داموا على الحق... مستمسكين بما أنزلت اليهم...
«حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا» حتى يتنازعا فيما بينهم ويقتل
بعضهم بعضا...

«وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» ويأسر بعضهم بعضا... في الحروب... أو
يلقي بعضهم القبض على بعض...

وقد كان... وقتل بعضهم بعضا... وقبض بعضهم على بعض!!!
ومتى حدث هذا التفكك والانقسام... أوشكت الدولة ان تتصدع...
وأن تسري عليها نواميس هلاك الأمم... اذا ظَلَمْتَ...
ذلك مفتاح من مفاتيح الشخصية العظمى...

أن محمدا... ﷺ... طُوبَى له الزمان والمكان... في صلاة!!!
وأنه رأى من الكون... ومما سيكون بعده بأجيال...
وهو في مكانه من الصلاة!!!

وأنه رأى مصير دعوته الى يوم القيامة... وحوادث أمته... الى يوم
يعثون...

وأنه سأل أشياء... فأعطي الثلاثين... ومنع الثلاث الآخر...
وأنه كان يعلم من الغيب... ما يأذن له الله تعالى بعلمه...
وأنه استمتع بجميع المخترعات العلمية التي سوف تستحدث من
بعده... كيفما شاء الله...

وأن النبوة شيء وراء النبوات جميعا...
وأن الشخصية... كانت في شؤونها مع ربها... على أحوال... لا
يعلمها الا الله ورسوله...
وأن آخر ما وصل اليه العلم الحديث... يعتبر ذرة... مما أوتي رسول
الله... ﷺ... من بحار الحقيقة...
وأن علوم أهل الأرض جميعا... طُوِيَتْ في قلب رسول الله...
يستخرج منها ما شاء الله... متى شاء الله...
وأن الشخصية التي هذا شأنها... يتحتم على البشر جميعا... دراسة
أسرارها... وأنوارها... لأنها مفخرة الجنس البشري على الإطلاق!!!

رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
يذيع...
قانوناً طيعياً...؟!

ما من قانون طبيعي... اكتشفته البشرية... الا وقد بذل العلماء... في
سبل الوصول اليه... جهدا طويلا... قد يمتد الى أجيال... تصل في
البشرية في نهايته... الى ما وصلت اليه من قانون طبيعي...
فقانون الجاذبية... أو قانون النسبية... كان نتيجة جهود متواصلة...
سبقته من الأبحاث والعلوم...

الا أن هذه الظاهرة... تُوقَف تماما... بالنسبة الى شخصية رسول
الله... ﷺ...

فكم أذاع من نواميس الهية... في بساطة... تخرج من فمه
الشريف...

كأنها أشعة متعددة... تنطلق من شمس واحدة... في وقت واحد...
وكم أعلن من قوانين طبيعية... فجأة... وبدون سابق أبحاث... تعتبر
أعلى مستوى من القوانين الطبيعية... التي عرفت البشرية على الإطلاق...
وهذه الظاهرة... تدل على شيء خطير جدا... من تلك الشخصية...
الخطيرة الشأن دائما...

أن النبوع الذي... يستمد منه رسول الله... ﷺ... غير النبوع
الذي يستمد منه علماء البشرية جميعا...

فهؤلاء ليس أمامهم الا التجربة... والبحث... والتبحر في شتى العلوم
الطبيعية... وقد يصلون أو لا يصلون... في النهاية...

وهذا هو السبيل الوحيد للعلوم الطبيعية... الذي يتحتم على كل عالم أن يسلكه...

فالعلم ثمرة جهاد طويل... مُرّ... مشى فيه العلماء على أشواك وصعاب... واقتحموها... الى غايتهم...

أما رسول الله... ﷺ... فشيء آخر... غير العلماء جميعاً...
رسول الله... ﷺ... يملك بحراً من النور الالهي... يكشف له ما شاء الله... من الحقائق الباطنة والظاهرة...
وما عليه الا ان يستمد من ذلك البحر... الذي لا ينفد... ثم يُلقي الى الناس...

فإذا ما ألقى... ألقى شيئاً فوق عقولهم... ووراء ما يستطيعون جميعاً...

وذلك هو الفارق بين النبوة... والعلم...
النبوة نور يؤتیه الله مَنْ يشاء مَمَّنْ يصطفي من عباده...
والعلم نور يتأتى نتيجة جهاد طويل شاق... الا ان النبوة بحر لا ينفد...

والعلم قطرة نور تنفذ سريعاً...
النبوة نور على أصفى وأنقى مستويات النور... لا يخالطه ظلام ما...
والعلم نور محدود... قد يخالطه قليل أو كثير من ظلام...
والى ذلك يرجع السر... في أن ما يصدر عن الأنبياء... يأتي حقاً...
وصدقاً... لا نقص فيه...

وما يصدر عن العلماء... يأتي ناقصاً... قد يخطئ وقد يصيب... لما يخالطه من ظلام...

وهذا يفسر لنا مكنون معنى عصمة الأنبياء...
فليست عصمة الأنبياء أن هناك جندا يقفون بالمرصاد لشياطينهم
يمنعون كل شيطان من الاقتراب من قلوبهم...

كلا... وانما جعل الله في قلوبهم نورا هائلا... فأحاط قلوبهم بهالة
من النور عظيمة... يستحيل معها أن يقترب شيطان من قلوبهم...
لان الشياطين ذات دذبات منخفضة كثيفة... لا تستطيع الحياة... في
مستوى الذذبات العالية...

فهي تفر فرارا... من قلوب الأنبياء... ولا تستطيع منها اقترابا...
وذلك هو مكنون العصمة... فالأنبياء معصومون... من الخطأ...
لان قلوبهم نور... يستحيل معه أن يقترب شيطان... ليدخل بظلامه
الى قلوبهم...

وحين رمز الحديث عن عمر بن الخطاب انه ما رآه الشيطان يسلك
فجًّا الا سلك فجًّا آخر...

إنما كان يرمز الى ذلك المعنى المكنون... أن الشيطان ذذبات كثيفة
لا تستطيع أن تدخل الى نور قلب عمر... فهي تفر منه فرارا...
والعكس صحيح... كلما كان القلب مظلمًا... كان صالحا لان تأوي
اليه الشياطين... لان ذذبات القلب آتخذ كثيفة... تماثل ذذبات
الشياطين... فهناك تجاذب طبيعي بينها وبين القلب المظلم...
هنالك تتدافع اليه... وتأوي اليه... وتلقي اليه بوساوسها... وهي
الايحاءات المظلمة... الخاطئة...

فانظر... وتأمل... عجائب نواميس ربك سبحانه!!

وتجد ذلك مكنونا في قوله:

﴿وَمَنْ يَفْشُرْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾.
(الرَّحُف ٣٦)

بمجرد الغفلة عن ذكر الله... يدخل الشيطان فورا الى القلب... فهو
للقلب قرين... ملازم...

حتى يرجع الى الذكر... فيفارقه سريعا!!!

تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾...

(الأعراف ٢٠١)

بمجرد التذكر والعودة الى الله... يتنور القلب... فترتفع ذبذبات نوره... فيفر الشيطان منه فوراً...

وتجد ناموس قلوب الأنبياء مكنونا في قوله سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(الحج ٥٢)

ونسخ ما يلقي الشيطان... هو إبطال ما يعرض به الشيطان من ظلمات... وذلك بابعاده بقذف نور هائل الى قلوب الأنبياء... فلا يستطيع الشيطان أن يثبت أمامها!!!

وطبيعي ان القلوب التي هي نور... ويزيدها الله نورا... دائما... تكون مأوى لتنزل الملائكة عليها... لأنها نور... وذبذباتها تماثل ذبذبات تلك القلوب... ومن نفس مستواها...

تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

(فصلت ٣٠)

وهذا التنزل دائم في الحياة الدنيا... على قلوبهم... فضلا عن ساعة الموت...

ولقد كان قلب رسول الله ﷺ على أعظم ما يتصور من النور... وعلى أعلى مستويات الصفاء...

فكان صالحاً لذلك... لأن يتنزل عليه أعلى الملائكة قَدراً... وهو
جبريل عليه السلام... أمين الوحي... وسفير رب العالمين...
لأن هناك تماثلاً في درجة النور... فهناك تجاذب طبيعي... بين قلب
محمد... ﷺ... وبين جبريل... عليهما السلام...
تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۖ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾

(الشعراء — ١٩٣ و ١٩٤)

تلك اشارات... عن نواميس عليا... تنتظم الخلق... جعلها الحق
تبارك وتعالى... سارية... جارية... فيهم وهم لا يشعرون!!!
فقلوب الأنبياء إذا معصومة... أي محفوظة من كل شيطان أثيم!!!
بما أوتوا من النور العظيم... الذي يقف حاجزا بين قلوبهم وبين
الشياطين...

فلا ظلام في قلوبهم... ولا خطأ في أقوالهم...

تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحِيُّ الْيُوحَى ۖ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾

(النجم — ٤ و ٥)

عَلَّمَهُ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام... أوحاه الى قلبه... بإذن ربه...

وفي قلوبهم لذلك بحار... لا تنفذ من النور...

لأنها تستمد من نوره تعالى...

تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾

(الكهف ١٠٩)

ومن هنا نستطيع ان نفهم لماذا كان رسول الله... ﷺ... يلقي

بالقوانين الطبيعية... والنواميس الإلهية... تباعا... في بساطة معجزة...
ويُسر فوق تصور العقول...

دون أدنى مجهود... وبغير عناء... وبغير دراسات ليلا ونهارا...
وانما هو النور ينطلق من قلبه الشريف... الذي يموج بالأنوار...
ويعبر عنه لسانه الشريف... تعبيراً مُحكماً... جميلاً... أخاذاً... كأنه
شيء لا عهد للناس بِمِثْلِهِ!!!
وذلك مكنون في قوله سبحانه:
﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾

(النجم ٣)

لا ينطق عن الظلام... وانما هو نور... ينطلق من قواده الكريم!!!
وهناك استحالة أن تنزل الشياطين على قلوب الأنبياء...
وتجد ذلك مكنونا في قوله تعالى:
﴿وَمَا تَنزَّلُ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۚ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ ۖ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾

(الشعراء ٢١٠ و ٢١١)

﴿هَلْ أَتَبُّكُمْ عَلَىٰ مَن تَنزُلُ الشَّيَاطِينُ ۚ تَنزُلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾

(الشعراء ٢٢١ و ٢٢٢)

وقوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ مكنون فيه... استحالة ذلك... لأن
قلوبهم فيها من النور... ما يجعل اقتراب الشياطين منها مستحيلاً...
وانما تنزل الشياطين على قلب كل أفاك... كثير الكذب... أثيم...
كثير الآثام...

تنزل الشياطين على قلوب المجرمين... من أهل الظلام...

لتمائل ذبذبات قلوبهم... وذبذبات الشياطين!!!

عجيب جدا... أمر هذا الكتاب المسمى بالقرآن!!!

إنه صِدْقٌ وَحَقٌّ... ﴿وَمَن أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ !!!

ومن تلك القوانين الطبيعية التي أذاعها رسول الله... ﷺ... في

بساطة... ودون أدنى عناء... وانما استمدها من بحار الأنوار... التي
تتموج في قلبه الشريف... ذلك القانون الطبيعي العجيب...

«عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ
«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ، مَرَّ بِشَجَرَةٍ، لِلْمُشْرِكِينَ،
يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يُعْلَقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ...
«فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، كَمَا لَهُمْ ذَاتُ
أَنْوَاطٍ...»

«فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللَّهِ!
«هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا، كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ!
«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ».»
(أخرجه الترمذي)

«ذَاتُ أَنْوَاطٍ»: ذات تعليق، والنوط هو التعليق قالوا فيه:
«أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا خَرَجَ إِلَى خَيْبَرَ، رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ
يُعْلَقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ بِشَجَرَةٍ وَقَدْ سَمَوْهَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ، أَيِ ذَاتِ تَعْلِيقٍ، وَالنُّوْطُ هُوَ
التَّعْلِيقُ.»

«فَقَالَ لَهُ الْمُسْلِمُونَ: «اجْعَلْ لَنَا مِثْلَهَا»
«فَأَنْكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْجِهَيْنِ:
«أَحَدُهُمَا أَنَّ الصَّوَابَ أَنْ يَجْعَلَ كُلُّ أَحَدٍ سِلَاحَهُ مَعَ نَفْسِهِ لَا يَفَارِقُهُ فِي
حَالَةِ الْجِهَادِ.»

«الثَّانِي الْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَذَلِكَ دَاعِيَةٌ إِلَى اتِّبَاعِهِمْ فِيمَا لَا يَحِلُّ فَعَلَهُ
«وَلِذَلِكَ ضَرَبَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمِثْلَ لَهُمْ بِقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
لِمُوسَى: «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ».»
«فَالشَّرُّ لِحَاجَةِ الْخَيْرِ عَادَةٌ.»

«ثُمَّ أَخْبَرَ بَأَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ تَرْكَبَ سُنَنَ مَنْ قَبْلُنَا شَبْرًا بِشَبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ،
حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جَحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ.»

«المعنى ان اقتصروا في الذي ابتدعوه فتقتصرون، وان بسطوا فتبسطون.

«حتى لو بلغوا من الانقباض الى الغاية لبلغتموها.
«حتى كانت تقتل انبياءها، فلما عصم الله رسوله عليه السلام، قتلوا خلفاءهم تحقيقا لتصديق الرسول عليه السلام.
«وضرب المثل في الغاية بدخول جحر الضب الخرب.
«وتفكرت برهة في وجه ضرب المثل بالضب فتعرضت لى في الخاطر معان...

«فأشبهها الآن أن الضبّ عند العرب يضرب به المثل للحاكم من الإنسي.
«والحاكم يأتي اليه الخلق بأجمعهم فيما يعرض من الأمور لهم، فلا يتأخر أحد منهم.

«فكأن المعنى: تعييرهم بذلك».
هذا قانون طبيعي... مما اذاعه رسول الله... ﷺ...
واستمده من بحار أنوار قلبه التي لا تنفذ...
وهو انموذج واحد... من عشرات النماذج... التي أذاعها... في هذا السبيل...

قانون واحد من مئات القوانين الطبيعية... الصحيحة مائة في المائة...
التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها... التي اذاعها...
وتجدها مبثوثة في احاديثه الصحاح...
ومن أعجب العجب أن الامه الاسلاميه لم تفتن الى تلك الثروة الهائلة... من كنوز النور... التي تركها رسول الله... ﷺ... فيما بينها...

فلقها الأوائل على انها كلام الصادق المصدق... الواجب الإيمان به... والتسليم بما فيه...

وجاء الآخرون... فأعرضوا عنها... جهلا بما فيها...
 وبرقت أبصارهم بثقافة العصر الحديث... وظنوا انه من غير
 المعقول... ان يكون في احاديث رسول الله... ﷺ... من الكنوز ما
 يفوق... الثقافات المعاصرة!!!
 أما الأولون... فقد صدقوا... فكل ما صح عن رسول الله... ﷺ...
 يجب الإيمان به والتسليم له... من كل مسلم...
 وأما الآخرون فلهم معذرتهم...
 لقد طغت على عقولهم ثقافات عصرهم... وبهرتهم اكتشافات
 علمائها فغرقوا فيها...
 ونسوا ان هناك بحارا وبحارا وبحارا... وراء ما هم فيه غرقى... لو
 رأوها... لقدفوا بأنفسهم في امواجها... لما فيها من اشاعات...
 يستحيل ان تكون من غيرها... من الثقافات!!!
 والمطلوب الآن... ان تعكف البشرية على كنوز رسول الله...
 صلى الله عليه وسلم...
 وأنا أقسم برب السموات والأرض أن البشرية لو فقهت أحاديث
 رسول الله... ﷺ...
 لوجدت فيها ما يستحيل وجوده... عند غيره من البشر...
 لوجدت علومها... وأسرارها... وأنوارها... لا نهاية لها...
 ولست أدعو الى اهمال الثقافات المعاصرة... ولكني أدعو أن تكون
 ماثورات رسول الله... ﷺ... لها القيادة... وحق التوجيه الأعلى...
 لكل ثقافة من ثقافات البشر...
 ومحمد... ﷺ... هو صاحب الحق الأول في الأستاذية العليا
 للبشرية... لأن الإمامة العامة تنعقد لمن كان أعلى الناس علما بالله...
 وبالناس...
 ومحمد هو أعلم الناس بربه...

وهو اعلم الناس بالناس...
فهو إمامهم جميعا... بلا منازع...
وكم يصفق... ويطرب... أهل الأرض... اذا اذيع عليهم أن مركب
فضاء قد استطاع ان يهبط على كوكب الزهرة... وان يرسل باشاراته الى
الأرض!!!

ويعتبرون هذا نصرا للبشرية عظيما...
والحق انه نصر علمي عظيم...
الا ان اكتشافات رسول الله... ﷺ ... أعلى وأعلى... وأعلى من
ذلك كله...

انها بحار من النور... الذي يكشف ويكتشف للبشرية... أعلى أعالي
العلوم... وأعلى غوالي الغيوب...
فأى الاكتشافات أولى بالاعجاب... وأولى بالتصفيق؟!
«اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون!!!»
«اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أُنُوطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أُنُوطٍ»... اجعل لنا شجرة ذات
تعليقات... نعلق عليها أسلحتنا... كما لهؤلاء ذات أنوط...
ان بعضا من أصحابه يودون أن تكون لهم شجرة كما للمشركين
شجرة!!!

فماذا كان جواب رسول الله... ﷺ ؟!
«سُبْحَانَ اللَّهِ!!!... تعجب مما قالوا...
«هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى «اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ»!!!
«هذا الذي صدر منكم هو هو ما صدر عن قوم موسى... حين وجدوا
قوما يعكفون على أصنام لهم...
فقالوا لموسى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ!!
الحادثة تتكرر... في نفس الظروف... ونفس الأشخاص...
موسى... رسول الله... يقود أصحابه من بني اسرائيل...

ومحمد... رسول الله... يقود اصحابه...
وبنو اسرائيل طلبوا الى نبيهم ان يصنع لهم صنما يعبدونه كما يعبد
هؤلاء أصنامهم... وبعض أصحاب محمد... طلبوا الى نبيهم أن يجعل لهم
شجرة كما للمشركين شجرة...
نفس النزعة... ونفس الظروف... لقد جاء موسى يُعَلِّمُ بني اسرائيل
التوحيد الخالص... والاتجاه الصافي الى الله...
فنسوا ذلك كله... وطلبوا صنما... يعبدونه!!!
ولقد جاء محمد... يعلم أصحابه... ان لا يتقدموه بأمر... وأن
يطيعوه فيما يأمرهم...
فنسي بعضهم ذلك... وطلبوه أن يكون لهم شجرة كما للمشركين
شجرة!!!

فعلى أي شيء تدل تلك الظاهرة؟!
ذلك ما أذاعه رسول الله... ﷺ... وأقسم عليه... فصار قانونا طبيعيا
خالدا...

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» أقسم بالله الذي نفسي بيده...
«لَتَرْكَبُنَّ» لتتبعن...
«سُنَّةً» طريقة... اسلوب...
«مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» من الناس...
ويعتبر هذا القانون من أخطر القوانين الطبيعية... في مجرى حياة
البشر...

الانسان هو الانسان...
طباعه هي هي... انحرافات هي هي... لا تبديل فيها... ولا تغيير...
«حتى لو كان فيهم مَنْ يأتي أمه علانية لكان فيكم مَنْ يأتي أمه
علانية»!!!

حتى هذه الفاحشة الفحشاء... والفعلة النكراء... اذا كانت قد وقعت

في الأمم من قبلكم... فسوف تقع فيكم من بعدهم...
وانما يرجع ذلك الى أن البشرية عبارة عن انسان واحد مكرر...
يوضع في تجربة حياة واحدة مكررة...
فكل انسان يكون هو صورة مكررة... ممن سبقه... وممن لحقه من
الناس

وكل حياة تكون... هي هي حياة من سبق... وحياة من لاحق...
فالنتيجة الحتمية أن كل انسان سوف يتعرض لنفس الاخطاء التي
تعرض لها غيره...

تجد ذلك مكنونا في: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ».
والأمم التي هي مجموعات من الافراد... يسري عليها نفس
الناموس... الذي يسري على الافراد...
فما سلكته أمة سوف تسلكه غيرها...
والمراد بذلك القوانين الطبيعية... والنواميس التي تسري... في
الناس...

غرائزهم... شهواتهم... عقولهم... قلوبهم... أهواؤهم...
كل أولئك يجري... ويسري... بهم الى نفس المسالك التي سلكها
السابقون... وسوف يسلكها اللاحقون...
وهذا القانون يبلغ من الاتساع حدا... يجعله ينتظم البشر الى يوم
القيامة...

وتكاد تكون الأجيال المتتابعة صورة مكررة من الظواهر التاريخية...
فالأمم كلها... تبدأ بمجموعة من المقاتلين... يتجهون بها الى
القوة... ثم تتجه الى الترف... ثم تزول بذلك الترف...
وموقف الأمم من أنبيائهم... تكذيب عام...
ثم إيمان القليل... ثم انتصار القليل على الكثير...
وما يلاقيه كل نبي من أمته... هو ما يلاقيه من بعده من الأنبياء من
أمته...

وهذا هو سر تكرار قصص الأمم المكذبة مع أنبيائها في القرآن...
فقصة نوح... هي قصة هود... هي قصة ثمود... هي قصة فرعون
وموسى... هي قصة عيسى وبني اسرائيل... هي قصة محمد وقريش...
ولذلك تجد هذه السلسلة مكررة... كثيرا في كتاب الله تعالى...
لأنها تبرهن على ان الانسان هو الانسان...

ولما في ذلك من تثبيت فؤاده ﷺ... حين يعلم ان ما يلاقيه قانون
طبيعي... لقيه من سبق من الأنبياء... وما كان هو بدعا من الرسل... أي
شيئا مخالفا لقانونهم الطبيعي...
وتجد ذلك مكنونا في قوله:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِيهِمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾.

(الفرقان ٥٠)

و ﴿صَرَّفْنَا﴾: أي كررناه... وزعناه... ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ ان ذلك قانون
طبيعي... في جميع الأمم... ولكنهم دائما يكفرون بالحق...
ولقد فطن فلاسفة التاريخ الى تلك الظاهرة... تكررها في جميع
الأمم...

فقالوا: التاريخ يُعيد نفسه...

وفطن غيرهم الى عموم الظاهرة فقالوا: الانسان هو الانسان.

وقالوا: لا جديد تحت الشمس...

ولأنما مثل البشرية في عمومها... في تشابه أنماط اجيالها... كمثل
بحر يتلاطم بالأمواج...

الوف الأمواج... تتفاوت علوا وانطلاقا... الا انها كلها أمواج تنتظمها
قاعدة واحدة...

هي أنها أمواج من ماء... تتلاحق الى ما لا نهاية... وتتكرر في
نهايتها على شاطئ البحر...

نفس الناموس في تموج الحياة البشرية...

أمواج من الأجيال... تتماوج خلال التاريخ... ثم تتكسر في النهاية...
على شاطئ البحر...
لتبدأ أمواج أخرى... من البشر... تأخذ طريقها في التلاحق... لتتكسر
من جديد على شاطئ بحر الحياة!!!
والذي أبدع ناموس أمواج البحار... هو الذي أبدع ناموس أمواج
الأجيال... سبحانه وتعالى!!!
خُذْ مَثَلًا أُمَمَ الْأَدْيَانِ الْعَالَمِيَةِ السَّمَاوِيَةِ الثَّلَاثَةِ... اليهودية...
والمسيحية... والإسلام...
بدأت كل أمة برسول...
اليهودية... كان بداية وجودها الحقيقي موسى... عليه السلام...
المسيحية... كان بداية وجودها عيسى عليه السلام...
الإسلام... كان بداية وجوده... محمد... عليه السلام...
جاء كل رسول منهم بدعوة واحدة... لا تتغير بتغير الرسول... ولا
بتغير الامم...
(المائدة ١١٧) ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ... ﴾
صلب دعواتهم جميعا... توجيه قلوب الخلق الى الحق...
توجيه القلوب الى الله... ونبذ الاتجاه الى ما سواه...
فآمن بكل منهم... قليل... هم أهل الاستعداد لقبول الحق الخالص...
قبول النور الذي لا ظلام فيه...
ثم انتشرت الدعوة... بأيدي هؤلاء القليل...
ثم تحولت الدعوة... الى دولة... ذات مقدرات وسلطات...
ثم بمرور الوقت داخلت الدنيا قلوب أهل الدولة...
فاختلط ظلام الدنيا... بنور الوحي...
فكانت الفتن... في كل أمة...
وانتهت كل أمة من الامم الثلاث... الى نفس الانحراف...

فبعد أن كانت الدعوة خطأ مستقيماً... الى الله...
ونورا صافيا لا ظلام فيه...
انحرف الخط المستقيم... فلم يعد مستقيماً...
وبعد ان كان الوحي نورا صافيا... جاءت التفاسير والتأويلات لتزحف
بظلماتها حول نور الوحي الصافي...
وتكررت الظاهرة في كل أمة... من الأمم الثلاث...
صحيح أن الافتراق يختلف في مظاهره في كل أمة عن الاخرى...
ولكن الاصل العام لهذه الافتراقات هو ان ظلام قلوب الخلق... أحاط
بصفاء نور الحق...
ولا تخرج انحرافات أهل الأديان السماوية الثلاثة كلها عن هذه
القاعدة...

جاء موسى اليهود بالحق الخالص... أن لا اله الا الله...
فقالوا: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ !!!
وجاء عيسى النصارى بالحق الخالص... ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ... ﴾
فما زالوا به حتى اصطنعوه هو إلها من دون الله... وقالوا: المسيح هو
الله!!!

وجاء محمد أمته بالحق صريحا: لا اله الا الله...
فما زالوا يحومون من حولها... حتى انحرفوا بصفائها الأول...
وادخلوا اليها ظلماتهم وأهواءهم...
وحَرَّمَ عيسى الربا على قومه... فأكل المسيحيون الربا...
وحرم محمد الربا على قومه... فأكل المسلمون الربا...
نفس الظاهرة... ونفس الانحراف...
وحرم موسى... الزنا... على قومه... فبرع اليهود في أفانيه...
وجعلوه فنا عالميا...

وحرّم عيسى... الزنا... على قومه... فبرع المسيحيون في افانين
الزنا... بشتى الوسائل... وحولوه الى رقص فتي... وخمور...
وحفلات...

وحرّم محمد... الزنا... على قومه... فاحتالوا له... وساروا نفس
الطريقة التي كان عليها اليهود والنصارى...
وهكذا الانحراف يتكرر... بنفس الأسلوب...
وانظر الآن الى امرأة عصرية يهودية... وأخرى عصرية مسيحية...
وأخرى عصرية مسلمة...

تجدهن نمطا واحدا... من المساحيق والملبس... حتى لا تكاد تفرق
بين هذه وتلك...

لان الانسان هو الانسان!!!
وذلك شأن الأكثرية من كل أهل دين سماوي...
ودائماً هناك أقلية... من أهل كل دين سماوي... تستمسك بالحق...
وتهتدي بنوره...

وهؤلاء تجدهم دائماً في كل دين ينافحون عن المثل العليا...
وينتظمون على أنوار الحق... وقليل ما هم...
والى وجود اولئك القليل في اليهود يشير قوله تعالى:
﴿... مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.

(المائدة ٦٦)

والى وجود هؤلاء القليل في المسيحية يشير قوله تعالى:
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ
تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً...﴾

(آل عمران ٧٥)

والى وجود هؤلاء في الامة الاسلامية...
يشير قول رسول الله... ﷺ

«... لا تزال طائفة من أمتي، منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».

(أخرجه الترمذی)

هناك اذا طائفة قليلة من كل أمة... ستبقى مستمسكة بالحق كما أنزله الله...

وهؤلاء دائما قليل في كل أمة ذات كتاب سماوي... ولكن الاكثرية... دائما تتبع أهواءها... فتتحرف عن الحق... فظاهرة انحراف أكثر أهل الدين السماوي عن الحق... ظاهرة مكررة في كل أمة...

كما أن ظاهرة استمسك أقلية بالحق كما أنزل... في كل أمة... ظاهرة مكررة!!!

ولا يظن أحد الناس أننا نقول باتحاد الظاهرة... في تفصيلاتها... كلا فليس الناس حجارة او حديد... وانما نقول باتحادها في عمومها... ودوافعها... وأسبابها... ونتائجها...

وهذه الظاهرة... وهو تشابه الأجيال في مساراتها الى الفناء... تشابهاً عاماً...

انبنى عليها نزول كتاب الله الأخير... المسمى بالقرآن... على أنها قوانين نهائية يجب ان ينتظم عليها جميع البشر... فـ «لا إله الا الله...» أصل عام... يجب أن تتموج أمواج الحياة كلها... في كل جيل... هادفة اليه...

ومحمد رسول الله... أصل عام يجب ان يتبعه... كل البشر... أثناء سلوكهم في الحياة الى ربهم... وإلا ضلُّوا السبيل... واقامة الصلاة... أصل عام... يجب أن تخر الأجيال جميعا... سجدا لربها...

وهكذا... قوانين عامة... أنزلت صالحة لكل الناس وكل الأجيال...
الى يوم القيامة...

لأن الذي أنزل القرآن... وبث فيه هذه القوانين... والأوامر...
هو الذي جعل القوانين الطبيعية التي يتموج فيها البشر...
وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾
(الفرقان ٦)

أنزله الله الذي يعلم السر في نواميس السماوات ونواميس أهل
الارض...

فأنزله بما يناسب نواميس الناس... لأنه تعالى هو الذي خلقهم وهو
الذي يعلم ما فيه صلاحهم...

فأنزل اليهم ما يبلغ بهم أقصى غايات الرقي...
وحذرهم ونهاهم عما يهبط بهم الى هاوية الانحراف والفساد...
تلك قطرات... من بحار انوار... ذلك القانون الطبيعي... الذي
اذاعه... رسول الله... ﴿صلى الله عليه وسلم﴾... فيما اذاع من قوانين طبيعية... في
بساطة... مُحيرة... معجزة...

بأن النبوة لها بحارها الخاصة... التي تموج في قلوبها...
وأن تلك البحار... لها بحار من ورائها... تمدها الى ما لا نهاية...
فكيف والقلب هنا قلب محمد... ﴿صلى الله عليه وسلم﴾...!
والإمداد... ينزل اليها... الى ما شاء الله... من الإمداد...!
ذلك الإمداد الذي قال الله فيه:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ
سَبْعَةُ بَأْخَرٍ مَا تَفِدْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

(لقمان ٢٧)

فتصور جميع أشجار الكرة الأرضية... صُنِعَتْ أقلاما... وجميع بحار
الدنيا... خمسة اسداس الكرة الأرضية... كانت مدادا... لتلك الأقلام...
وتلك البحار يمدّها... سبعة أبحر... أي بحار كثيرة... لا نهاية لها...
لأن السبعة هنا للتكثير... لا للعدد...

تصور ذلك العدد الذي لا يحصيه إلا الله من الأقلام...
وتلك المحيطات التي لا يعلمها إلا الله... مدادا... وكلما نفذت
أمدتها بحار أخرى... وهكذا... تصور تلك الأقلام تغمس في ذلك
المداد... لتكتب كلمات الله...

﴿مَا نَفَذْتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ما انتهت كلمات الله...
لو استطعت أن تتصور هذا... استطعت أن تتصور مدى امتداد...
عظمة الشخصية المحمدية...

وعجائب النور المكنونة في قلبه...
لأن قلبه كان إمداده من تلك البحار... من كلمات الله...
إن استطعت... فقد أدركت...
وإن لم تستطع... فاعلم أنه محمد... رسول الله... ﷺ!!!

مئات...

القوانين الطبيعية...

في حديث واحد...؟!؟

هل يستطيع بشر ان يخطب خطابة متواصلة... دون انقطاع... اثنتي عشرة ساعة؟

قد يقال: هذا ممكن!!

فان قيل ذلك، قلنا: وهل يستطيع... ان يكون كلامه طيلة الاثنتي عشرة ساعة المتواصلة... كلاما مُحْكَمًا... كل كلمة منه لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؟!

فان قيل: ممكن!!

قلنا: وهل يستطيع ذلك... دون اعداد مذكرات وبيانات... وانما يلقيها ارتجالا... وينطلق يخطب الاثنتي عشرة ساعة... من وحي اللحظة... دون اعداد؟!

فان قيل: هذا يشبه أن يكون مستحيلا!!

قلنا: فكيف بكم، اذا كان هناك بَشَر... خطب أصحابه من صلاة الفجر الى صلاة المغرب... دون توقف؟

فان قيل: ومن هو هذا الذي تتكلم عنه؟!

قلنا: فكيف اذا كان حديثه حديثاً عن غيوب... وأسرار... ونواميس لا يعلمها الا الله؟!

فان قيل: ومن يستطيع ذلك؟!

قلنا: بل كيف اذا حَدَّث أصحابه في ذلك الخطاب الممتد اثنتي عشرة ساعة عما كان أو يكون الى يوم القيامة؟
 فإن قيل: ومن أين له ذلك؟
 قلنا: ذلكم محمد... ذلكم محمد... ذلكم محمد... صلى الله عليه وسلم!!!
 فإن قيل: وأين برهان ذلك؟
 قلنا: اليكم أعجب العجب... في هذا الشأن...
 «عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمًا، صَلَاةَ الْعَصْرِ بَنَهَارٍ
 ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا، فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا، يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا أَحْبَرَنَا بِهِ

«حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهِ مَنْ نَسِيَهِ
 وَكَانَ فِيمَا قَالَ:
 «إِنَّ الدُّنْيَا خُلُوعٌ، خَضِرَةٌ
 وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا
 فَتَاطَرُّ: كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟
 «أَلَا، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا
 وَاتَّقُوا النِّسَاءَ
 وَكَانَ فِيمَا قَالَ:
 «أَلَا، لَا يَمْنَعَنَّ رَجُلًا، هَيْبَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقِّي، إِذَا عَلِمَهُ
 «قَالَ: فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ:
 «قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ، فَهَبْنَا
 وَكَانَ فِيمَا قَالَ:
 «أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِقَدْرِ غَدَرْتِهِ
 «وَلَا غَدْرَةَ أَكْثَرُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامٍ عَامَّةٍ
 «يُرَكَّزُ لَوَاؤُهُ عِنْدَ أَسْتِهِ

«فَكَانَ فِيمَا حَفِظْنَا يَوْمَئِذٍ

«أَلَا، إِنَّ بَنِي آدَمَ، لُحِقُوا عَلَى طَبَقَاتٍ شَتَّى

«فَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا، وَيَخْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا

«وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا، وَيَخْيَا كَافِرًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا

«وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ مُؤْمِنًا، وَيَخْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا

«وَمِنْهُمْ مَنْ يُولَدُ كَافِرًا، وَيَخْيَا كَافِرًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا

« أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ الْبَاطِلِيَّ الْعَصْبَ سَرِيعَ الْفِيءِ

« وَمِنْهُمْ سَرِيعَ الْعَصْبِ سَرِيعَ الْفِيءِ

«فَلْيَكْ بِتِلْكَ

«أَلَا، وَإِنَّ مِنْهُمْ سَرِيعَ الْعَصْبِ، بَاطِلِيَّ الْفِيءِ

«أَلَا، وَخَيْرُهُمْ بَاطِلِيَّ الْعَصْبِ، سَرِيعَ الْفِيءِ

«أَلَا، وَشَرُّهُمْ سَرِيعَ الْعَصْبِ، بَاطِلِيَّ الْفِيءِ

«أَلَا، وَإِنَّ مِنْهُمْ حَسَنَ الْقَضَاءِ، حَسَنَ الطَّلَبِ

« وَمِنْهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ، حَسَنُ الطَّلَبِ

« وَمِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ سَيِّئُ الطَّلَبِ

«فَلْيَكْ بِتِلْكَ

« أَلَا، وَإِنَّ مِنْهُمْ السَّيِّئُ الْقَضَاءِ، السَّيِّئُ الطَّلَبِ

«أَلَا، وَخَيْرُهُمُ الْحَسَنُ الْقَضَاءِ، الْحَسَنُ الطَّلَبِ

« أَلَا، وَشَرُّهُمْ سَيِّئُ الْقَضَاءِ، سَيِّئُ الطَّلَبِ

«أَلَا، وَإِنَّ الْعَصْبَ جَمْرَةً، فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ

«أَمَّا رَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ؟

«فَمَنْ أَحْسَنُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَلْيُلْصِقْ بِالْأَرْضِ

«قَالَ: وَجَعَلْنَا نَلْفِتُ إِلَى الشَّمْسِ، هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ؟

«فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَلَا، إِنَّهُ لَمْ يَتَّقْ مِنَ الدُّنْيَا فِيمَا مَضَى مِنْهَا، إِلَّا كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِيمَا مَضَى مِنْهُ».

(أخرجه الترمذی)

فان قيل: ولكن هذا الخطاب كان من صلاة العصر الى المغرب...
فأين دليل بدء الخطاب من صلاة الفجر؟

قلنا: في رواية مسلم، عن أبي زيد عمرو بن أخطب، قال:
«صلى رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا، حتى حضرت
الظهر، وصلى، وخطب الى العصر، وصلى، وخطب حتى غربت
الشمس».

«واخبرنا بما هو كائن،

والمؤسف حقا... أن الذي نُقِلَ إلينا هو فطرة من ذلك الخطاب
الجامع العريض... الذي امتد أكثر من عشر ساعات تباعا...
ولو قد حفظه أصحابه كاملا... ونقله الرواة إلينا كاملا... لكان منه
سجلا شاملا لما سيكون الى يوم القيامة...
ولكان مرجعا من أعظم المراجع المقدسة في معرفة خط سير الحياة
الى يوم القيامة.

ولكن لحكمة أرادها الله «حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ»!!!

وذلك كله بتقدير من العليم الخبير!!!

ولو قد نُقِلَ الخطاب إلينا كاملا... لوقع في مئات الصفحات...

فإن نبيا في بلاغة وفصاحة رسول الله ﷺ...

أوتي جوامع الكلم... يخطب نحوا من عشر ساعات او تزيد...

على ما هو معلوم عنه أنه لا ينطق عن الهوى... وأنه يُرَكِّزُ البحار

الواسعة في فطرة... ولعل هذا معنى جوامع الكلم.

نبى لا يقول الا حقا... ولا يتكلم إلا جامعا مانعا...

لو سَجَلْتُ عنه خطابه الذي كله على ذلك المستوى الأرفع... من
البلاغة...

لجاء ذلك سفرا عظيما... من أسفار الأنبياء...
وكتابا عظيما مما يُوحى اليهم من السماء...
ولكن الذي وقع الينا منه... كان مجرد فقرات منه...
ورغم أن ما وصلنا هو القليل من كثير... وقطرة من بحر...
فإنه جاء عَجَبًا... وانطلقت منه اشعاعات كبرى... ونواميس
عظمى... فكيف إذا جاءنا الخطاب كاملا؟!
وأعجب العجب أن تلك الفقرات... جاءت نموذجا رائعا... لما كان
عليه الخطاب كله...

ومثلا فذا... مما نطق به رسول الله ﷺ... في خطابه ذاك...
ورغم قصرها... فقد أذاع فيها رسول الله ﷺ... أكثر من عشرين
قانونا طبيعيا...
كل قانون منها يُعتبر مفتاحا عظيما من مفاتيح الحقائق الكبرى...
فماذا قال؟

«إِنَّ الدُّنْيَا، حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ...»

هذا هو القانون الطبيعي الاول...
الدنيا حلوة... حفت بالشهوات... فأشاعت الغرائز فيها حلوة...
ورغبة في الاستمتاع بها...
«خَضِرَةٌ»... حسناء... ذات زينة... أخرجت اخراجا بارعا...
فكل انسان يجد لها حلوة... ويراها خَضِرَةٌ... اي: جميلة...
تستهوي الناظرين...

والمراد بالدنيا... الحياة الدنيا... ورغبة الأحياء في الحياة... لما
يجدون فيها من شهوات ولذات... تدفعهم الى الاستمساك بها...
والرغبة في الاستمتاع بما فيها من لذات...

او: المراد بالدنيا... الكرة الارضية... التي هي موضع الحياة... وأن الله خلقها جميلة...

ولذلك يركن اليها الانسان... ويخلد اليها... ويود لو لم يفارقها... والمراد بحلاوة الكرة الارضية... ما فيها من جمال وسحر... يحركان الانسان نحو محاولة امتلاكها... والاكتثار منها... «خضرة» حسناء ذات زينة... ذات نباتات وانهار وجنان ومناظر جميلة...

هذا قانون طبيعي... ثابت الى يوم القيامة... لا تغيير له... ولا تبديل...

فما القانون الطبيعي الثاني ؟
«وإن الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا... خلقكم فيها خلفاء... جبل بخلف جيل...»

اجيالا متتابعة... كلما مضى جيل... جاء جيل... وكلهم يعيشون على هذه الكرة الارضية... او: ان الله جعلكم خلفاء فيها... بمعنى نوابا عن صاحبها... تديرون أمورها... بأمره... وإذنه... على حسب ما أمركم فيها... فالانسان خليفة الله في الارض... مستخلف من الله فيها... ينوب عنه تعالى فيها... في اقامة العدل عليها... وفيه اشارة كذلك الى أن اصحاب رسول الله... ^{عليه السلام} سوف يُستخلفون في الأرض... أى يكونون قادة الدنيا... وأئمتها... سيادة دولية... وسيادة عقائدية...

وقد كان واستُخلفوا... فيها... من مشارقها الى مغاربها!!!
إلا أن القانون الطبيعي العام... أن الله يخلق الناس في الكرة الأرضية... ليخلف بعضهم بعضا... ليقوموا فيها بأمره... وحسب أوامره تعالى...

هذا هو القانون الطبيعي الثاني... فما هو القانون الطبيعي الثالث؟
«فَنَظَرُ: كَيْفَ نَعْمَلُونَ؟»... هذا من أجمل وأخلى... وأغلى...
القوانين الطبيعية التي أذاعها... على العالم...
«فَنَظَرُ»... سوف يرى الله...

«كَيْفَ نَعْمَلُونَ؟» كيف تتجهون في هذه الحياة الدنيا؟
أعطاكم حرية الاختيار... لينظر ماذا أنتم عاملون فيها...
«كَيْفَ نَعْمَلُونَ؟!»

أعمق من الأطلنطي... وأوسع من المحيط الهادي...
كيفية العمل... الى من تتجهون بأعمالكم؟ اليه... أم الى الدنيا؟
كل الناس يعمل... ولكن المهم كيفية العمل... غاية العمل... هدف
العمل...

ناموس فيه مفتاح هذه الحياة كلها... التي حار فيها الناس جميعا...
يقدمه رسول الله... ﷺ... مجاناً... الى الجميع...

كل الناس تسأل: لماذا هذه الحياة؟

الجواب: «فَنَظَرُ كَيْفَ نَعْمَلُونَ؟»

السؤال: كيف نسير في هذه الحياة؟

الجواب: «فَنَظَرُ كَيْفَ نَعْمَلُونَ؟»

وما دام الله تعالى ينظر الى أعمالنا... فالعاقل من يتجه بأعماله الى
الله...

والجاهل كل الجاهل من يتجه بها الى ما سواه!!
وذلك قانون طبيعي... أو بلغة الحقيقة... ناموس إلهي... ثابت.. لا
يتغير ولا يتحول... ولا يتبدل...

هناك مذاهب فلسفية عن الحياة وحقيقتها وأهدافها... لا حصر لها...
تختلف باختلاف وجهة نظر الذين قالوا بها...
ولكنها تتلاشى... وتتلاشى... اذا ما أشرقت الارض بنور ربها...

وتلأ رسول الله... ﷺ بقوله:

«فَنَظَرُ كَيْفَ تُعْمَلُونَ؟!»

انها عميقة... عميقة... تجمع جميع مشاكل الحياة... وتحل
ألغازها...

المسألة بسيطة جدا... الحياة بما فيها ومن فيها... مجرد اختبار...
للإنسان...

ان الله يريد ان يرى ماذا نعمل... وكيف نعمل؟!
وذلك كله مرتبط تمام الارتباط... بالنواميس الأخرى... الموضوعه
على أساس هذه الفكرة...
نواميس الآخرة:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾

(الزلزلة ٧ و ٨)

هناك... حساب... وثواب لمن أراد الله بعمله... وعقاب لمن أراد
غير الله بعمله...

هناك سعادة ابدا... لمن اتجه اليه تعالى بعمله...

وهناك شقاوة أبدا... لمن اتجه الى ما سواه بعمله...

اذا هذه الحياة حلقة واحدة... في سلسلة طويلة جدا... فيها ملايين
الحلقات...

هذه الحياة طور واحد... من ملايين الاطوار... التي سوف يمر عليها
كل انسان... تجد ذلك مكتونا في قوله سبحانه:
﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.

(نوح ١٤)

أطوارا كثيرة جدا... هناك تطور هائل... ينتظر كل انسان...
سوف ينتقل الانسان من طور الحياة الدنيا... الى أطوار وأطوار من
بعد ذلك...

الا ان خطورة الحياة الدنيا... بالنسبة الى مسيرة الانسان الخالدة...
أنها نقطة البداية... بداية الاتجاه... فاذا اتجه قلبه فيها الى الله...
واصل سيره بعدها في نفس الاتجاه... اتجاه الترقى... فيصل الى ما شاء
الله من أطوار الترقى... والدرجات العلى...
واذا اتجه قلبه فيها الى غير الله... الى أسفل... الى الشهوات
والدنيا... الى الشيطان... واصل سيره بعدها في نفس الاتجاه... اتجاه
الهبوط... فيصل الى ما شاء الله من أطوار الهبوط... ودركات الهاوية...
من هنا تتأني خطورة الحياة الدنيا... رغم قصرها... وأنها ذرة من
محيط الحياة الآخرة...

انها تحدد نوع الاتجاه... إما الى أعلى... في اتجاه أعلى عِلين...
وإما الى أسفل... في اتجاه أسفل سافلين...
ولقد كانت الحياة كلها من اجل تلك الحقيقة التي اذاعها رسول
الله ﷺ... في بساطة عجيبة: «فَنَظَرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟!!»
ولست أدري... أولئك الذين عموا وصموا... عن رؤية تلك الشمس
المشرقة... من كلمات رسول الله ﷺ... هذه... كيف يفهمون هذه
الحياة التي هم فيها؟!
إن ظلمات الحياة المتلاطمة... تحول بين المرء وبين ادراك حقيقة
الحياة...

لولا أن تشرق عليه شمس رسول الله... حين يقول له: «فَنَظَرُ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ؟»... فيدرك فوراً: أين هو؟ وماذا هو؟... وماذا يراد منه؟... ولمن
يعمل في هذه الحياة؟...

وبذلك يتحدد المنهج... ويتجدد الأمل... وتحلو الحياة حقاً... لأنها
بدء الانطلاق الى الله...

ما أشقى الذين حيل بينهم وبين أنوار رسول الله ﷺ!!!
ثم ما أدراك كيف يشقون!!!

ثم ما أدراك كيف يشقون!!!
لو يعلمون ما هم فيه... لانقلبوا من ظلماتهم الى أنوار... التي
يرسلها بإذن ربه...

ولفروا إلى ربهم فرارا!!!
كان ذلك هو القانون الثالث... فما القانون الطبيعي الرابع؟!
«أَلَا، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا...» أخطر وأخطر... ذلك الناموس... لأنه منهج
النجاح في الحياة...

«أَلَا» اذا كان الامر كذلك... أن الحياة اختبار... لينظر الله كيف
نعمل... فالواجب إذا أن نتقي الدنيا...
فما مكنون ذلك التوجيه العظيم؟!
ليس المراد باتقاء الدنيا... عدم دخول تجربة الحياة... والانسلاخ
منها... واعتزال معتركها...

كلا... ثم كلا...
فإن رسول الله ﷺ... داعية حياة... على أعلى ما تكون الحياة...
وانما المراد اتقوا فتنة الدنيا... اتقوا أن يدفعكم الحرص على الدنيا...
الى الخروج من النور الى الظلمات...
كونوا فيها كيف شئتم... ولكن احذروا أن تؤدي بكم الى
الانحراف... عن الخط المستقيم...
اتقوا الخروج من أنوار التوجه الى الله... الى ظلمات التوجه الى
الدنيا...

واتقاء الدنيا... في صورته الجامعة... المانعة... ان تطلب الدنيا
ظاهرا... وتتوجه بقلبك الى الله... باطنا...
وهو ما يعبرون عنه... أن تكون الدنيا في يدك... ولا تكون في
قلبك...

والتوفيق في هذا السبيل... أن يكون الظاهر... في طلب الدنيا...

ويكون الباطن في طلب الله...
 ان يكون البدن عاملاً... في الدنيا... وأسبابها...
 ويكون القلب متجها اثناء ذلك الى الله...
 وبذلك تتحول جميع أعمالك... الى أعمال صالحة... مقبولة عند
 الله... إن شاء الله...
 وهذا ما يسمى بالعمل الصالح... فالعمل الصالح إذاً هو ما أريد به
 وجه الله...
 واعمل بعد ذلك ما شئت... كيف شئت... ولعل هذا هو المراد
 بذلك الناموس... هذا هو الناموس الرابع... فما الناموس الخامس؟!
 «وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»... أى اتقوا فتنة النساء...
 فماذا في النساء يُتَّقَى؟!
 الحق أن هذه أخطر فتنة دائماً على الرجال... فان امرأة واحدة تستطيع
 أن تلعب بعقول عشرات الرجال...
 وفي عصرنا هذا... عصر المرأة... حيث انطلقت فيه النساء...
 بمفاتيهن... وزينتهن...
 وأصبحت المرأة فيه... كيف شاءت من المودات... والموديالات...
 تبدو فتنة المرأة... على أوضح ما تكون عن ذي قبل...
 وها هم أساتذة فنون «المودة» كما يسمونهم يتكرون للمرأة في كل
 لحظة... ما يظهر مفاتيها... ويدفع الإثارة... بكل وسيلة...
 وأصبحت ترى المرأة الآن... وقد انكشف منها... تحت الآباط...
 وفوق الركبة... بل ما وراء ذلك!!
 كأنهن فتنة تتحرك... في كل شبر من الأرض...
 ومن معجزات رسول الله ﷺ... التي لا يختلف فيها اثنان...
 انه اخبر منذ اكثر من ١٤٠٠ سنة... بما سيكون من «المودات» في
 أيامنا هذه...

وَمَنْ كَانَ فِي شَكٍّ فَلْيَقْرَأْ:
«نساء كاسيات، عاريات، مائلات، مميلات، رؤوسهن كأسنمة
البخت»

ويعتبر هذا معجزة مستقلة... لرسول الله ﷺ...
وقد حار الأقدمون في تفسير الحديث... حيث لم تكن المرأة في
عهدهم... كما وصف رسول الله ﷺ
كما أن رسول الله ﷺ أخبر أنه لم ير هذا الصنف من النساء.
«صنفان من أهل النار لم أرهما»... وكثير من نساء اليوم صنف
منهما...

وسوف أعرض عليك بعض ما قالوا في تفسير الحديث قديما...
لتلمس مدى حيرتهم في تفسيره... لانه شيء سوف يكون... ولم يكن
في زمانهم...

وكيف أنهم يتخيلون الصورة التي يصفها رسول الله ﷺ... والتي
سوف تكون عليها المرأة الحديثة...

لتدرك مدى الصدق في النبوءة... ومدى الدقة في الوصف...
وتدرك من ذلك كله أن محمدا ﷺ... شخصية أكبر مما يتصور
الناس جميعا...

شخصية... فتح الله لها من الغيوب... ما شاء... لتخبر الناس... بما
شاء من الغيوب...

فيكون ذلك لهم آية... وبرهانا على صدقه... ﷺ...
واليك الصورة التي تخيلها الأقدمون في فهم الصورة الموصوفة لنساء
اليوم.

لتعلم بعد قراءتها... اننا الآن نرى صورة عملية... واقعية... لما أخبر
به رسول الله ﷺ... عن نساء اليوم...

واننا نعيش في هذه الصورة... ونراها بأعيننا... في الشوارع... في

اللاتوبيسات... في الطائرات... في القطارات... في المنازل... في الجامعات... في المعاهد...

في كل مكان... نرى الآن هذه الصورة التي وصفها رسول الله... عليه السلام... وبينه وبينها أكثر من ١٤٠٠ سنة فكان وصفه... عَجَبًا... تحار في دقته وصدقه العقول!!!

قال الأقدمون: «يحتمل أربعة أوجه:

«كاسيات من جهة، عاريات من أخرى. كأنهن لا يعممن بالستر أنفسهن...

«ويحتمل أن يريد رقة الثياب، فتصفهن الثياب الرقاق، فهن كاسيات بما عليهن، عاريات بما يبدو مع ذلك منهن كالأرداف والنهود...
«ويحتمل المجاز، فيكون معنى كاسيات بأزواجهن، زانيات بغيرهم، وقد يعبر عن الزوج بالثوب. قال الله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾.
(المائدة ١٨٧)

«ويحتمل المجاز العام، كاسيات من فضل الله عليهن، عاريات من قضاء الحق في ذلك بالطاعة.

«وأما قوله: «مائلات» فيحتمل أن يكون ذلك عبارة عن التثني في المشي، فتميل إليها الأبصار، لأنه إذا رآها الشرير تمشي كمشي القطاة الى الغدير، زاده شراً، واتصل به الى القليل من ذلك الكثير.

«ويحتمل المجاز أيضاً، بأن تكون مائلات عن الحق، مميلات أيضاً عنه. أي صارفات لمن يفتن بهن.

«ويحتمل أن يريد به، التي تميل خمارها فينكشف وجهها.

«ويحتمل أن تكون مميلة بكلامها عن الجد الى المزاح او التعريض.

«ويحتمل أن يريد مائلة المشطّة، وهي التي يميل فيها العقاص.

«وقيل: هي التي تميل بضمها الى أسفل، حتى توهم تحت الخمار أنه

طويل.

«وقوله: «رؤوسهن كأسنمة البخت» عبارة عن تكبير رأسها، بالخرق، حتى اذا لفته بخمارها ظن الرائي انه كله شعر، وهذا حرام.

«ويجوز ان يكون شعرهن كثيرا، فيصفرنه، ويختمرن عليه، ويخرجن به، وذلك أيضا حرام» ١١١

هل قرأت ما قالوا في تفسير الحديث... وهل لمست حيرتهم في تصور الصورة الحديثة للمرأة المعاصرة؟ ١١٢

ان المفسر... يسوق احتمالات... ويحاول ان يتصور الصورة... ولكننا نحن الآن... لا نحتاج الى كل هذه التأويلات... نحن في واقع الصورة... داخل التجربة...

ولننظر الآن الى ما أخبر به رسول الله... ﷺ... في ضوء واقعنا الحاضر... لنلمس عظمة تلك الشخصية... التي ألقى الله لها الزمان والمكان... وأطلعها على ما شاء من الغيوب المستقبلية... والماضية.

لندرك جانبها يسيرا... من تلك الشخصية المعجزة... في أمرها كله... «نساء».. عدد كبير.. ملايين من النساء.. أجيال من النساء.. وفي اطلاق وتنكير «نساء» اعجاز في التعبير...

فيه اشارة الى ان هذا الامر سوف ينتشر... ويعم... حتى يصبح عرفا عاما.. يعم النساء جميعا.. او اكثرهن.. وهذا هو الحادث اليوم... فان نساء اليوم يخطفن التفاصيل الحديثة... في انحاء العالم كله...

فاذا بها تنتشر على مستوى نساء العالم كله... في أقل... من القليل... فما تأخذ به المرأة الباريسية... سرعان ما ينتشر في أمريكا... وفي أوروبا... وفي الشرق... وفي الغرب... وفي اليهودية... وفي المسيحية... وفي المسلمة...

و «المودة» لها من السلطان على عقول النساء... ما جعلهن ينسارعن اليها... ويتقاتلن عليها...

«نساء!!»

فتأمل الاعجاز!!

«كاسيات»... ذلك واضح جدا في الموضات الحديثة... فهن كاسيات حقا... الاجزاء المسموح بتغطيتها لهن كاسية... مغطاة... «عاريات»... وذلك ظاهر جدا جدا...

فهدف المودات الحديثة هو تعرية الاجزاء الحساسة... المثيرة... من جسم المرأة!!!

الشعر... الوجه... العنق... أعلى الصدر... أعلى الظهر... تحت الابط... الذراعين... الساقين... وأخيرا ما فوق الركبتين... ويوشك هؤلاء أن يكشفن عما وراء ذلك!!! ثم «كاسيات» هناك ملابس على أجسامهن...

«عاريات» ولكن هدفها ليس ستر الاجسام... وانما اظهار مفاتها أكثر فأكثر... بتضييق الملابس على أجسامهن... كما نشاهد اليوم... فتبدو المرأة وجميع ما وراء الملابس مفسرا تفسيرا... للناظرين... فأسفل «الفستان» ضيق جدا... لا يسمح للمرأة بالحركة الا اذا مالت وتميلت بأجزائها... فتهاز تبعا لذلك أجزاؤها الخلفية... والامامية!!! وقد اصطنعوا لهن تفصيلات فوق الركبة مع ضيق أسفل «الفستان» بحيث اذا جلست المرأة أي جلسة... ظهرت ساقاها الجميلتان فوراً الى ما فوق الركبتين...

واذا علم أن هذه المنطقة من المرأة هي أفتن المناطق بالنسبة للرجال...

وضع لنا هدف أساتذة فن «المودات» من تلك التفصيلة!!!

وهم ماضون في زيادة فتنها... متفننون فيها...

فاذا ما جلست في عربة الاوتوبيس، في مدينة كالقاهرة مثلا كان من أمامك ومن ورائك وعن يمينك وعن شمالك... او ملصقا بك... أو

مواجهها لك... « نساء كاسيات عاريات »...
« كاسيات » بما عليهن من ملابس لا تستر الا بعض أجسامهن...
« عاريات » كما ترى... السيقان عارية... ما فوق السيقان عارية...
الاذرع وما تحت الابطين عارية... العنق وأعلى الظهر عاريات... ثم
يجلسن أمامك كأن هذا شيء طبيعي!! لا يشعرون بحياء ما!!
وكاد أن يصبح ذلك عرفا عاما مألوفا في أنحاء العالم...^(١)
الا بعض البلاد التي فيها بقايا استمسك بتقاليد... أو حياء... أو
دين!!!

ثم « كاسيات عاريات... » واضحة جدا... في البلاجات..
ألوف من النساء الجميلات... كاسيات بالمايوهات... عاريات باقي
أجسامهن!!

وبالجملة المرأة الحديثة... وأسلوب ملابسها... واضح جدا فيه هذا
التصوير المعجز... من رسول الله... ﷺ...
ولنا الآن ان نتحدى العالم اجمع... بهذا الذي اخبر به رسول الله...
ﷺ... وأن نسألهم: هل يستطيع بشر أن يصف ما يكون من النساء...
وصفا دقيقا... كأنه يشهد ما يصف... قبل أن يكون ذلك بأربعة عشر
قرنا من الزمان!؟

مستحيل... ثم مستحيل...
ولكن هذا قد حدث من رسول الله... ﷺ...
فلا تَخْرُوا على عظمته صُمًا وعُمَيَانًا... ولكن اعترفوا بأنه نبي...
وسيد الأنبياء...
ورسول... سيد الرسل... ويوحى اليه... أعلى ما يمكن أن يُوحى...
...

(١) الحمد لله... بدأت في الأعوام الأخيرة موجة الحجاب تنتشر في النساء... فهناك الآن
ملايين من المحجبات في شتى المستويات في مصر... وفي غيرها!!!

ويتحدث عن شهود... أعلى ما يمكن أن يكون من شهود...
اعترفوا... وقولوها: نشهد أن محمدا رسول الله!!!
واسمعوا ماهو أعجب وأعجب...
« مائلات »... وصف دقيق لمشية المرأة الحديثة... التي أصبحت فنا
يدرسه بنات اليوم...

كيف تمشين يا سيدتي؟!
هكذا تكون مشيتك يا سيدتي؟!
وتستمع المرأة الحديثة... سكرى... بما يقولون لها...
ثم تنطلق في اخلاص البيغاء... تفعل ما يقولون لها...
فإذا بها تمشي مشية عجيبة... فإنهن يتكسرن رقة ودلالا!!!
ولن تجد أبلغ ولا أدق ولا أصدق من ذلك الوصف « مائلات »...
« مميلات »... واضح جدا ذلك في العصر الحديث...
فهن بأوضاعهن هذه... « مميلات » لاجزاء من أجسامهن...
« مائلات » باجزاء... فإذا مالت بكتفها... أمالت ردفها... وإذا مالت
بردفها... أمالت كتفها... انه تصوير بديع جدا... للمشية الحديثة...
للرأة الحديثة... تصوير لاهتزاز أجسامهن اهتزازا فنيا كما يتعلمن ويقرأن
ويقلدن بعضهن البعض...
وأخرى أعمق من وصف ظاهرهن... انهن « مائلات » بقلوبهن الي
الرجال...

« مميلات » بفتنتهن وزينتتهن وعريهن للرجال...
وهذه أخطر وأخطر... وأشد فتكا... واحراقا لما تبقى من القيم
الرفيعة... وانظر ماذا يكون شعور شاب مشتعل... وأمامه في الاوتوبيس
مثلا... فتاة حسناء قد جلست عارية الساقين الى ما فوق الركبتين... ثم
هي بعد ذلك قد تفننت في أساليب الاغراء والتعطر والترين والتبسم
والثنئي... ماذا يكون شعور شاب كهذا!!!

ميل غريزي ينشأ بقلبه نحوها... كما يحدث بها ميل غريزي بقلبها
نحو الشاب... فهن « مائلات » الى الرجال... « مميلات » للرجال!!!
الله أكبر... ذلك رسول الله... ﷺ... يصف أدق وصف يتصور...
لظاهر وباطن... نساء اليوم... كأنما هو يشهد... ويتكلم عما يشهد!!!
والحق انه يشهد... ان الله يظهره على غيبه... فلا زمان ولا مكان...
وإنما القدرة الالهية... هنا... هي التي تفعل ما تشاء!!!
وأخرى أعجب وأعجب وأعجب!!!
هو وصف رسول الله... ﷺ... لمودات الشعر... المنتشرة في عصرنا
هذا... في أيامنا هذه... استمع:

« رؤوسهن كأسنمة البخت » كأسنمة الإبل!!!

انظر الى التسريحات الحديثة للمرأة اليوم...
انظر اليها وهي خارجة من عند « الكوافير »...
وتأمل تلك التسريحات... التي تجعل من شعر المرأة، شيئا مرتفعا...
هائلا... كأنه قبة عالية... أو قطن منفوش... حتى يخيل اليك أن شعرها
كذلك... من طول ما صنعت به... او صنع لها « الكوافير »... حتى
أخرجها ذلك الاخراج...
أنظر إلى تلك المناظر... وقل صدق رسول الله... ﷺ... « رؤوسهن
كأسنمة البخت »!!!

فماذا يقول الذين يجهلون رسول الله... ﷺ... في تلك العجائب...
التي أخبر بها منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة... فوقعت كما أخبر ١١٩
ذلك جانب خطير من شخصية محمد... ﷺ...
ولكنه بالنسبة الى عموم شخصيته... يسير!!!

ونعود الى قوله « وَاتَّقُوا النِّسَاءَ »... فنجد فيه ناموسا خطيرا جدا...
فان أخطر ما يواجه الرجل من فتن في حياته هو النساء... لأن المرأة
بالنسبة الى الرجل... المحرك الاول لغرائزه... أخطر غرائزه... غريزة

الجنس... وهذه أقوى الغرائز اندفاعاً عند الرجل... فهو ينبه ويحذر من ضررها... وشروورها... ولا نريد أن نفيض في تلك الفتنة... فالعصر الحالي... هو عصر المرأة... وكل ما فيه يعتبر شرحاً عملياً... واقعياً... لتلك الفتنة وآثارها في المجتمع... مما يغني عن الشرح النظري... وقد كان التحذير مُحْكَمًا... جامعاً... ذلك الذي وجهه الى أصحابه فقال:

« إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَحْلِفُكُمْ فِيهَا فَنَظَرٌ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، أَلَا فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ... »

فَبَشَّرَ أصحابه أنهم سوف يعلون في الارض بالحق... ويكون منهم الملوك والأمراء... والقادة... والأئمة... وقد كان هذا فما جاء عصر عمر... حتى كانت الدنيا مُلْكَاً لأصحابه... يسوسونها بأمر الله... ثم حذَّره من أخطر ما يتعرض له أهل المُلْك والسلطة والقيادة في العالم... حذَّره من الدنيا...

من فتنة السلطة... وفتنة الحُكْم... وهي الفتنة الكبرى... وفتنة المال... وفتنة الجاه... وفتنة السيادة... وفتنة القيادة... ثم حذَّره من أخطر ما يتعرضون له وهم في أعلى مراتب السلطة... مراتب الخلافة والقيادة والإمامة...

حين يكون الرجل منهم بيده من الأسباب ما يغري ويدفع الى الانحراف... حذَّره من فتنة النساء...

وما أدراك ما فتنة النساء... خاصة اذا كان الرجال أهل سيادة ومُلْك وأموال وسلطات...

سوف تتدفق عليهم وهم في أوضاعهم تلك، النساء تدفق الرغبة والجمال...

فانظر كيف كان يربي هؤلاء؟... ثم كيف كان هؤلاء يتلقون منه أمواج النور أفواجاً؟!

لقد كان أعجب نبي في الوجود... وكان أصحابه أعجب أصحاب في الوجود...

هو نور مُركّز... يسطع في قلوبهم...
وهم قلوب... متفتحة... تتلقى أنواره... لتسطع بها هي الأخرى...
في أنحاء العالم!!!

هكذا كان... شخصية... تصنع الرجال...
وهكذا كانوا... رجالا... صنعهم رسول الله... ﷺ... بإذن ربه...
... كما وصفهم جميعا ربهم تبارك وتعالى:

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا

يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ... ﴾

(الفتح ٢٩)

فبينما هو يخطب في أصحابه... بوجههم... ويصنعهم على يديه...
ليكونوا من بعده... أئمة نور... وقادة اشعاع... في العالم... اذا بكل
كلمة تخرج من فمه الشريف... طاقة من النور المصفى... تنطلق الى
جميع آفاق الحياة... نورا عظيما... يزداد مع الايام شروقا... وانطلاقا!!!
فمن أي مستوى... كان يتكلم؟!
من هناك... من المستوى الذي أشار اليه... رب السموات
والأرض...

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾

(التَّجْم ٩)

من مقام « قَاب » ...
أى: أقرب ما يكون بشر... من الله تبارك وتعالى...
والانسان الذي بلغ ذلك المقام... هو أعلى... وأرقى... أعلم...
وأحسن... وأعظم... بَشَر... على الإطلاق...
هو محمد... ﷺ... وحده... الحائز... لذلك المقام!!!
ذلك هو الناموس الخامس... فما هو الناموس السادس؟!
قال: « أَلَا لَا يَمْنَعَنَّ، رَجُلًا، هَيْئَةُ النَّاسِ، أَنْ يَقُولَ بِحَقِّ، إِذَا عَلِمَهُ... »
ذلك هو القانون الطبيعي السادس... فيما أذاعه رسول الله...
صلى الله عليه وسلم...
وهو قانون حق... إلا أَنَّ الناس... يضعفون عن تنفيذه...
وهذا هو سر تعليق أبي سعيد عليه حيث قال:
« فَبَكَى أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: « قَدْ وَاللَّهِ رَأَيْنَا أَشْيَاءَ فَهَبْنَا »!!!
ان الرجل يبكي لانه لم ينفذ القانون الذي أمرهم رسول الله...
ﷺ... بتنفيذه...
ولو أن البشرية أطاعت رسول الله... ﷺ... في ذلك القانون
لاستقامت أمور قد أعوجت وطال اعوجاجها...
ولكنها هابت بعضها بعضا، وسكتت عن الباطل... فانتشرت
الظلمات... حتى أصبح الظلام هو الأصل في الحياة...
وأصبحت تبحث عن النور في حياة الناس، فيستحيل عليك أن
تجده...
وان وجدته وجدته مكنونا في القلوب... أما في واقع الحياة... فيكاد
يكون وجوده مستحيلا!!!
ولقد عوقبت البشرية حين عطلت ذلك القانون الطبيعي...

وكان عقابها شقاء عاما للظالم والمظلوم... وضنكا عاما لحياة الجميع...

ولو انها حين رأت الباطل نبهت عليه... وتواصت بمنعه... لسعدوا جميعا... ولكنهم آثروا السكوت... فعوقبوا جميعا... وكذلك اطلق رسول الله ﷺ... ناموسا في كلمات... فكان قانونا طبيعيا اذا سرى سرى النور في الحياة البشرية... واذا كُتِم كُتِم النور منها... فأصبحت حياة وما هي بحياة...

ونقفز مع الراوي الى الناموس السابع... فماذا قال؟
« فَكَانَ فِيمَا قَالَ: أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ، لِيَوَّاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ وَلَا غَدْرَةَ أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامٍ عَامَّةٍ، يُرَكِّزُ لَوَاؤُهُ عِنْدَ أَسْتِهِ... »

« أَلَا إِنَّهُ يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ » لكل خائن...
« لِيَوَّاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » للتشهير... امام الخلائق...
« بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ » وتكون شهرته... بمقدار خيانه... وجريمته...
« وَلَا غَدْرَةَ أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ » ولا خيانة أعظم من خيانة...
« إِمَامٍ عَامَّةٍ » قائد جماهير... قائد شعب...
« يُرَكِّزُ لَوَاؤُهُ عِنْدَ أَسْتِهِ »... لتكون العورتان مكشوفتين، الظاهرة في الأخلاق، والباطنة في الخلق...

يفتضح ذلك الخائن... الذي قاد الجماهير... وأسلمت له قيادها... ووثقت فيه... فخانها... أضلها... وظلمها... وأضاعها... وقادها الى الظلمات...

هذا المجرم الكبير... يشهر به يوم القيامة...
فيؤتى به قائدا كما كان في الدنيا قائدا...
يقدم قومه الى النار... كما أضلهم...

يأتى عاريا... قد بدت ظلماته الباطنة أمام الخلق...
وعاريا من الملابس... قد بدت عورته... للناس جميعا...
هنالك تكون الشهرة وبالا عليه... يود لو تسوى به الارض... ولا
يوقف ذلك الموقف المخزي الرهيب...
رجل يقف أمام الناس جميعا... من آدم الى آخر رجل قامت عليه
القيامة... ملايين الملايين من الناس يموج بعضها في بعض...
وصاحبنا يقف قائدا للجماهير التي أضلها وظلمها... حين قادها الى
الظلام...

فبئست الشهرة يومئذ تلك الشهرة... وليس ذاك وحده... بل قد
انكشف باطنه... فهو يبدو مظلماً شديداً الظلمة...
وقد كان يبدو جميلا على أحسن صورة أمام الجماهير في الدنيا...
وانكشف جسمه... فلا ملابس عليه تستره... فبدت منه العورتان...
من الخلف ومن أمام... تشهيرا... وتفضيحا... وخزيا...
ولو قد فكّر أولئك الذين يقودون الشعوب... على أن قيادة الشعوب
فرصة للعلو والظهور والتسلط والغرور...
لو فكّروا في مصيرهم ذاك... ما فعلوها... ولألقوا بالقيادات التي في
أيديهم بعيدا... فرارا مما ينتظرهم...
ولكنّ الحُكم هو الفتنة الكبرى...
ما يملك ابن آدم مقاليد... حتى يعض عليه... كأنما قد أُوتي ما لم
يؤت أحد من العالمين...

ويدفعه حب البقاء في الحُكم الى ارتكاب كل شيء... كل جريمة...
ليبقى المذكور حاكما... يشار اليه بالبنان... ويقال هذا الذي أُوتي مُلكا
عظيما!!!

فتنة كبرى حقا... ولكن أكثر الناس لا يعلمون!!!

وانظر الى الاثقال التي سوف يحملها كل حاكم حكم فظلم فظنى
فبغى...

اذا علمت أنه يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله...
يحمل مسؤولية هؤلاء الملايين الذين قادهم... الى الظلمات... وهوى
بهم الى الهاوية...

ويطلقها رسول الله... ﷺ... تدوي في أعماق القلوب: «وَلَا غَدْرَةَ
أَعْظَمُ مِنْ غَدْرَةِ إِمَامٍ غَاثَةٍ»...

ولا خيانة اكبر من خيانة قائد جماهير...
ولا جريمة اكبر من جريمة إمام أمة أضلها... وظلمها...
فتزلزل كيان أصحابه الذين يستمعون من حوله... أحمق...
انهم سوف يحكمون من بعده الدنيا كلها... سوف يكونون جميعا
أئمة... وقادة... في الدين والدنيا...

ثم ترسب في أعماق قلوبهم نورا... وبطل ذلك النور مكتونا في
افتداتهم حتى اذا ما حكموا من بعده... تحبوا ذلك المصير الرهيب...
عملوا ما استطاعوا أن يعملوا... ان يكونوا أئمة يهتدون بأمر الله... لا
طغاة يطفون على عباد الله...

فكان حُكم أصحابه من بعده للدنيا... رحمة... ونورا... وعدلا... ما
استطاعوا الى ذلك سبيلا...

وكذلك هز أعماقهم... هذا...
ليكون ذلك لهم من بعده عِزًّا...
والعِزُّ في طاعة الله...

ذلك شيء عن القانون الطبيعي السابع... فماذا عن القانون الثامن؟!
وقبل أن ندخل اليه... أوجه نداء عالمياً... على مستوى العالم كله:
يا أيها الفلاسفة... تعالوا... تعلّموا...

يا أيها الذين هم عالمون بعلم النفس... تعالوا... لتأخذوا تحاليل
 النفوس... على أصولها... الصحيحة...
 يا أيها الذين لا يعلمون... تعالوا... لتعلموا ما لم تكونوا تعلمون...
 ولا سبيل لكم إلى علمه... الا بالاستماع اليه هو وحده...
 يا أيها الذين يجهلون... حقيقة رسول الله... ﷺ... تعالوا...
 وانظروا ماذا يقول... ومن أين له ما يقول؟
 «الَا، إِنَّ بَنِي آدَمَ، خُلِقُوا، عَلَى طَبَقَاتٍ مُتَشَتِّةٍ...» ركبوا... تركيبات
 مختلفة... عديدة جدا... بعدد الآدميين... كل نفس آدمية لها تركيبها
 المعين... وذلك من بدائع القدرة الالهية...
 «فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ مُؤْمِنًا، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا...»
 ذلك صنف ممتاز... من بني آدم...
 يولد قلبه متجها الى الله... وتلك هي حقيقة الايمان...
 ويحيا طول حياته كذلك... قلبه يتجه الى الله...
 ويموت حين يموت على ما هو عليه من الايمان... من اتجاه قلبه الى
 الله...

ذلك صنف من بني آدم...
 «وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ كَافِرًا، وَيَحْيَا كَافِرًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا...»
 طبقة أخرى من بني آدم...
 يولد قلبه مظلما، معرضا عن ربه، ويحيا طول حياته كذلك... ويموت
 حين يموت كذلك...
 «وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ مُؤْمِنًا، وَيَحْيَا مُؤْمِنًا، وَيَمُوتُ كَافِرًا...»
 تلك طبقة ثالثة من بني آدم... يولد متجه القلب الى الله... ويحيا
 متجه القلب الى الله...
 ولكنه يموت حين يموت كافرا بالله... منقلب القلب الى الظلمات!!!

« وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّدُ كَافِرًا، وَيُخَيِّدُ كَافِرًا، وَيَمُوتُ مُؤْمِنًا... »
 طبقة رابعة من بني آدم... يولد مظلم القلب... ويحبها طبقة حياة
 مظلم القلب... وفي النهاية يموت مؤمناً... متجه القلب الى الله...
 هذه طبقات أربع من بني آدم...
 تفسر لنا عجائب التصرفات البشرية...
 فكل طبقة تعمل عملها... بما تمليه عليها حقائق قلوبها...
 وتلك مفاتيح عليا... لمن أراد ان يفتح مغاليق نفس من النفوس... او
 يحلل تصرفاتها... ويردها الى منابعها من القلوب...
 وليست هذه هي كل طبقات بني آدم... كلا...
 وإنما « مِنْهُمْ »... نماذج من طبقاتهم... على سبيل المثال...
 اما طبقات الناس جميعا... فذلك ما لا يعلمه الا الله تعالى... الذي
 أحصاهم وعدّهم عدداً!!!

هذا ناموس... فماذا عن الناموس التاسع؟!...
 أعجب وأعجب... قال:
 « أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ الْبَطِيءَ الْغَضَبِ، سَرِيعَ الْفَيْءِ... »
 من بني آدم طبقة هذا شأنها... تغضب ببطء... وترجع عن غضبها
 سريعاً...

انسان يغضب ببطء... ويرجع عن غضبه سريعاً...
 وطبقة أخرى: « وَمِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفَيْءِ... »
 انسان سريع الانفعال... سريع الهدوء...
 « فَبَلِّغْ بَلِّغْ... فصفه سرعة الغضب... بصفة سرعة الرجوع عن
 الغضب... اي: هذه بهذه... هذه تذهب عنه هذه...
 غضب سريعاً... وهذا سريعاً...
 فسرعة هلوته، تذهب سرعة غضبه!!!

أى مقدار ما في غضبه من نار... بمقدار ما في رجوعه من نور...
هذه تذهب هذه...

« أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ سَرِيعُ الْغَضَبِ، بَاطِلُ الْفِيءِ... »
هذه طبقة ثالثة...

إنسان يثور سريعا... ويهدأ بطيئا...
« أَلَا وَخَيْرُهُمْ، بَاطِلُ الْغَضَبِ، سَرِيعُ الْفِيءِ... »
هذا خير الطبقات الثلاث...

إنسان لا يثور الا بطيئا... وإذا غضب... رجع عن غضبه سريعا...
« أَلَا وَخَيْرُهُمْ، سَرِيعُ الْغَضَبِ، بَاطِلُ الْفِيءِ... »
إنسان يغضب سريعا... ويرجع عن غضبه بطيئا...
هذه انفعالات الجهاز العصبي للإنسان... يسجلها رسول الله...
تسجيلا يتشعشع من أنوار النبوة العلى...
وهذه مفاتيح تفسر لنا ما يصدر عن الناس من تصرفات، قد نحار في
تعليلها...

وإنما مفاتيحها في هذه الأسرار... التي أذاعها...
ثم ماذا عن الناموس العاشر؟

« أَلَا وَإِنْ مِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ، حَسَنُ الطَّلَبِ... »
إنسان إذا قضى ما عليه قضاؤه، وأداه أحسن قضاء، وأحسن أداء...
يؤدي الحقوق الى أهلها... في غير ما اساءة، ولا مماطله، ولا
هضم... بل يزيد أصحاب الحقوق... من عنده... لأن هذا من حُسن
القضاء...

« حَسَنُ الطَّلَبِ؟! »

إذا طلب ما له عند الناس، طلبه في رفق واحسان، ولم يطلبه في عنف
واساءة الى المدين...

« وَمِنْهُمْ نَسِيُّ الْقَضَاءِ، حَسَنُ الطَّلَبِ... »

انسان لا يقضى ما عليه الا ما دام صاحب الحق عليه قائما...
يشاكس... ويماطل في اداء ما عليه... ويدخل في خصومات...
واختلافات...

« حَسَنُ الطَّلَبِ؟! »

ولكن اذا كان له حق لدى الغير... أحسن في المطالبة... وترفق...
حتى يستطيع ان يحصل على حقه...
« وَمِنْهُمْ حَسَنُ الْقَضَاءِ، سَيِّئُ الطَّلَبِ... »
انسان يحسن قضاء ما عليه... ولكنه يسيء أسلوب المطالبة بما له...
لدى الغير...

« فَبِتْلِكَ بِتْلِكَ » فإحسانه في أداء ما عليه... يذهب وزر إساءة طلب ما
له...

أي: نور الاحسان، يذهب ظلام الإساءة...

﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ... ﴾

(هود ١١٤)

« أَلَا وَإِنَّ مِنْهُمْ السَّيِّئَ الْقَضَاءِ، السَّيِّئَ الطَّلَبِ... »

انسان سيئ القضاء لما عليه... سيئ الطلب لما له.. طرف الغير...
« أَلَا وَخَيْرُهُمْ، الْحَسَنُ الْقَضَاءِ، الْحَسَنُ الطَّلَبِ... »
هذا أحسن الطبقات...

انسان حسن القضاء لما عليه، حسن الطلب لما له...

« أَلَا وَشَرُّهُمْ، سَيِّئُ الْقَضَاءِ، سَيِّئُ الطَّلَبِ... »

انسان يسيء قضاء ما عليه.. ويسيء طلب ما له...
فتأمل يا دنيا... رسول الله ﷺ... يجوس خلال النفوس... كيف
يشاء!!!

فأين في الناس من يستطيع شيئا من ذلك؟!
والنفوس صناديق مقفلة... ولكن رسول الله ﷺ... أوتي مفاتيحها
جميعا!!!

ثم ماذا عن الناموس الحادي عشر؟
« أَلَا، وَإِنَّ الْغَضَبَ جَمْرَةٌ، فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ... نار تَلْغَى فِي
الفؤاد... »

« أَمَا زَأَيْتُمْ إِلَى حُمْرَةِ عَيْنَيْهِ، وَانْتِفَاحِ أَوْدَاجِهِ... ؟ »

هذه علامات اشتعال نار الغضب في القلب...

احمرار العينين، وانتفاخ الأوداج...

هذه هي العلامات... فما هو العلاج؟

العلاج يقدمه فوراً...

« فَمَنْ أَحْسَنُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَنْصَقْ بِالْأَرْضِ... »

من أحسنُ بشيء من الغضب... فليجلس... أو ليضطجع...

علاج لثورة الأعصاب...

قالوا... « السكوت يطفئه، والاتكاء والاضطجاع، على مراتبهم...

والاغتسال بالماء لا يبقى له رسماً. »

والعلاج المقترح هنا هو الالتصاق بالأرض... أي الاتكاء، أو

الاضطجاع...

إن ذلك يذهب الغضب... ويطفى ناره!!!

« قَالَ: وَجَعَلْنَا نُلْقِيكَ إِلَى الشَّمْسِ:

« هَلْ بَقِيَ مِنْهَا شَيْءٌ؟... »

إن الشمس توشك أن تغيب... لقد مضت ساعات وساعات على

رسول الله ﷺ...

وهو يرسل أشعاعاته متتابعات... دون توقف...

هنالك أرسل رسول الله ﷺ... قانوناً طبيعياً جديداً...

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا، فِيمَا مَضَى مِنْهَا، إِلَّا

كَمَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِيمَا مَضَى مِنْهُ... »

أوشكت الحياة الدنيا... الحياة البشرية أن تنتهي... لم يبق من

عمرها... الا قليلا... مثل قلة هذه اللحظات التي بقيت من اليوم الذي
توشك شمسك على الغروب!!!

ولكن ما مقدار هذا القليل الباقي؟
الله أعلم... فانه تعالى استأثر بعلم الساعة...
وهكذا... أحد عشر... قانونا طبيعيا... أذاعها رسول الله... ﷺ...
في لحظات...

ولو قد نُقِلَ لنا الرواة جميع ما تكلم به في ذلك اليوم المبارك...
لكانت من مئات القوانين الطبيعية...
فإن ما نقلوه لا يعدو كلمات تقال في دقائق...
بينما الثابت أنه... ﷺ... خطبهم من صلاة الفجر... الى صلاة
المغرب... أي ما يقرب من اثنتي عشرة ساعة... أو تزيد...
وأن خطابا يستغرق اثنتي عشرة ساعة، ليقع في مائة صفحة على
الأقل...

فلو قلنا قياسا على ما ورد في هذا القليل الذي نقلوه الينا... من قوانين
طبيعية...
لو قلنا أن في كل صفحة خمسة قوانين طبيعية...
لأمكن ان نقول ان القوانين الطبيعية التي وردت في حديثه ذاك... قد
تبلغ خمسمائة قانون طبيعي...

واذا أردنا غاية التحفظ قلنا: لا تقل عن مئات القوانين...
وذلك يفسر قول الراوي: «ثُمَّ قَامَ خَطِيْبًا، فَلَمْ يَدْعُ شَيْئًا، يَكُونُ إِلَى
قيام الساعة، إِلَّا أُحْبِرْنَا بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَ مَنْ نَسِيَ...»
وان خطابا... يستمر طيلة هذه الساعات... ويحتوي على ما يكون
الى قيام الساعة...

ليتحتم ان يكون عظيما... جامعا... مانعا... ساطعا... شاسعا...
واسعا...

لقد كان رسول الله... ﷺ يرسل فيه كثيرا من تلك الاشعاعات
المكنونة في قلبه...
كان يريد أن يزيد البشرية علما...
وأن يرفع مستواها الى مقام العلوم المحيطة... الشاملة... الكاملة...
وكانت الشخصية آنذاك... تتلأأ في ظاهرها... بما في باطنها...
ويجري على لسانها... ما يسري في كيانها...
ولا يتأتى لبشر... أن يصدر عنه مثل ذلك... الا اذا كان نبيا...
ولا يتأتى لنبي أن تتكامل فيه مقامات الأنبياء جميعا... الا اذا كان...
شمس أولئك الأنبياء جميعا...
فإن قيل: كيف تيسر ذلك لرسول الله... ﷺ؟!
قلنا: إنها النبوة...
فإن قيل: ولماذا لم يتيسر ذلك المقام... لسائر الأنبياء؟
قلنا: لأنه الشمس... وهم كواكبها!!!

الشخصية...

تحدث...

عن الفتن...؟!

ما هي هذه الفتن... التي يكثر ترددها فيما جاء به رسول الله... صلى الله عليه وسلم...؟!
تسمعه كثيرا تُردّد في الكتاب الذي أنزل عليه... المسمى بالقرآن العظيم؟!
فهو يقول:

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾

(الأنفال ٢٨)

ويقول: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

(العنكبوت ٢ و ٣)

ويقول: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾

(الأنفال ٢٥)

الى آخر... ما ورد في الكتاب الكريم... الذي نزل من رب العالمين... على رسول الله... ﷺ...
وتسمع رسول الله... ﷺ... يحذر منها... يوجه نحو اتقائها... ويبين علاماتها... وكيف تكون...

حتى أصبحت كلمة « الفتنة » تعبيراً إسلامياً... ابتدعته المفاهيم
الإسلامية من دون الرسائل جميعاً...

أو تميزت بترديده... في ثنايا مفاهيمها الكبرى... أو الصغرى...
والسؤال الآن: ما هي الفتنة؟!

والجواب: الفتنة هي الامتحان... هذه هي الفتنة في عمومها...
فعلى هذا يمكن أن يقال إن الحياة هي الفتنة... والفتنة هي الحياة...
أو كل ما في الحياة الدنيا فتنة...
وذلك مكنون في قوله تعالى:

﴿... وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً...﴾

(الأنبياء ٣٥)

والحياة إما خير وإما شر... والشر والخير كما رأيت فتنة... اذن نحن
نُختبر بالشر والخير فتنة.. أي امتحاناً...
والانسان من مولده الى مماته... يجوس خلال فتن لا أول لها ولا
آخر...

الانسان يمر على اختبارات في كل لحظة من حياته... قائماً او
نائماً... يقظاً ام غافلاً...

ففي الصحو فتن متتابعة... وفي النوم فتن متتابعة...
والحياة على هذا مؤسسة على ناموس الفتنة...
فكل ما في الحياة... فتنة بالنسبة لك... أنت فتنة... لأنك... نفسك
فتنة لنفسك...

وإن بدا لك ذلك عجباً فتذكر انك تنازع نفسك دائماً... ونفسك
تنازعك...

إما أن تتغلب عليها... وتنقاد هي لك... وإما أن تتغلب هي عليك...
وتنقاد انت لها...

وكل من حولك فتنة لك... وأنت فتنة لهم...

تجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:

﴿وَجَعَلْنَا، بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ...﴾

(الفرقان ٢٠)

والتبعض هنا... إما داخل النفس الواحدة... أي بعض النفس فتنة، لذات النفس...

وإما للعموم... أي بعض الناس فتنة لبعض!!!
وذلك الناموس من أشمل وأعجب النواميس... كل انسان فتنة لكل انسان...

الانسان فتنة لغيره... وغيره فتنة له...
وإن عجبت من ذلك... فتذكر أن أمواج المجتمع تلاطمك... وأنت تلاطمها... ما دمت حيا...

وما سلسلة الأمراض القلبية... الطويلة... الحقد...
الحسد... الغل... الكبر... الغش... الأمانى... الى غير ذلك... إلا فتنة زحفت عليك... من انفعالك من الغير... وزحفت على الغير من اطلاق انفعالاتك نحو الغير... وما هذه الأمواج المتلاطمة... من التدافع البشري... في كل شأن من شؤون الحياة... الا الأثر الطبيعي لفتنة البعض ببعض... فالرجل فتنة للمرأة... والمرأة فتنة للرجل...

« ما تركت ورائي فتنة أشد خطرا على الرجال من النساء... »

وتجد ذلك الناموس... شاملا... كاملا في قوله سبحانه:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

(الأنفال ٢٨)

وما الحياة إلا مال أو أولاد...
إما مقدرات مالية وإما ناس... هم أولاد بعضهم البعض...
الشباب فتنة للشيوخ... والشيوخ فتنة للشباب...
والعلماء فتنة للجهلاء... والجهلاء فتنة للعلماء...

والأقوياء فتنة للضعفاء... والضعفاء فتنة للأقوياء...
والأذكياء فتنة للأغبياء... والأغبياء فتنة للأذكياء...
والأغنياء فتنة للفقراء... والفقراء فتنة للأغنياء...
والمؤمنون فتنة للكافرين... والكافرون فتنة للمؤمنين...
وتجد ذلك مكنونا في قوله سبحانه:
﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾

(الممتحنة ٥)

وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ... ﴾

(الأنعام ٥٣)

وأهل الكشف فتنة لأهل الحجاب... وأهل الحجاب فتنة لأهل
الكشف...

والأنبياء فتنة للذين كفروا... والذين كفروا فتنة للأنبياء...
وأهل النور فتنة لأهل الظلام... وأهل الظلام فتنة لأهل النور...
والأطفال فتنة للكبار... والكبار فتنة للصغار...
والحاكمون فتنة للمحكومين... والمحكومون فتنة للحاكمين...
وأهل الآخرة فتنة لأهل الدنيا...
وأهل الدنيا فتنة لأهل الآخرة...
وهكذا وهكذا... كل مفتون... بغيره!!!
فتعجب من ناموس الفتنة... كيف صنعه ربك... الذي أحسن كل
شيء صنعا؟!

وكما تسري قوانين الفتنة... في النفوس...
تسري في جميع أسباب الحياة...
وهذا هو المراد بـ ﴿ أَمْوَالُكُمْ ﴾... والمال تعبير شامل عن كل ما
يتعلق بالحياة سوى النفوس...
فالأرض... العمارات... المدارس... المصانع... وسائل

المواصلات... كل شيء له صلة بحياتك... داخل في ﴿أَمْوَالُكُمْ﴾...
اذن كل شيء في الحياة... فتنه...
إذن الحياة فتنه... والفتنة الحياة... وذلك كله ينشق... من ينبوع
الأول لفكرة الحياة... ﴿وَيَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ، فِتْنَةً...﴾
ونختبركم بالشر والخير في الحياة... امتحانا...
والفتنة في عمومها... هدفها الامتحان...
وتكون في نفس الوقت... منطوية على العذاب...
لانه لا فتنه الا وفيها عذاب... على نسب متفاوتة...
فهناك فتن عذابها قليل... وهناك فتن عذابها عظيم... وهناك فتن بين
بين...

تتذبذب آلام الفتن من أقصاها الى أدناها... بقدر صدمتها للانسان...
وقلة ما فيها من اختبارات وكثرتها...
ولذلك ترد في كتاب الله بمعنى العذاب كما ترد بمعنى الامتحان
قال تعالى: ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ...﴾

(الذاريات ١٤)

ذوقوا عذابكم... أو آثار رسوبكم في فتنه الحياة... في امتحان
الحياة...

فالفتنة يتلازم فيها معنى الامتحان... ومعنى العذاب...
وفي قوله سبحانه ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَكْصِبُونَ...﴾...
مكون فيه هذان المعنيان... (الفرقان ٢٠)

أنتم تُفْتَنُونَ ببعضكم البعض... وتعذبون ببعضكم البعض... في نفس
الوقت...

هذه تمضي مع هذه... ﴿أَكْصِبُونَ﴾... أتجوزون الامتحان...
وتحتملون الآلام... ولا تنحرفون تحت ضغط المؤثرات؟!

ولذلك تجد القرآن يقول ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ...﴾
أي امتحان لكم... وعذاب... يترادف مع نفس المعنى في قوله
سبحانه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا
فِي الدُّنْيَا...﴾

(التوبة ٨٥)

هناك تعذيب بالأموال والاولاد... وذلك يوم يرسب الانسان في
الامتحان بهما...
ويقول: ﴿... إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ
فَاخْذُرُوهُمْ...﴾

(التغابن ١٤)

وذلك حين يكونون سبيا في انحرافك عن الخط المستقيم...
وكذلك يسري العذاب... حيث تسري الفتنة... ويتلازمان...
لان الآلام موضع اختبار للانسان عظيم...
ويرتفع رسول الله... ﷺ... كشأنه دائما... فوق بحار الفتن...
نورا... ساطعا... هائلا... لا تستطيع الفتن منه اقترابا...
كأنما هو معجزة عصا موسى... حين مست... البحر... فانفلق كل
فرق كالطود العظيم...
كذلكم رسول الله... ﷺ... خلال فتن الحياة...
يشقها بنوره... فتشوق عن يمينه... وعن شماله... وهو يسري...
آمنا... مطمئنا...
ويدخل جميع تجارب الحياة... في أشق... وأدق... وأرق...
صورها...
فلا تأثير لها على قلبه... ولكن تزيده نورا... وتزيده نجاحا في
التجربة...

ويتلأأ بعد كل تجربة انسانا... عظيما... لم تفتنه الحياة لا بشرها
ولا بخيرها...

ولانما سَجِّل اثناء امتحانه... أعلى... وأرقى... درجة يمكن أن
يسجلها انسان في الوجود!!!

وهذه أعجب عجائب... تلك الشخصية... التي لم تفتن بشيء من
فتن الحياة...

رغم أنها عرضت له كلها... فلم تستطع له تحويلا...
جاءوه يعرضون عليه الدنيا... المُلْك... الجاه... المال... الرئاسة...
فكان جوابه الخالد: « والله، لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر
في يساري، على أن أترك هذا الأمر، حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما
تركته ».

وتلك فتنة تزحزح الجبال... ولكنها لم تستطع أن تزحزح محمدا...
ﷺ... أدنى شيء!!!

ورموه بالجنون... فلم يزد إلا ثباتا... وإلا كمالات...
وآذوه بكل ما استطاعوا له إيذاء... فما ازداد الا رُقْيَا... وإلا قربا من
ربه...

وعُرِضَ عليه أن يكون مَلِكاً رسولاً... فاختر أن يكون عبداً رسولاً...
و... و... مما يتسلسل سلسيلاً... خلال حياته الشهيرة... الجليلة...
الجميلة...

وهو يسجل في كل موقف نجاحاً فوق التصور... ويزداد في كل ازمة
يمر بها... علوا... ورقيا... ونورا...

ذلك شأنه مع نفسه... ولكن ما شأنه مع الناس؟؟...
وقف من مقامه يعلمهم كيف يَتَّقُونَ الفتن... وكيف ينجحون في
تجاربها...

فتراه يحذر أمته كلها: « لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال. »

وتراه يحذرهم الدنيا... والنساء... فيقول: « فَاتَّقُوا الدُّنْيَا... وَاتَّقُوا
النِّسَاءَ... »

(الترمذی)

وله في هذا السبيل... أمواج من التوجيهات... الشريفة... تتابع من
فمه المطهر... قطعا من النور متتابعا...

ويتلأأ في مقام التوجيه... عاليا... ساطعا...

« عَنْ بُسْرِ بْنِ سَعِيدٍ

« أَنَّ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ، قَالَ عِنْدَ فِتْنَةِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ

« أَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

« إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةٌ

« الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ

« وَالْقَائِمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي

« وَالْمَاشِي خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي

« قَالَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ دَخَلَ عَلَى بَيْتِي، وَبَسَطَ يَدَهُ إِلَيَّ لِيَقْتُلَنِي؟

« قَالَ: كُنْ كَأَبْنِ آدَمَ. »

(أخرجه الترمذی)

وهذا الذي استشهد به سعد بن أبي وقاص... حين رأى اضطراب
الامور أيام أمير المؤمنين عثمان بن عفان...

إنما يشير الى فتنة الحكم... وما يحدث خلال فترات التوتر
السياسي... حين تضطرب الأمور... ويسود الذعر بين المواطنين...

فلا يأمن مواطن على نفسه...

وكذلك... في مفاهيم عصرنا... ما نراه من زحف الفتن زحفا

عاما... في كل شأن من شؤون حياتنا اليومية...

انظر الى أخطر فتنة... وهي فتنة النساء... اليوم... وكيف يصدق فيها

« الترمومتر » الذي أذاعه رسول الله ﷺ... صدقا عجيبا...

فاذا طبقت الحديث عليها... رأيتہ يتلألأ بأنوار عجيبة... تكشف لك أخطار تلك الفتنة الجائحة...

« ستكونُ فِتْنَةٌ » ستحدث من بعدي... فتنة... امتحان شديد...

ولنأخذ ذروة هذه الفتنة... فتنة النساء... مثلاً...

« القاعدُ فيها خيرٌ منَ القائمِ »... الساكن فيها خير من الواقف...

لان الواقف يرى منها أكثر من القاعد...

« والقائمُ خيرٌ منَ الماشي »... لان القائم ساكن... والماشي

متحرك... والمتحرك يطالع من فتن النساء... في كل مكان أكثر وأكثر...

« والماشي خيرٌ من السَّاعي »... لان السعي وهو الحركة بسرعة...

يجعل الساعي أكثر انتشارا في الارض... من الماشي على مهل... فهو يتعرض للفتنة أكثر وأكثر...

ومكونون الحديث... أن عصرنا هذا... كلما تحركت خلال الحياة أكثر... كلما تعرضت لفتنة أكبر...

وذلك لغلبة الظلام على أهل عصرنا...

وأوضح مثال لذلك... فتنة النساء...

تخرج من بيتك... آمنا... مطمئنا... ليس في قلبك زيغ ما...

فما أن تتحرك في الشارع... حتى تطالعك النساء... المائلات...

المميلات... ويزحفن الى قلبك زحفا...

وكلما مالت مال القلب نحو الظلام... وكلما أملن أنفسهن... أملن

قلبك عن النور الى الظلمات...

ثم يرسل رسول الله ﷺ نورا... كشافا... يكشف حقائق

الفتن... وأنها ظلمات بعضها فوق بعض...

اذا استسلم لها الانسان... ولم يقاومها بالالتجاء الى الله... والفرار

اليه... أو شكت أن تعتم القلب بظلماتها...

« عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ... أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
 « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا، كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ...
 « يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا
 « وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا
 « يَبِيعُ دِينَهُ بَعَرَضٍ، مِنَ الدُّنْيَا. »

(أخرجه الترمذی)

« وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:
 « تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، فِتْنٌ، كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.
 « يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا، وَيُمْسِي كَافِرًا
 « وَيُمْسِي مُؤْمِنًا، وَيُصْبِحُ كَافِرًا
 « يَبِيعُ أَقْوَامٌ دِينَهُمْ، بَعَرَضٍ، مِنَ الدُّنْيَا. »

(أخرجه الترمذی)

« وَعَنْ الْحَسَنِ قَالَ: كَانَ يَقُولُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ
 مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا.
 « وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا...
 « قَالَ: يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُحَرَّمًا لِدَمِ أَخِيهِ وَعَرَضِيهِ وَمَالِهِ
 « وَيُمْسِي مُسْتَحِلًّا لَهُ
 « وَيُمْسِي مُحَرَّمًا لِدَمِ أَخِيهِ وَعَرَضِيهِ وَمَالِهِ
 « وَيُصْبِحُ مُسْتَحِلًّا لَهُ، »

(أخرجه الترمذی)

هذا فقه الحسن في الحديث...
 يصبح الانسان نقيًا، يؤمن بحرمة دم أخيه... فلا يستحل قتله أو السعي
 في قتله...
 مُحَرَّمًا لِعَرَضِ الْغَيْرِ... فلا يستحل الاعتداء على نسائه... ولا المماس
 بحرمانهن...

مُحَرَّمًا لِمَالِ الْغَيْرِ... فَلَا يَسْتَحِلُّ النَّهْبَ مِنَ الْأَمْوَالِ الْعَامَةِ أَوْ
الْخَاصَّةِ... وَلَا الْمَسَاسَ بِهَا مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ...
ثُمَّ تَكُونُ فِتْنُ الْحَيَاةِ الْعَامَةِ مِنْ حَوْلِهِ... مِمَّا يَضْعِفُ أَمَامَهَا...
وَيَنْهَارُ...
فَإِذَا بِهِ يَشْتَرِكُ فِيهَا فِيهِ أَهْدَارُ لِحَرَمِهِ الدَّمَاءِ... أَوْ الْإِشْتِرَاكُ فِي إِبَاحَةِ
أَهْدَارِهَا...
وَذَلِكَ يَكُونُ فِيهَا يَحْدُثُ فِي فِتْنِ الْحُكْمِ... وَتَوَلَّى الْمَنَاصِبَ الَّتِي
بِيَدِهَا أَنْ تَفْعَلَ ذَلِكَ...
فَإِذَا بِهِ يُمَسِّي... يَنْتَهِي الْيَوْمُ... وَقَدْ وَقَعَ أَرَادَ أُمُّ لَمْ يَرُدْ... فِي تِلْكَ
الْمَحْرَمَاتِ... مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ... بِحُكْمِ ضَغْطِ النِّظَمِ الْعَامَةِ الْقَائِمَةِ
عَلَيْهِ... وَفَسَادِ الْمَجْتَمَعِ الْعَامِ مِنْ حَوْلِهِ...
وَهَذَا هُوَ مَعْنَى « وَيُفْسِي مُسْتَحِلًّا لَهُ »...
وَيُصْنِغُ الرَّجُلُ مُحَرَّمًا لِعَرَضِ أَخِيهِ... مُحَرَّمًا لِحَرَمَةِ الْأَعْرَاضِ
وَقَدَاسَتِهَا... الزَّوْجَاتِ... الْأَخَوَاتِ... الْأَمْهَاتِ... الْبَنَاتِ...
هَؤُلَاءِ جَمِيعًا أَعْرَاضٌ لِلْغَيْرِ... يَجُوسُ الرَّجُلُ خِلَالَ الْحَيَاةِ الْعَامَةِ...
فَيَتَعَرَّضُ لِفِتْنٍ شَتَّى... مِنْ هَاتِيكَ النِّسَاءِ...
وَمَا زَالَ يَسْتَعْصِمُ... وَيَتَأَنَّى... حَتَّى يَنْهَارَ فِي النِّهَايَةِ أَمَامَ مُحَاسِنِ
النِّسَاءِ... وَاغْرَاءِ النِّسَاءِ... وَجَمَالِ النِّسَاءِ...
فَيَقَعُ فِي اسْتِحْلَالِ تِلْكَ الْأَعْرَاضِ... وَقَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ يَرَاهَا حَرَامًا!!!
وَهَذَا مَكْنُونُ قَوْلِهِ: « وَيُفْسِي مُسْتَحِلًّا لَهُ »...
وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ هُنَا... وَالْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ...
أَنَّ الْفِتْنَةَ دَائِرَةٌ... مَعَ دَوْرَانِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... كُلَّمَا عَزَمَ الرَّجُلُ عَلَى
اتِّقَائِهَا عَادَ فَضْعَفَ وَتَضَعُضَعَ وَاسْتَسْلَمَ لِمَغْرِيَاتِهَا...
وَيَصْبِحُ الرَّجُلُ مُحَرَّمًا لِمَالِ أَخِيهِ... يَرَى حَرَمَ أَمْوَالِ الْغَيْرِ...

ثم يرى المجتمع منحرفا... والاعلبية تستحل النهب... في أساليب ملتوية... مشروعة أو غير مشروعة...
فما يزال يقاوم... ويقاوم... حتى يستسلم في النهاية... ويلهط مع اللاهطين!!!

وهذا مكنون قوله: « وَيُفْسِي مُسْتَحِلًّا لَهُ »...
الفتن تدور مع الحياة حيث دارت... والانسان يقاوم ويقاوم... فاذا ما ضعفت ارادته... وآنست الفتنة منه ضعفا... تدفقت الى قلبه بظلماتها...
من ذلك المدخل الضعيف... وعمته بظلامها...
ومن الناس من يفتتن بالتسلط والعلو... فيستحل قتل الابرياء...
ومنهم من تفتنه النساء... فيستحل السطو على أعراضهن...
ويتخصص في ذلك الفن الرخيص الاجرامي... فن اصطياد النساء...
والايقاع بهن...

ولا ييالي كن زوجات أو أبكارا...
ومنهم من تفتنه الاموال... فيتخصص في نهبها... بأي أسلوب من أساليب الانحراف...

والمؤمن حين تنشر الفتن بظلماتها في المجتمع...
يحتاج الى ارادة من حديد... لا تلين أمام ضغط الفتن عليه...
والا تغلبت عليه... وتدفقت الى قلبه بأمواجها السوداء... فاظلم قلبه ظلاما تاما...

وهنا يتلأأ رسول الله... ﷺ... بأسطع بيان... وأكمل برهان...
فيقول: « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا ». سارعوا الى الاعمال الصالحة...
استبقوا دخول مقامات النور... وارْقُوا فيها ما استطعتم...
اخرجوا من ظلمات نفوسكم... الى نور ربكم... وواصلوا الصعود في مقامات النور...

قبل زحف الفتن عليكم... حتى اذا تعرضتم لها... كان في قلوبكم
من النور... ما يحول بين قلوبكم وبين ظلامها...
والقلب اذا كان متجها الى الله... منطلقا في التقرب منه تعالى... لم
تستطع الفتن أن تتسلل اليه بظلماتها... الا نادرا...
الا في حالات العنف البشري...

« كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ »... فتنا كل فتنة منها قطعة من الليل
المظلم... كل فتنة ظلام عام تام... لا نور فيه...
فهي في مجموعها ظلمات... بعضها فوق بعض...

وهذا الذي يذيعه رسول الله... ﷺ... مكنون فيه ناموس الهي... او
قانون طبيعي... من أخطر قوانين النفوس البشرية... الباطنة... ولكن أكثر
الناس لا يشعرون... ولكن أكثر الناس لا يعلمون... ولكن أكثر الناس لا
يؤمنون!!!

ذلك القانون... هو أن القلب البشري... القلب الباطن... الذي يسكن
هذا القلب المادي المعلوم...

ذلك القلب الباطن... اذا آمن بالله... اذا اتجه الى الله... خرج فورا
أتوماتيكيا من الظلمات الى النور...

فاذا ما داوم العمل الصالح يريد به وجه ربه... ارتقى في مقامات
النور... وازداد قربا من ربه...

فاذا ما وصل الى ذلك المقام من الترقى... كان نوره عظيما... مما
يتعذر على الفتن... ان تهبط به الى ظلماتها...

وكل طاعة نور في القلب... وكلما أتيت طاعة ازدادت نورا... وكلما
ازددت نورا ازدادت قربا... وكلما ازدادت قربا ازدادت بعدا عن تأثير

الفتن... عن دركات الظلام!!!

تأمل؟!.. نواميس الالهة عجيبة جدا... مكنونة فيك ايها الانسان
العجيب... ولكنك لا تشعر...

وذلك كله مكنون في قول رسول الله... ﷺ ... «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ
كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ...»

والعكس صحيح... القلب البشري... الباطن... اذا كفر... خرج
فورا من النور الى الظلمات... وانقلب الى أسفل... وجعل يهوي في
دركات الظلمات...

كلما عمل سيئة... ازداد ظلمة...

فكل معصية المظلم... هو الذي يفرق من أول لحظة في الفتن...
ويعمه ظلامها... لانه مفتوح للظلمات... مغلق عن النور...

وكلما فسد المجتمع كانت حاجة المؤمن الى التطهر والترقي أكثر
فأكثر... ليكون بمنجاة من هجوم تيارات الفتن على قلبه... وكلما
ازدادت البشرية تقدما علميا... كلما ازدادت جرأة على الشر... وأنشأت
له مفاهيم... وفلسفات... تجعله سائغا للشاربين!!!

تجد ذلك مكنونا في قوله: «تَكُونُ يَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ فَتَنْ كَقِطْعِ
اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ...»

أي كلما اقتربت الساعة... كلما ارتقى الانسان علميا... كلما ازداد
جرأة على ما كان يخشاه من قبل...
وصارت له من المفاهيم... ما يجيز له الانحراف... ويجعله عرفا عاما
سائدا...

انظر الآن الى انتشار حلاق السيدات... وكيف أصبح كثير من النساء
يرينه شيئا عاديا... ويُسلمن أنفسهن الى الرجال... يقومون لهن بتزيين
وجوههن... وشعورهن!!!

كان ذلك من قبل جريمة ومنكرا... والآن نرى انتشارا لذلك الامر
القيح... وسكوتا من المجتمعات عليه!!!

تلك فتنة من الفتن... ونموذج لتطور مفاهيم المجتمعات...
وخطورة ذلك التطور المنحرف... على قلوب المؤمنين...

وليَجَارُ المؤمنون ما شاءوا... وليضيقوا بذلك ما شاءوا...
فإن المجتمع سائر إليه... ولا حياة لمن تنادي!!!
فانظر ثم انظر... كيف ارتفعت شخصية رسول الله... ﷺ... فوق
الفتن... فلم تستطع جميع فتن الحياة له فتونا!!!
ثم تأمل: كيف قام في مقامه الأعلى... يرسل اشعاعاته... الى الناس
جميعا... والى المؤمنين منهم خاصة...
يرشدهم... ويضيء لهم: كيف يمرون بين ثنايا تجارب الحياة مرًا
سريعًا... ولا تفتنهم مفاتها؟!
ثم تأمل بعد ذلك: كيف وصف الفتن... وكشف ظاهرها...
وباطنها... وأسرارها... وأغوارها..؟!
وكيف تقع... وكيف تنتشر... وكيف تتسع... كلما اقتربت
الساعة؟!
ثم انظر الى شمول... واحاطة... علمه... حتى كأنه عقل تلاً في
كل شيء؟!
ثم احكم في القضية بعد ذلك كله... حكما مجردا عن الهوى...
أي الناس كان محمد... ﷺ؟!!

نسبيّة...

الطاعات...

والمعاصي...؟!

وقع لي حديث... من أحاديثه... الجميلة...
أعتبره... في عصري هذا... من أجمل... وأحلى... الأحاديث...
التي تنزل برداً وسلاماً... على كل مؤمن... في هذا الزمان... حيث
انتشرت الفتن... وعزّت النجاة...
وأحسن حبل للنقاذ... أن تمتد الى الغريق حَبْلاً... يُمسك به بكلتا
يديه... ويخرج توا الى الشاطئ...
وهذا الحديث... حَبْلٌ متين... يُنقذُ كل مؤمن... ومؤمنة... في هذه
الايام... من اخطر موجة من موجات الظلام... التي تموج في حياتنا
موجاً...

فلا يكاد أحد تأتي عليه إلا أغرقته إغراقاً!!
كل مؤمن... وكل مؤمنة... في هذه الأيام يسأل: كيف النجاة...
خلال هذه الظلمات؟

والى هؤلاء جميعاً... اقدم أجمل هدية... مهداة... من الرحمة
المهداة الى العالمين... رسول الله... ﷺ...

«عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

«عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ، مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عَشْرَ مَا أُمِرَ بِهِ، هَلَكَ

« ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، مَن عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ، نَجَا »
(أخرجه الترمذی)

وتقع خطورة هذه النظرية... انها الباسم الشافي لقلوب المؤمنين...
والمؤمنات...

فكأنّي من مؤمن... ومؤمنة... تضعضع أمام فتن هذا العصر...
وتراجع من نوره الى ظلماتها... ثم اسلم نفسه لتيارات الحياة...
تجري به كما تشاء...

فضاع... وضاعت مفاهيمه الأولى... هباء!!
فاذا ما شمع في القلوب... ذلك الاشعاع الذي يرسله... رسول الله...
صلّى الله عليه وسلّم...

استطاعت ان تثبت... وأن تقاوم... وأن تأمل في امكانية النضال
والمقاومة... ومن هنا يتلأأ امامنا... شيء من معاني:
﴿ وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ﴾...

(الانبيا، ١٠٧)

لأن في أنواره... التي يرسلها... شفاء لداء القلوب... ودواء لأمراض
النفوس...

« إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ » يخاطب اصحابه... قمة أهل انور... انكم في
عصر... في مجتمع...

« مَن تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ مَا أَمَرَ بِهِ » من نهاون في عُشر الأوامر التي
أمره الله تعالى بها... وأمره رسول الله ﷺ بها...

« هَلَكَ » نزل الى الظلمات... وخرج من النور... الذي يحيا في
قلبه...

لماذا؟

لأن مجتمع رسول الله ﷺ... مجتمع نور...
الفائد... نور... وما محمد إلا نور...

وأصحابه... يقيسون... من ذلك النور مباشرة...
فهم اشعاعات... ذلك النور...
وكلما آتس منهم... هبوطاً نحو الظلمات... أخذ بقلوبهم وأعادها الى
مقاماتها من النور...

ثم زادها نوراً على نورها... ورقأها الى أعلى...
فليس سهلاً أن يضل أحدهم أو أن يفوى...
ثم هو يقودهم الى أرقى... وأعلى... قمم النور...
يقودهم الى ما يحييهم... أعلى حياة... ممكنة... يقودهم إلى مقامات
الجهاد... جهاد اهل الظلام جميعاً...

وذلك يرفعهم درجات... ودرجات... ودرجات نحو ربهم...
فمن حدثته نفسه ان يهوى... من بينهم... هوى... وتدهور...
وخسر خساراً عظيماً...

لانه نزل عن مستواه... الى مستوى دون ما كان يمكنه ان يرقى
اليه...

«ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ... يَأْتِي مَجْتَمِعٌ مِنْ بَعْدِي...
«مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ» من عمل من الصحابة... او من المؤمنين عموماً...
«بِغَيْرِ مَا أَمَرَ بِهِ»... بجزء من عشرة... مما أمره الله تعالى... وأمره
رسول الله ﷺ...

«نَجَاءٌ دَخَلَ مَقَامَاتِ النُّورِ... ونجا من الظلمات...
لماذا؟!

لانه في مجتمع أهل الظلام...
لان نسبة أهل الظلام كبيرة جداً... بالنسبة الى أهل النور...
كانوا في عصره... مجتمعاً فاضلاً متكاملأ... صغيراً... كل افراده
هداة مهتدين...

والآن هم في مجتمع... فيه وفيه... مجتمع كبير... يضم اعداداً هائلة
من المناققين... والضالين...
فأصبح عدد الصحابة بالنسبة اليهم قليلاً...
وماذا يفعل القليل... وقد ضل الكثير؟!
هنالك تتعذر الاستقامة على المقامات العلى... وتبدو شبه مستحيلة!!!
أمواج الظلام... تتعالى... وتهدر في المجتمع...
وهؤلاء أنوار قليلة... يقاومون تلك التيارات العاتية... أنا يتصرفون...
وأنا تغلبهم الأمواج الرهيبة...
مَنْ تَمَسَّكَ بِعُشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ... آنذاك... نجا...
لأن الله يعلم ظروفهم... ونوع المجتمع الذي يعيشون فيه...
والارادة البشرية... طاقة... ولكنها طاقة محدودة...
وقوة المقاومة مطلوبة... ولكن الفتن عارمة... لا يستطيعون لها ردا
ولا تحطيما!!!

وليس المراد هنا «مَنْ عَمِلَ بِعُشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ...»
أن يعمل بعشر الفرائض... كلا فالفرائض هي الحد الأدنى من أوامر
الله... الفروض الخمسة هي الحد الأدنى الذي لا يجوز لبشر أن ينزل عنه
أو يعطل شيئاً منه... والا لهلك مع الهالكين...
ولكن المراد هنا الأوامر فيما وراء الفروض الخمسة...
السُّنَنُ كلها...
النَّوَافِلُ كلها...
اصاليب الترقى في مقامات النور كلها...
وهذه الأوامر من فروض... وسُنَن... ونوافل... وقُرْبَات...
كان مجتمع رسول الله... ﷺ... في حياته ينفذها كلها... ككل
متكامل... ويتسابقون جميعاً الى أدائها...
فكانوا دائماً في رقي وارتقاء دائمين...

فلما ذهب عنهم رسول الله... ﷺ ...
فقدوا بذهابه... النور الاعظم... الذي كان يقود قلوبهم الى أعلى ما
يطيقون من مقامات النور...
ثم تركهم الى انفسهم... وترك فيهم كتاب الله... وسنة رسوله...
وبين لهم أنهم لن يضلوا ما استمسكوا بهما...
ثم فتحت عليهم الدنيا... بشعوبها... وظلماتهم...
فاذا بهم وسط مجتمع... نسبة المؤمنين فيه قليلة... بالنسبة الى
الشعوب التي يحكمون...

هنالك اشتدت الفتنة بهم... وماجت بهم موجا شديدا...
فأصبح الرجل منهم في حاجة الى مضاعفة قوة المقاومة... ليستطيع
ان يثبت امام تلك الامواج العاتية...
ولقد ظل الأمر متماسكا... حتى انكسر باب الفتنة الموصد كسرا...
بقتل عمر... بأيدي أهل الظلام... بيد ذلك العبد المجوسي الفارسي...
فماجت الفتنة بهم جميعا... موج البحر...
حتى اقتتل أصحابه... في معاركهم بين علي... ومعاوية... اقتتلا
عظيما...

وقتل بعضهم بعضا تفتيلا!!!
ولقد كان عمر... دائم السؤال عن تلك الفتنة التي تموج موج
البحر...

«قال عمر: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
فِي الْفِتْنَةِ؟»

«فقال حذيفة: أنا»

«قال حذيفة: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ، وَمَالِهِ، وَوَلَدِهِ، وَجَارِهِ، يُكْفِرُهَا
الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ، وَالصَّدَاقَةُ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ.
«فقال عمر: لَسْتُ عَنْ هَذَا أَسْأَلُكَ»

وَلَكِنْ عَنْ الْفِتْنَةِ الَّتِي تُمَوِّجُ كَمَوِّجِ الْبَحْرِ؟
 قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ يَتَكَ وَتَيْتَهَا، بَاباً مُغْلَقاً؟
 قَالَ عُفْرُ: أَبْفُتَحُ أَمْ يُكْسَرُ؟
 قَالَ: بَلْ يُكْسَرُ
 قَالَ: إِذَا لَا يُغْلَقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؟
 قَالَ أَبُو وَائِلٍ فِي حَدِيثِ حَمَادٍ: فَقُلْتُ لِمَسْرُوفٍ: مَثَلُ حَذِيفَةَ
 عَنْ الْبَابِ فَسَأَلَهُ
 (فَقَالَ: عُفْرُ.)

(أخرجه الترمذی)

وهكذا قَبِلَ عُفْرُ... وانكسر الباب... وماجت الفتنة الكبرى كموج
 البحر... ودخلوها أجمعين... طوعاً أو كرها... واقتلوا قتالا عظيماً...
 حتى كان الرجل يحترق اعتناق أصحابه... وهم جميعاً من أهل النور...
 بل ذروة مقامات النور!!!
 وذلك انموذج أعظم... لما يمكن أن تفعله الفتن إذا ماجت
 بالقلوب... أعلى قنوب... فكيف بنا نحن الآن... وقد أصبح الظلام هو
 الأصل العام للحياة... والنور شذوذاً!!!
 إن فتن اليوم اضعاف اضعاف قنوبهم... وفساد اليوم اضعاف فساد
 عصرهم...

والمؤمنون الصادقون اليوم... أقل من أعدادهم...
 فكم يحتاج القلب المؤمن الآن من قوى المقاومة ليصمد أمام هذا
 كنه؟!!

فإن وجد في زماننا قلة من المؤمنين... من أهل النور...
 يمسكون بما أمروا من الله ورسوله... قدر ما يستطيعون... فهم
 الأبطال حقاً وصدقاً... بما يتحملون ما لا يطيقون...
 ولولا أن الله تعالى يؤيدهم بروح منه... ويمدهم بمده الذي لا

ينقطع... لانهاروا... وتلاشوا... وابتلعتهم أمواج الفتن في القرن العشرين
ابتلاعا...

استمع: «ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ، نَجَا» ١١٩!
عميقة جدا... شاملة جدا... منيرة جدا...

انها تقول لكل مؤمن... وكل مؤمنة... في كل عصر... الى يوم
القيامة...

اثبتوا على الحق... ما استطعتم...

ارتقوا في مقام النور ما استطعتم...

استفرغوا الجهد في التقرب... ما استطعتم... واعلموا أن لكم أجرا
عظيما عظيما...

وانكم اذا نَفَذْتُمْ عُشْرَ ما أُمِرْتُمْ بِهِ... مما هو وراء الفروض الخمسة...
نجوتم...

أي: دخلتم مقامات النور...

ولكن على العاقل منكم... أن لا يرضى بالوقوف بأول الابواب...

عله أن يواصل... ليرقى في مقامات النور... ثم يرقى...

صحيح أن قوى هائلة... سوف تشده شداً لا يقاوم... الى أسفل...
هناك فتن لا أول لها ولا آخر...

هناك الشهوات وسلطانها...

هناك النفوس وأهواؤها...

هناك الناس وظلماتهم...

هناك الشياطين وتسلطها... ووساوسها... وتزيينها...

هناك ظلمات لا حصر لها... سوف تشده... وتشده... ليهوي... في
قرارها السحيق...

ولكن البطل كل البطل... والعظيم كل العظيم... من قاوم ذلك

كله... وقهر ذلك كله...

واتجه الى ربه بقلبه اتجاها مباشرا... وأسقط الأغيار اسقاطا تاما...
 فدخل بذلك الى النور... وخرج من هذه الظلمات جميعا...
 ثم ناداه... واستغاثه...
 فاستجاب له ربه... وأمدّه بمدده الذي لا ينفد...
 ثم جاهد في الله حق جهاده... وواصل جهاده... فارتقى...
 وارتقى... وارتقى...
 هنالك قد تحققت له النجاة...
 وأصبح في مأمن من الانقلاب الى الظلمات مرة أخرى...
 هنالك تفرّ عينه... ويأمن من الفتن جميعا...
 هنالك يُنادى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *
 الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
 لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ...﴾

(يونس ٦٢-٦٤)

﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من الفتن... لانهم ارتقوا رقا عظيما في مقامات
 النور...
 وابتعدوا بُعدا شديدا عن الظلمات...
 ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾... بل هم في سرور أن نجاهم ربهم...
 وآواهم... وزكاهم... ورقاهم...
 فالمكنون في قوله: «نجا»... أي: خرج من الظلمات الى النور...
 أي: دخل مقامات النور... ووقف في بدايتها... فنجا من الظلمات...
 ولكن وراء النجاة رقا عظيما...
 هناك درجات عليا وراء النجاة... لا ينبغي للعاقل ان يقف دونها...
 ينبغي أن يواصل الرقي... الى أعلى...
 وكلما ارتقى درجة في مقامات النور... ابتعد درجة عن دركات
 الظلمات...

حتى يصل الي مقام يأمن فيه تلك الفتن أمنا كبيرا...
لقد كان في حديثه... ﷺ ... رحمة أي رحمة!!!
رحمة بكل قلب مؤمن... ألا يحزن... اذا رأى الفساد منتشر...
ولا ييأس اذا رأى الظلام عاما...
ولكن عليه نفسه... ما استطاع... وعليه أن يثبت على الخط
المستقيم... ولو تركه كل الناس...
وعليه أن يواصل السير الى ربه...
وإن الله معه... يُزَكِّيهِ... وَيُرْقِيهِ... ويعطيه... ويُقَرِّبه... وينجيه من
فتن الحياة...
فكم أضاف رسول الله... ﷺ ... الى الحياة... حين أرسل نوره ذاك
في ثناياها؟!
وكيف كانت تلك الشخصية... التي وقفت من مقاماتها العُلى... على
مستوى اللازمان... واللامكان... تبث النور في حناياها؟!
ذلكم محمد... ﷺ ... ذلكم الذي أرسله... إلينا... رسولا!!!
قَدَّم إلينا... نظرية... نسبية... المعصية... والطاعة...
فكانت فتحا مبينا... وكشفا عظيما.. يرسل نوره في قلوب الذين
آمنوا... فيعلمون موقفهم... وما لهم وما عليهم... في كل عصر... وفي
كل حالة تعرض لهم... أثناء حياتهم...
فليست الطاعة على نسبة واحدة في كل ظرف من الظروف...
وليست المعصية على نسبة واحدة في كل عصر من العصور...
وانما تتفاوت الطاعة الواحدة... بنسبة نور القلب الصادرة عنه...
وبنسبة ظروف المكان والزمان الذي صدرت فيه...
كما تتفاوت المعصية الواحدة... بنسبة ظلام القلب الصادرة عنه...
وبنسبة ظروف المكان والزمان المؤثرات الصادرة فيه...
نأخذ لذلك مثلا «صلاة الجماعة»...

فالصحابي على عهد رسول الله... ﷺ ... كان أمر الله تعالى وأمر
رسوله ﷺ ...

أن يؤدي الصلاة المفروضة في جماعة... في مسجد رسول الله
ﷺ ... في صفوف كلها من أصحاب رسول الله ﷺ ...

وكان إمامه فيها هو رسول الله... ﷺ ... بنفسه...

وما أدراك ما رسول الله... إذا وقف يُصلي بأصحابه!!!

ثم ما أدراك ما رسول الله... إذا قام يناجي رب العالمين!!!

أنوار تنزل عليه... وأنوار تتصاعد عنه...

وهم من ورائه أنوار تتماوج مع نوره...

والملائكة تتزاحم من حولهم... أيهم أقرب...

فيمثل هذا الصحابي... الذي لا يسرع إلى جماعة... فيها رسول

الله... ﷺ ... وأصحاب رسول الله... ﷺ ... يكون قد جافى الذوق...

وحرّم النعمة... وابتعد عن الجنة...

ولكن انظر إلى عصرنا هذا... وموقف المؤمن فيه... مع صلاة

الجماعة...

فالأوامر الموجهة إليه في شأنها هي هي الأوامر الموجهة إليهم في

زمانهم... فعليه أن يسعى لصلاة الجماعة... وأن يؤدي الصلوات الخمس

في المسجد...

ولكن أين ظروف من ظروف؟!

أين مؤمن هذه الأيام... المسكين... الذي لا يجد على الخير أعوانا...

من هؤلاء الذين كانوا جميعاً أنواراً تسعى إلى ربها؟!

ثم أين شعور من يصلي وإمامه رسول الله... ﷺ ... بعظمته...

ورحمته... وامتيازته... وجماله... وجلاله...

من شعور من يصلي وراء إمام... لا يفقه شيئاً... إلا أن يقوم

بحركات... كأنه ييغاء يردد ما لا يعقل؟!

شَتَّانَ ثُمَّ شَتَّانَ...
وتلك هي ظروف الطاعة الواحدة... وقد رأيت كيف تختلف في كل
حال عن الأخرى...
تختلف زمانا... وتختلف مكانا... وتختلف إخلاصا... وخشوعا...
وحضورا... فهي لذلك تتفاوت درجات عند ربها...
فتقييم كل طاعة عند الله... بمقدار... زمانها ومكانها... وظروفها...
ومؤثراتها وعوائقها... وما تحمّل الطائع في سبيل تحقيقها... وما تعرض
له من الفتن وهو يشق طريقه إليها... وما كان هناك من دوافع وهو يهمل
بأدائها...

فليس الأمر أمر... كم... ولكنه... أمر... كيف؟!
كيف كان القلب حين أدائها؟
كيف كان المجتمع وقت وقوعها؟
كيف كانت المؤثرات عند إيقاعها؟
كيف كانت العوائق عند حدوثها؟
كل أولئك... يوضع في الاعتبار... عند تقدير الدرجات...
والعكس صحيح... نسبة المعصية...
ولنأخذ لذلك مثلا مشهورا قصة هذا المسمى بـ «ثعلبة»...
ذلك الذي ألحَّ على رسول الله ﷺ أن يدعو الله أن يرزقه مالا...
فدعا له رسول الله ﷺ...
فرزقه الله غنما... كانت تتكاثر كاللدود... حتى افتتن بها...
وبدأ يتفلت من صلاة الجماعة مع رسول الله ﷺ...
ثم غاب... عن الجماعات... واكتفى بشهود صلاة الجمعة معه...
ثم غاب حتى عن هذه الأخرى...
وأرسل إليه رسول الله ﷺ... رسوله... ليأخذ منه زكاة ماله...
فما زال يراوغه ويداوره...

حتى نزلت الآيات فيه... انه صار من الهالكين...
﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ...﴾

(التوبة ٧٥ - ٧٧)

فمثل هذا «الثعلبة»... كانت معصيته جريمة كبرى... أنزلته النار
وبئس القرار...

لانه ارتكبها في مجتمع النور... في مجتمع قائده نور... وأفراده
نور...

فبدأ هو حين انحرف... وأظلم... بقعة ظلام شديدة الظلمة...
لانه كنقطة الحبر على ثوب أبيض...
وثعلبة هذا... يوجد من أمثاله ثعلابة كثيرون في أيامنا هذه...
يرتكبون أضعاف أضعاف ما فعل... ومع هذا تبدو جرائمهم كأنها
ليست بجرائم... لماذا؟!... لانهم بقع سوداء... وسط ليل مظلم...
والظلمة في الظلام... لا تبدو ظلاما... وإنما هي لا شيء!!!
لقد كانت جريمة هذا «الثعلبة» أنه بدأ يتخلف عن صلاة الجماعة مع
رسول الله... ﷺ...

ثم بدأ يغيب عنها...
ثم اكتفى بصلاة الجمعة معه...
ثم راوغ في أداء الزكاة... فلما أحس بجريمته... جاء يولول ويرغب
في أدائها... ولكن السماء كانت قد سبقته... ورفضت زكاته... وأعلنت
نفاقه... وأنه من أهل النار... أهل الظلام...

وهذا الذي هو إحدى الكبائر... في مجتمع رسول الله... ﷺ...
يرتكبه الملايين... في عصرنا هذا...

فهناك ملايين تغيب عن صلاة الجماعة... بل ما هو أعظم من الغياب
عن صلاة الجماعة، بل لا يؤدون الصلوات الخمس أساساً!!!
وهذه مرحلة أخط بكثير مما كان عليه صاحب الشيطان ثعلبه!!!
وهناك ملايين من المسلمين الآن يفعلون أكثر مما فعله ثعلبه... لا
يحضرون صلاة الجمعة... بينما كان صاحبنا يحضرها...
وهناك ملايين من المسلمين لا يؤدون زكاة أموالهم...
ومنهم من لا يرى وجوبها في هذا الزمان... ومنهم من يرى وجوبها
ولكنه لا يؤديها!!

ففي أيامنا هذه ملايين.... هم شرُّ من ثعلبه عقيدة... وشرُّ سلوكا...
ولكنهم لا يثيرون في مجتمعاتنا اشمئزازا!!!
لأن الاغلبية الساحقة صارت ظالما... وليلا مظلما...
فهذه الملايين من النقط السوداء يتلعبها الليل المظلم... كأنها لا
شيء... كأنها من طبيعته... من طبيعة النظام العام... وهذه هي نسبة
المعصية...

ما كان من ثعلبه... في مجتمع رسول الله ﷺ... كان عند الله
تعالى جرما عظيما... وإثما ميينا... ونفاقا بينا... وأنزل فيه قرآنا...
يتهدده ويتوعده بشر مآب...

وعاقبه عليه عقابا أليما في الدنيا:

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾.

لأنه حَدَث في بحر من النور... فبدا اسوداده عظيما...

وها نحن الآن يموج خلالنا ملايين من الثعلبة... ولا شيء!!!

لأنه في بحر من الظلمات... والظلام في الظلام يتلاشى...

هذه هي نظرية نسبة الطاعة ونسبة المعصية...

فالطاعة الواحدة... تتفاوت درجاتها... عند الله... بنسبة زمانها...

ومكانها... ومؤثراتها... ودرجة إخلاص القلب الصادرة عنه...

والمعصية الواحدة... تتفاوت دركاتها... عند الله... بنسبة زمانها...
ومكانها... ومؤثراتها... ودرجة كفر القلب الصادرة عنه...
وذلك غاية العدل الإلهي...

وكما يقولون في مفاهيم القضاء المعاصر: العبرة بظروف الجريمة...
كذلك نقول: العبرة عند الله بظروف الطاعة... وظروف المعصية...
ذلك كله استطراد... يكشف لنا قليلا... مكنونات قوله:
«ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، مَن عَمِلَ مِنْكُمْ، بِعُشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ، نَجَاءٌ...»
نعم... نعم... صدق رسول الله... ﷺ...

فمن علم الآن بعُشر ما أمر به... من الله... ورسوله... نجا...
وذلك لاختلاف المجتمع... فنحن في ظلمات... وكانوا هم في
أنوار...

ولكثرة الحَبْث... بينما كانوا هم كراما... طاهرين...
ولعدم وجود أعوان على الخير... وكانوا هم يجدون على الخير
أعوانا...

ولعدم وجود عِزَّة دولية إسلامية... وكانوا هم في عزة عالمية
إسلامية... كانوا... قليلا مِن الأرض ما لا يحكمون... وبالقرآن هم
يحتكمون!!

ولانقلاب المقاييس في عصرنا... فالمنكر معروفا والمعروف منكرا...
وكانوا هم يرون المنكر منكرا والمعروف معروفا...
والانقلاب المفاهيم... حيث يرى الناس الآن الدنيا كل شيء...
وكانوا هم يرون الدنيا لا شيء...

ولعدم وجود الهادي أو الراعي أو الموجِّه المنير... الذي يأخذ بيدك
إلى الله... وكانوا هم... فيهم رسول الله... ﷺ... وما أدراك ما رسول
الله!؟

ولقد أشار إليها قوله سبحانه: ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾...

وهذه أكبر نعمة تدفع الى الطاعة دفعا... وتمنع من المعصية منعاً...
وكانوا جميعاً رجالاً... وقد امتدحهم بذلك فقال:
﴿رَجَالٌ لَا تُلِهِمْ تِجَارَةٌ...﴾

(النور ٣٧)

ونحن الآن في زمان يندر أن تجد فيه رجالاً؟!!!
فالمؤمن... والمؤمنة... في هذه الأيام... يعاني ما لم يكونوا
يتحملون... في مجتمع رسول الله ﷺ...
ويعيش في دول... ومجتمعات... وعالم... تضاد نُظُمها...
واتجاهاتها... ومفاهيمها... وآمالها... وأعمالها... ما عليه قلب المؤمن
أو المؤمنة...

وهذه هي حقيقة الآلام التي يحتملها كل مؤمن في هذه الأيام... تماماً
كمن يقبض بأصابعه على قطع من النار مشتعلة!!!
«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى
دِينِهِ، كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»

(أخرجه الترمذی)

فلئن عمل المؤمن اليوم... أو عملت المؤمنة اليوم... بعُشر ما أُمر به
رغم تلك الظلمات جميعاً... وتلك الفتن جميعاً... وتلك المؤثرات
جميعاً... وتلك العوائق جميعاً... «لَجَا»...

هذه هي النظرية التي بلغت غاية الخطورة... والتي أذاعها رسول
الله ﷺ... في بساطة... عجيبة... ضمن حديث من أحاديثه
العابرة!!!

فالطاعة الواحدة... يقدرها الله تعالى تقديراً... مختلفاً... مُحكماً...
بنسبة ظروفها...

والمعصية الواحدة... يقدرها الله تقديراً... مختلفاً... مُحكماً... بنسبة
ظروفها...

ودرجات المؤمنين والمؤمنات... تتفاوت بنسبة إخلاصهم وظروف
طاعاتهم... وزمانهم... ومكانهم...
ودركات الكافرين والكافرات... والمنافقين والمنافقات... تتفاوت
بنسبة ظلام قلوبهم... وظروف وزمان ومكان معاصيهم...
فما أسعدنا أهل الأيام.... بذلك الذي أرسله رسول الله ﷺ...
رحمة في العالمين!!!
لقد انشرفت قلوب المؤمنين والمؤمنات...
وقرئت أعينهم...
حين سمعوه يقول: «ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ، مِّنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ، بِعَشْرِ مَا أَمَرَ بِهِ،
نَجَا»!!!
سبحانك اللهم وبحمدك... أشهد أن لا إله إلا أنت... أستغفرك
وأتوب إليك.

تَمْ

فهرس الجزء الثاني

٥		الاهداء
٧		مقدمة
٩		أكثر... الناس... شورى...؟! ..
٢٥		أسلوبه... في إقامة... النفوس...؟! ..
٣٥		الدوائر... الثلاث... المقدسة...؟! ..
٤٩		قال لي... رسول الله... ﷺ...؟! ..
٦١		إني... لست... كأحدكم...؟! ..
٧١		عندما... يكشف أسرار... النفس البشرية...؟! ..
٨٩		فإن تاب، تاب الله عليه... فإن تاب، تاب الله عليه...؟! ..
١٠٧		كل مسكر خمر... وكل مسكر حرام...؟! ..
١٢١		ثلاث... دعوات... مستجابات...؟! ..
١٣٣		مَنْ لَا يُرْحَم... لَا يُرْحَم...؟! ..
١٣٩		فحملهما... ووضعهما... بين يديه...؟! ..
١٥١		سترأى... من النار...؟! ..
١٥٩		متى يتحتم... دخولك... الجنة...؟! ..
١٦٥		بحر يسبح فيه الصغار... وبحر... يسبح فيه الكبار...؟! ..
١٧١		ناموس... الرحمة...؟! ..
١٨٥		المصلح... الأعظم...؟! ..
١٩٩		التقوى... ها هنا... وأشار إلى صدره...؟! ..
٢٠٩		أنهار... الرحمة... الأربعة...؟! ..
٢٢١		إني... لا أقول... إلا حقا...؟! ..
٢٣٥		تصعيد... تفجير... طاقات... البشر...؟! ..
٢٤٧		الشخصية... من الاتجاه... المضاد...؟! ..
٢٥٣		اعلم أبا مسعود... اعلم أبا مسعود...؟! ..

أحب... حبيك... هونا ما... !؟	٢٦٧
١/٢٤... من صفات... الشخصية... !؟	٢٦٩
لا تكونوا... إمعة... !؟	٢٨٧
سؤالان... خطيران... !؟	٢٩٧
إن الله... يحبُّ الجمال... !؟	٣١١
ليس بينها... وبين الله... حجاب... !؟	٣٢٥
شخصية رسول الله... ﷺ... كما يراها... أنس... !؟	٣٣٥
الله... يتحدث عن... شخصية محمد... ﷺ... !؟	٣٥٣
لا يجزي... بالسيئة... السيئة... !؟	٣٦٩
سر... العبقريّة... !؟	٣٧٩
أخطر... نداء... إلى الأطباء... !؟	٣٨٧
الشخصية... التي حرّمت... الانتحار... !؟	٣٩٩
في مقام... العلاج الروحي... !؟	٤١٣
لماذا... الأمراض... !؟	٤٢٥
موقف... الشخصية... من الدنيا... !؟	٤٤٣
الشخصية... في حالة... غضب... !؟	٤٤٩
لا... اعملوا... فكلُّ ميسّر... لما خلق له... !؟	٤٥٧
الشخصية... تتألاً... بحقيقتها... !؟	٤٦٩
من... هو... المؤمن... !؟	٤٧٧
متى... تفرق... السفينة... !؟	٤٨٧
أخطر... قانون... أزلي... !؟	٤٩٧
الشخصية... في رغبة... ورهبة... !؟	٥٠٩
الشخصية... يطوى لها... الزمان والمكان... !؟	٥٢٥
رسول الله... ﷺ... يذيع... قانوناً طبيعياً... !؟	٥٣٩
مئات... القوانين الطبيعية... في حديث واحد... !؟	٥٦١
الشخصية... تتحدث... عن الفتن... !؟	٦٠١
نسبة... الطاعات... والمعاصي... !؟	٦١٣

